تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر

أ.د/ جاد محمد طه
العميد الأسبق لكلية الآداب - جامعة عين شمس

د. إبراهيم جلال أحمد
قسم التاريخ - آداب - عين شمس

القاهرة
٢٠٠٦

المحتويات

تقديم ٢

الفصل الأول العلاقات الأوروبية مع الشرق الأقصى في مطلع العصور الحديثة ٥

الفصل الثاني تطور تاريخ الهند الحديث والمعاصر ١٣

الفصل الثالث تطور تاريخ الصين الحديث والمعاصر ٥٦

الفصل الرابع تطور تاريخ اليابان الحديث والمعاصر ٩٤

الفصل الخامس تطور تاريخ كوريا الحديث والمعاصر ١٢٩

الفصل السادس تطور تاريخ إندونيسيا الحديث والمعاصر ١٤٣

الفصل السابع تطور تاريخ فيتنام الحديث والمعاصر ١٧٨

الفصل الثامن تطور تاريخ ماليزيا الحديث والمعاصر ٢٠٥

الفصل التاسع تطور تاريخ بورما الحديث والمعاصر ٢١٨

الفصل العاشر تطور تاريخ تايلاند الحديث والمعاصر ٢٢٨

الهوامش ٢٣٩

تقديم

إن تـاريخ الشرق الأقصى لم يجد اهتماماً كبيراً من طرف المؤرخين العرب ، وبالتالى فالكتـب عن هذا الموضوع قليلة جداً ولا تفى بالمطلوب ، ومن هذا المنطلق قمنا بإعداد هذا الكـتاب عن " تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر " كى يسد فراغاً فى المكتبة العربية بالنسبة لهذا الموضوع .

وقـد تناولنا فى الفصل الأول موضوع " العلاقات الأوروبية بالشرق الأقصى فى مطلع العصـور الحديثة " وقد اهتم هذا الفصل بدراسة التطورات التى شهدتها القارة الأوروبية بعد الكشـوف الجغرافية وعصر النهضة والإصلاح الدينى البروتستنتى ، والحركات الاستعمارية الأولـى علـى يد البرتغاليين والهولنديين والانجليز والفرنسيين فى مناطق الشرق الأقصى ، ومحاولاتهم لتأسيس مواقع لهم هناك .

وتحدثنا فى الفصل الثانى عن "تطور تاريخ الهند الحديث والمعاصر" منذ تأسيس دولة المغـول الإسلامية فى شمال غرب الهند ، ووجود الإمبراطورية الهندوسية" الفيجاياناجار" فى وسط وجنوب الهند . ثم المحاولات البريطانية على يد شركة الهند الشرقية البريطانية للسيطرة على شبه القارة الهندية فى القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر ، ثم اندلاع الثورة الهندية عام ١٨٥٧ ، وقيام حزب المؤتمر الهندى عام ١٨٨٥ والرابطة الإسلامية عام ١٩٠٦ واسـتقلال الهـند وباكستان عام ١٩٤٧ ، ومشكلة كشمير التى ما تزال تعكر صفو العلاقات الهندية الباكستانية .

وتطرقـنا فـى الفصل الثالث إلى" تطور تاريخ الصين الحديث والمعاصر " منذ عصر الأباطـرة وانتشـار الكونفوشيوسية ، إلى احتكاك الصين بالغرب ، وخوض الانجليز حربين شـهيرتين مـع الصين فيما عرف بحرب الأفيون الأولى وحرب الأفيون الثانية ، وذلك كى تفـرض الإدارة الاستعمارية البريطانية بيع الأفيون من أجل تحقيق مصالح اقتصادية للخزانة البريطانية ، رغم النتائج الوخيمة من بيع هذا العقار السام للشعب الصينى .

كمـا أشـرنا فـى هـذا الفصل إلى مراحل النزاع اليابانى الصينى ، ومحاولات اليابان السـيطرة علـى مقـدرات الصين ، وكذلك محاولات الدول الكبرى فتح أبواب الصين ذات الإمكانيات التسويقية الهائلة للتجارة الغربية .

وفـــى الفصل الرابع " تطور تاريخ اليابان الحديث والمعاصر " بدأنا بتاريخ اليابان منذ فجر التاريخ ، مروراً بعلاقات اليابان بالغرب ، وكيف رحب اليابانيون بالأسلوب الغربى بدلاً مـــن مواجهـــته ، وكيف نقل اليابانيون عن الغرب فنونه وعلومه ، مما أدى إلى طفرة علمية كـــبرى ، وخاصة عندما تمكنت اليابان من هزيمة روسيا عام ١٩٠٥ ، ثم ما كان من حوزها علـــى مكاسب إقليمية فى الحرب العالمية الأولى ، ولكنها فى الحرب العالمية الثانية تعرضت لنكبـــة خطيرة بعد تحالفها مع النازى وهزيمة النازى فى الحرب العالمية الثانية ، ثم ما كان مـــن تعرض اليابان لإلقاء القنبلتين الذريتين عليها فى نهاية الحرب ، وانتهاء الأمر بالاحتلال العســـكرى الأمـــريكى لهـــا ، وكذلك تحول اليابان رويداً رويداً إلى قوة صناعية واقتصادية كبرى.

وأبـــرزنا فى الفصل الخامس " تطور تاريخ كوريا الحديث والمعاصر " وكيف أن موقع كوريـــا ســـبب لهـــا الكثير من المشكلات ، وكانت هدفاً للأطماع اليابانية والصينية ، ثم كان الاســـتعمار لكوريا ومعاناة الشعب الكورى من هذا الاحتلال ، الذى انتهى بهزيمة اليابان فى الحـــرب العالمـــية الثانية ، وما كان من انقسام كوريا إلى شمالية شيوعية وجنوبية رأسمالية تعـــيش فى كنف الاحتلال الأمريكى ، والتأكيد على صعوبة تحقيق الوحدة الكورية مع تواجد القوات الأمريكية فى جنوب كوريا ، وتمسك كوريا الشمالية بالنظام الشيوعى .

وتناولـــنا فـــى الفصل السادس " تطور تاريخ إندونيسيا الحديث والمعاصر " من خلال التركـــيز علـــى فترة الاستعمار الهولندى ، وكيف حول الهولنديون إندونيسيا إلى مزرعة أو إقطاعـــية كبـــيرة خاضعة للهولنديين ، مع تحويل الشعب الإندونيسى إلى مجموعة من أقنان الأرض .

ولكن الحركة الوطنية الإندونيسية هبت من أجل الدفاع عن الوطن ، مستمدة من روح الإسلام القوية أساساً لهذه الحركة الاستقلالية ، حتى تم استقلا إندونيسيا .

وتحدثـــنا فى الفصل السابع عن " تطور تاريخ فيتنام الحديث والمعاصر " من خلال الإشـــارة إلـــى العلاقات الأولى بين فيتنام والغرب ، ثم السيطرة الفرنسية على مقدرات الهند الصينية ككل ، ثم ما كان من هزيمة فرنسا فى الحرب العالمية الثانية ، ومحاولتها بعد الحرب إعـــادة ســـيطرتها علـــى فيتـــنام ، ولكن الثوار الفيتناميين حققوا الاستقلال ، وهزموا القوات الفرنســـية ، ولكن تم تقسيم فيتنام إلى شمالية شيوعية وجنوبية رأسمالية وهكذا اندلعت الحرب الأهلـــية وتدخلـــت الولايات المتحدة الأمريكية للحفاظ على فيتنام الجنوبية منذ عام ١٩٥٤ ،

ولكنها لاقت مواجهات صعبة نتيجة للتدخل السوفيتى والصينى إلى جانب فيتنام الشمالية ، مما أدى إلـــى المفاوضات منذ عام ١٩٧٢ ، وتحقيق معاهدة سلمية عام ١٩٧٥ ، لقد كانت حرب فيتنام مرحلة من مراحل الحرب الباردة .

وفى الفصل الثامن الذى جاء بعنوان " تطور تاريخ ماليزيا الحديث والمعاصر " تطرقنا إلـــى الحديـــث عـــن تاريخ ماليزيا قبيل الفترة الاستعمارية ، ثم بينا علاقات ماليزيا بالغرب الأوروبـــى ، والسياســـة الاستعمارية التى تعرضت لها سواء من القوى الغربية أو على أيدى الـــيابان ، ثم تحدثنا عن الحركة الوطنية الماليزية من خلال إبراز الأحزاب والجماعات التى قـــادت الحركة الوطنية ووقفت بالمرصاد للمستعمر ، وموقف العالم من الاستقلال الماليزى ، وعلاقاتها بدول جنوب شرق آسيا وبصفة خاصة إندونيسيا والفلبين .

أما الفصل التاسع وهو " تطور تاريخ بورما الحديث والمعاصر " فقد أشرنا فيه إلى أهم الممالك التى قامت فى بورما قبيل الاستعمار الأوروبى وعلاقة بورما بجنوب شرق آسيا ، ثم سياســـة الاســـتعمار فى بورما ، وخاصة الاستعمار البريطانى ، وأنهينا الفصل بالحديث عن كفاح الشعب البورمى من أجل الاستقلال .

وفى الفصل العاشر والأخير وعنوانه " تطور تاريخ تايلاند الحديث والمعاصر " أبرزنا أهمـــية تاريخ تايلاند مقارنة بتاريخ دول جنوب شرق آسيا ، وعلاقاتها بالمناطق المجاورة ، وموقفهـــا من الوجود الغربى فى تايلاند ، والمنافسة الانجليزية الفرنسية من أجل اقتناصها ، والنهضـــة الإصـــلاحية الـــتى قامت بها تايلاند ، وموقفها من الحرب العالمية الثانية ، وسوء أوضـــاعها فى كافة المجالات الاقتصادية عقب الحرب العالمية الثانية . وانضمامها إلى حلف جنوب شرق آسيا ، ونتائج هذا الانضمام على أوجه الحياة المختلفة فى تايلاند وبصفة خاصة العسكرية .

وفـــى الـــنهاية نرجو من العلى القدير أن نكون قد وفقنا فى إعداد هذا الكتاب ، كى يفى بالغـــرض مـــنه ، وهـــو تقديم دراسات عن تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر باللغة العربية .

والله ولى التوفيق

الفصل الأول

العلاقات الأوروبية مع الشرق الأقصى في مطلع العصور الحديثة

لايخفى أن فترة الأربعمائة والخمسين عاما التى بدأت بوصول البرتغاليين إلى الهند فى عام ١٤٩٨ ، وانتهت بانسحاب القوات البريطانية من الهند فى عام ١٩٤٧، وإنسحاب الاساطيل الأوربية من الصين سنة ١٩٤٩، إنما تكون حقبة تاريخية واضحة المعالم والحدود. وقد زال من الوجود أحد الخيوط الكبرى فى الفكرة الأساسية، وهو القيام بحرب صليبية على الإسلام، والقيام بحركة التفاف استراتيجية حول جناح الأمة الإسلامية، فبعد الثورة الصناعية فى أوربا، والحاجة إلى الأسواق والمواد الخام، غلبت المصالح التجارية على ما عداها من أهداف. وفى غضون تلك الفترة تغيرت الموازين بالنسبة لزعامة الشعوب الأوربية، فانتزع الهولنديون السيادة التجارية قسرا من البرتغاليين، وتنازع عليها حينا من الدهر كل من بريطانيا وفرنسا فى أواسط القرن الثامن عشر، ومنذ تلك الفترة ارتفع شأو بريطانيا ولم يتعرض بعد ذلك أبدا لأى تحد خطير حتى بداية الحرب العالمية الثانية.

وهكذا تمت سيادة الدول البحرية الأوربية على الكتل الضخمة من الأرض الآسيوية فى الشرق الأقصى، ثم فرض اقتصاد تجارى على مجتمعات لم تكن حياتها الاقتصادية فى الماضى مؤسسة على التجارة الدولية، ولذا كان معنى التحكم فى المحيط الأطلسى السيادة على المحيط الهندى، فالسيطرة فى النهاية على المحيط الهادى. وفى اثناء المائة سنة الأولى من هذه الحقبة (١٤٩٨ — ١٩٤٩) كانت للبرتغال وإسبانيا السيادة على الأطلسى، على أن هذه السيادة ما لبثت أن أخذت تتناقص وتضمحل رويدا رويدا.

ولايصدق هذا فقط على مناطق مثل الهند وسيلان واندونيسيا، بل وينطبق أيضا على الصين وبلاد اليابان [١] .

وعلينا أن نحاول تسليط الضوء على ارهاصات العمليات الأوربية للسيطرة على الاصقاع الأسيوية منذ العقود الأولى من بداية التاريخ الأوربى الحديث.

أولاً: البرتغاليون

وصل فاسكو داجاما إلى ميناء قاليقوط على الشاطىء الجنوبي الغربي للهند في ٢٧ مايو ١٤٩٨، وكان وصوله إيذانا بعلاقات جديدة بين الهند وأوربا. حقيقة كانت الهند معروفة لدى أوربا منذ أقدم أيام التاريخ. وقد زار الهند في اثناء القرن الثالث عشر كثير من الرحالة الأوربيين.

وقبل وصول فاسكو داجاما ببضع سنين إلى قاليقوط، وصل إلى الهند مبعوث لملك البرتغال الدوم جواو الثاني، هو بيرودا كوفلهام. الذى وصل إلى الهند سنة ١٤٨٨ وزار قاليقوط في نفس السنة وقبل وصول فاسكو داجاما بعشر سنين. (٢)

والواقع أن تجارة التوابل مع الشرق كانت من أعظم العوامل الدافعة في التاريخ ، كما أنها كانت تدر على التجار أعظم الأرباح بوصفها سلعا يشتد عليها الطلب من الناس جميعا. ولقد كانت دولة المماليك في مصر والشام تتقاضى نحو ٣٠٠٪ من قيمة البضائع المارة بمصر والشام والآتية من الشرق الأقصى أساسا ثم العابرة إما للخليج العربي أو البحر الأحمر فمصر أو الشام ثم البحر المتوسط وأوربا، وهذا يفسر سر عظمة وقوة الدولة المملوكية في مصر والشام، واستطاعتها بهذه القوة الاقتصادية هزيمة الصليبيين والمغول.

ولم تكن التوابل مجرد مواد لتحسين مذاق الطعام، بل كانت بمثابة ثلاجات العصور الوسطى، لأنه في أوقات الجفاف كانت تذبح الماشية والأغنام، ويتم حفظها باستخدام توابل معينة لتعيش شهورا وشهورا صالحة للاستهلاك، فالتوابل كانت سلعة استراتيجية في ذلك الوقت. هذا بالإضافة إلى السلع الأخرى الآتية من الشرق الأقصى كالشاى والحرير والبورسلين وغيرها. (٣)

وإذا كانت البرتغال قد أصبحت رائدة في الكشوف الجغرافية منذ القرن الخامس عشر، فقد أصبحت راعية للمسيحية... فكأن روح الحروب الصليبية لم

تبق متقدة فقط، بل لقد ازدهرت مكتسبة قوة على قوتها بشبه الجزيرة الآيبيرية إبان القرنين الخامس عشر والسادس عشر. وبينما لم يكن الإسلام فى نظر دول غرب أوربا الأخرى إلا شبحا بعيدا لتهديد شاسع ، فإنه فى أيبيريا كان يمثل قوة على الأبواب تهدد بالويل وبالثبور.

ومرت حركة الكشوف الجغرافية البرتغالية فى البحار الهندية بعدة أطوار، غير أن انتقال مملكة البرتغال إلى التاج الاسبانى فى عام ١٥٨٠، لم يلبث أن أفقد البرتغال أهميتها، لأن الاسبان أهملوا شأن الممتلكات البرتغالية، واعتبروها ثانوية بالنسبة لممتلكاتهم الأخرى، واستمر الحال كذلك مدة خضوع البرتغال لاسبانيا أى إلى عام ١٦٤٠ (٤)

ثانياً: الهولنديون

كان لانتشار المذهب البروتستانتى بأوربا نتائج أعظم أهمية وأبعد مدى بالنسبة للقارة الأسيوية. فإن ذلك الانتشار أبطل فيما يتعلق بالدول البروتستنتية منحة البابا للبرتغال باحتكار التجارة فى المشرق، وصار فى إمكان دول أوربا البحرية اقتحام المياه الهندية، ومن الأمور الهامة، أن مركز تجارة التوابل قد انتقل من لشبونه إلى الموانىء العظيمة فى هولندا ، ذلك أن الاقبال على التوابل كان أعظم فى مناطق أوربا الشمالية، كما أن أهمية لشبونة كانت ترجع بوجه رئيسى إلى أنها المستودع لتلك السلع الاستراتيجية. وأصبح التجار الهولنديون الذين كانوا يصرفون هذه السلع غير راضين بأى حال على أن يدفعوا أسعار الاحتكار التى كان يطلبها البرتغاليون، وخاصة وقد اتضح أن تحدى قوة البرتغاليين فى البحار الشرقية كان من السهولة بمكان.

وفى عام ١٥٩٢ عقد كبار التجار الهولنديين فى أمستردام اجتماعا قرروا فيه إنشاء شركة للتجارة مع الهند. ورغبة فى إعداد المعلومات الضرورية للرحلة، أرسلت الشركة كورنيليوس دى هوتمان إلى لشبونه للحصول على كل

التفصيلات. وينبغى ألا يفوتنا أن البرتغاليين حتى فى عهد الدوم مانويل اتخذوا كل الاحتياطات للاحتفاظ بسرية الطريق إلى الهند. فأصدر مانويل فى سنة ١٥٠٤ مرسوما يحظر أن توضع على الخرائط أية إشارات تدل على الطريق إلى الهند. وكان لزاما على الهولنديين أن يجمعوا بصعوبة المعلومات والتقارير عن الرحلة إلى الهند.

وقد خرج أول أسطول هولندى للتجارة مع آسيا فى ١٥٩٥ من مرفأ تكسل، وكان يتكون من أربع سفن بقيادة هوتمان، فبلغ الجزر الأندونيسية، ثم عاد إلى هولندا بعد غيبة دامت سنتين ونصف، ولم يعد من ملاحى السفن الذين خرجوا معه والبالغ عددهم ٢٥٩ رجلا سوى تسعة وثمانين، بيد أن المكاسب كانت وافية، فإن بيع البضاعة جلب مكسبا مقداره ثمانون ألف فلورن.

وكانت تلك الرحلة استهلالا لرحلات منتظمة تلتها، كما أنها أدت إلى تأسيس شركة الهند الشرقية المتحدة التى نظمت بإيحاء من السياسى الكبير أولدن بارنفلت، فبمقتضى مرسوم صدر فى ٢٠ مارس ١٦٠٢ منح مجلس طبقات الأمة تلك الشركة احتكار التجارة، ولم يكتف بذلك، بل خولها سلطات سيادة عليا واسعة لعقد المعاهدات والمحالفات، وبضم ما تشاء من الأراضى، ولبناء الحصون وغير ذلك. وكانت أول معاهدة عقدتها الشركة مع الزامورين إمبراطور ملبار فى جنوب الهند، وتقرر ديباجة تلك المعاهدة أن الهدف من المفاوضات بشأنها" هو طرد البرتغاليين من أرض عظمته وسائر الهند". ولكن كيف السبيل إلى ذلك مادامت أسس الدفاع البرتغالية لازالت قوية، ومن أجل ذلك كانت أول محاولة بذلها الهولنديون هى للحلول محل البرتغاليين فى الجزر الاندونيسية، والتى كانت قبضة البرتغاليين عليها لاتزال ضعيفة.

وأعلنت الشركة المتحدة فى ١٦١٠ أول تقرير لأرباحها وقدره ١٣٢,٥٪. وكانت قد استولت من قبل فى ١٦٠٥ على أمبوينا من البرتغاليين،

ومع ذلك لايمكن القول بأن مركز الشركة قد توطد تماما إلا بعد غزو جاكرتا واحتلالها فى ٣٠ مايو ١٦١٩ على يد جان بيترز كوين. ولكن انطونى فان ديمين — الذى عين حاكما عاما فى ١٦٣٣ هو الذى أقام صرح الامبراطورية الهولندية، وقضى نهائيا على البرتغاليين. وفى سنة ١٦٤١ انتزع من البرتغاليين ملقا صولجان عظمتهم فى الشرق، وأمكن للهولنديين من هذه القاعدة أن يوجهوا التفاتهم إلى تجارة الهند ذاتها. فمن ملقا شرع الهولنديون فى مساعدة القوى الوطنية ضد البرتغاليين، ومن ثم كان سقوط الامبراطورية التجارية البرتغالية سريعا، ولم يبق بعد جوا وجزيرتى دامان وديو الصغيرتين أى أثر للامبراطورية البرتغالية فى البحار الهندية.

واتخذ الهولنديون جزر المحيط الهادى أساسا رئيسيا لنشاطهم، وبذا كانوا فى موقع متميز طوع لهم تنمية تجارتهم مع الصين واليابان. واحتل أسطولهم فورموزا حينا من الدهر، وبفضل تجارتهم مع الصين أدخل الشاى إلى بلاد الغرب، كما كان لأتصالهم باليابانيين شيىء فى إثارة الرغبة لدى الغرب فى التعرف بتلك الامبراطورية الجزرية. (٥)

ثالثاً: الانجليز

قبل إنشاء الشركة الهولندية بعام واحد، كانت شركة الهند الشرقية البريطانية قد تلقت من الملكة إليزابث المرسوم بمنحها حق احتكار التجارة فى الشرق. وكانت التوابل شديدة الأهمية للانجليز فى ذلك الحين.

وأقلعت أول سفينة للشركة إلى بلاد الشرق بقيادة الربان لانكستر فى ٢٤ يناير ١٦٠١، فوصلت إلى أتشين بسومطرة، وعادت بعد سنتين ونصف فى أبريل ١٦٠٣ تحمل حمولة وزنها ١,٠٣٠,٠٠٠ رطل من الفلفل. وأعقبت هذه الرحلة رحلات أخرى جعلت وجهتها جزر التوابل بوجه خاص. ولكن أمور الشركة لم تسر على مايرام، إذ لم يكن لدى إنجلترا ما تبيعه بدلا مما تأخذ، وكان اقتصاديو

ذلك الزمان يكرهون تصدير العملة الفضية أو الذهبية أشد الكراهية، على أن وكلاء الشركة بالجزر أكتشفوا مع ذلك طريقة مناسبة ومرضية، فإنهم قدموا تقارير مفادها أن تلك الجزر يشتد بها الطلب على المنسوجات الهندية، فإذا أمكن جلب هذه المنسوجات وبيعها فى بانتام وملكا أمكن تمويل تجارة التوابل من الأرباح. وهكذا كان الهدف من إنشاء الشركة البريطانية من إنشاء مركز تجارى فى الهند هو شراء المنسوجات، وكان المكان الذى اختير لهذا الغرض هو سورات سنة ١٦١٢.

وفى سنة ١٦١٥ أقنع الملك جيمس بأن يرسل سفيرا له إلى دولة المغول فى شمال الهند، وكان الإنجليز قد طردوا من إندونيسيا فى تلك الفترة، وتركز اهتمامهم التجارى بأرض الهند الرئيسية، وهنا عادت مشكلة الشركة الإنجليزية إلى الظهور مرة ثانية.... فكيف السبيل إلى دفع أثمان التجارة الهندية؟ وهنا شرعت شركة الهند الشرقية البريطانية تتخذ سياسة زيادة عدد مراكزها التجارية فى الهند بحذر، حتى إذا وافت سنة ١٦٤٧ صار لها ثلاثة وعشرون مركزا تجاريا.

وتغير الموقف قليلا بوقوع بومباى فى حوزة الشركة البريطانية فى عام ١٦٦٥، ونقل المركز الرئيسى للشركة من سورات إلى بومباى، التى كان فى إمكان مدافع الأسطول أن تدافع عنها بسهولة. وكان لتولى السير جوشيا تشايلد مديرا للشركة أثره فى تطور الأمور، فإنه كان يحس فى داخله بأعظم احتقار وأعمقه لكل ماهو آسيوى، بل لقد أعلن الحرب على الامبراطورية المغولية، وكانت نتيجة ذلك شائنة تماما، فقد هزم الإنجليز بكل المعايير، وتم فرض غرامة كبيرة على تجارهم المغرورين.

فلما عاد وكلاء الشركة البريطانية إلى البنغال سنة ١٦٩٠ استقروا فى قرية على نهر هوجلى (كلكتا) وسمح لهم بتحصينها بعد ذلك بست سنوات، ثم تدعم

الوجود البريطانى فى بومباى ومدراس وكلكتا ، وهى المراكـز الثلاثـة الـتى استطاعت منها السلطات البريطانية أن تنفذ إلى داخل الهند بعد ذلك بمائة سنة.

رابعاً: الفرنسيون

أدرك الملك الفرنسى هنرى الرابع أهمية السير على قدم المساواة مع الدول الأوربية الأخرى فى المحيط الهندى. فحاول أن يؤسس شركة فرنسـية للهنـد الشرقية فى سنة ١٦٠١، ثم تمت رحلات كشفية متنوعة، بيد أن انشغال فرنسـا الشديد بالتطورات الأوربية أخر النشاط الاستعمارى الفرنسى. ثم تبلورت أفكار الفرنسيين عن محاولة إقامة قاعدة لهم فى جزيرة سيلان، ووجهوا إليها أسـطولا ضخما سنة ١٦٧٠، إلا أن الهولنديين حالوا بين الفرنسيين وبين الاسـتقرار فى هذه الجزيرة، ولم تحقق تلك الحملة أهدافها [illegible] فى إنشاء بوندشيرى على يـد فرانسيس مارتن.

وعلى آية حال، فقد شهد الشطر الأخير من النصف الأول مـن القـرن الثامن عشر شبوب المنافسة الكبيرة بين إنجلترا وفرنسا فى المحيط الهندى، كمـا تجلت الأحوال السياسية المتغيرة فى أوربا، والتى دفعت إلى الوراء كلا من البرتغال وهولندا، وانعكاس كل ذلك على القارة الآسيوية، وبالتالى لم يبـق فى حلبـة المنازعة سوى فرنسا وإنجلترا وحدهما. (٦)

الفصل الثاني

تطور تاريخ الهند الحديث والمعاصر

تاريخ الهند الإسلامية

كانت للهند حضارة قديمة أشع نورها شرقا وغربا، وفى عهد الأمويين بلغت الفتوحات الإسلامية مشارف الهند وكان ذلك إيذانا بغزوات إسلامية كبرى داخل الهند، وأولى الحملات الإسلامية إلى الهند كانت بقيادة محمد بن القاسم، الذى أخضع اقليم السند للحكم الإسلامى، وأسباب هذه الحملة ترجع إلى أن القراصنة الهنود كانوا يهاجمون سفن العرب المتجهة إلى الحجاز، وذلك أن البراهمة أيدوا الفرس ضد العرب وحموا من كان يلجأ من الفرس إليهم، ولكن فترت بعد ذلك قوة الاندفاع الإسلامى فى الهند. ثم أخذ المسلمون فى التوسع فى الهند وذلك بعد أن نمت قوة الامارات والدويلات التركية شبه المستقلة فى بلاد ماوراء النهر فقد استطاع البتكين (أسحاق بن البتكين) وإلى السامانيين على خراسان — الذين كانوا تابعين اسميا للخلافة العباسية — أن يؤسس لنفسه امارة فى النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى وكانت هذه الامارة تضم أفغانستان وغزنه وغيرهما، وأخذت هذه الامارة تتطلع إلى غزو الهند.

ولم توفى اسحاق تولى من بعده ناصر الدين سبكتكين وهو من غلمانه اشتهر بالتعقل والصرامة وقامت على يده الدولة الغزنوية السبكتيكينية وذلك سنة ٩٧٧م . وقد أخذ سبكتكين بعد استقرار الأمور فى إرسال جيوشه إلى أطراف الهند الغربية، وهنا قام جيبال ملك الهند بمحاربته ولكنه هزم، واضطر للتعهد بدفع غرامة، ثم نكث عهده فسار إليه سبكتكين وهزمه مرة أخرى، وقد قام ابنه محمود بمشاركته فى كل حروبه، وبعد وفاة سبكتكين تولى محمود الملك بعد سبعة أشهر وذلك لان سبكتكين عهد بالملك لابنه اسماعيل وكان صغيرا، وكان محمود غائبا فدارت مناوشة بين الأخوين انتهت بتولى محمود الحكم.

اشتهر محمود بن سبكتكين (٩٧ - ١٠٣٠) بمحمود الغزنوى وقد استطاع بشجاعته تأسيس حكم إسلامى فى الهند، ظل مزدهرا قويا من بعده واستمر حوالى ثمانية قرون ونصف.

بدأ محمود الغزنوى حكمه بالاتجاه نحو أمراء المسلمين الذين يخشى منهم على مملكته وانتصر عليهم بل على الدولة السامانية نفسها التى كان يتبعها تبعية إسمية، ثم اتجه بعد ذلك إلى الهند وأعلن أنه يغزو الهند غزوة تكون كفارة لما كان منه من قتال المسلمين وأمضى نحو خمسة وعشرين عاما فى حروب لفتح بلاد الهند.

وقد قام ابتداء من عام ١٠٠٠م بسبعة عشر غزوة وصل فى بعضها إلى قلب السهول الهندية، ووجد مقاومة عنيفة من القوى الهندية المختلفة التى كانت تقتسم الهند فى ذلك الوقت. واستطاع محمود الغزنوى توجيه ضربة قوية إلى الامارة الهندوكية فى كجرات.

وقد توالى خلفاء محمود الغزنوى وساروا سيرته فى التوسع فى الهند وتربعوا على عرش غزنه والهند، إلا أن الخلاف دب بينهم وأدى ذلك إلى تمرد البلاد التى فتحوها، فسقطت عاصمتهم غزنة سنة ١١٥٢م وكان آخر ملوكهم بهرام شاه.

الدولة الغورية

قامت هذه الدولة فى جبال غور أوغورستان وقد قويت هذه الدولة فى الوقت الذى كانت تحتضر فيه الدولة الغزنوية من جراء الخلافات، وقد ورثت هذه الدولة الفتية الدولة الغزنوية فى غزنه والهند، فقد أسس الحسين بن الحسن الملقب بعلاء الدين مملكة فى منطقة جبال غورستان، ومن هذه المنطقة زحف بجيشه على غزنة فاستولى عليها واستطاع الملك الغزنوى استعادة ملكه، ولكن علاء الدين استطاع استرداد غزنه مرة اخرى، وبعد وفاة علاء الدين استرد

الغزنويون ملكهم، ولكن خلفاءه قضوا نهائيا على الغزنويين واصبحت غزنة تابعة للدولة الغورية.

وقد استمرت الدولة الغورية قائمة حتى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى، وأشهر رجال هذه الدولة هو شهاب الدين الغورى ابن أخ علاء الدين الذى توسع فى الهند فاستولى على مولتان ولاهور وقلعة بتهنده، وتوجه إلى دلهى ولكن ملكها خضع له فرأى تركه فى مملكته، ولكن مملوكه قطب الدين أيبك نائبه فى البلاد الخاضعة فى الهند ضم دلهى إلى البلاد الإسلامية وجعلها عاصمة الهند سنة ١١٩٣م.

وقد استبد المماليك بالحكم مدة قرن وخلفهم الأمراء الخلجيون (١٢٩٠-١٣٢١)م نسبة إلى جلال الدين الخلجى. وفى عهده شهدت الهند غارة كاسحة للمغول سنة ١٣٠٤، ووصلوا إلى أبواب دلهى ولكنه هزمهم، وكان آخر ملوك هذه الأسرة خسروخان، وكانت سيرته شاذة وكان ميالا للهندوس فقد كان هندوسيا وأسلم واستجار بحاكم لاهور غازى ملك "تفلق" الذى هاجمه وقضى عليه، وانتقلت السلطنة إلى تفلق الذى أسس دولة آل تفلق (١٣٢١-١٤١٢)، وآخر سلاطين هذه الدولة هو محمود تفلق وفى عهده قامت ثورات الهندوس فى شرق الهند، وأخذت الهند تموج بالخلافات والثورات، والهندوس فى كل مكان يقومون بالثورة، وكذلك أمراء المسلمين. وفى ذلك الوقت هجم تيمور على الهند ليخضعها لسلطانه، فاستولى على دلهى سنة ١٣٩٨م وفر السلطان محمود إلى كجرات أولا، ولم يحسن أميرها استقباله فسار إلى مالوا وظل فيها إلى أن عاد إلى دلهى.

وكان تيمور من المغول المسلمين استطاع الاستيلاء على سمرقند وماوراء النهر وتركستان وخوارزم وخراسان والعراق وغيرها من البلاد الإسلامية حتى بلغ الشام وطلب من حاكم مصر السلطان برقوق التسليم ولكنه رفض وتوفى

برقوق وخلفه ابنه السلطان فرج، فقام لقتاله وهزمه قرب دمشق واضطر تيمور لطلب الصلح، ولكن الفتنه قامت بين جميع المماليك فترك السلطان الشام وعاد إلى بلاده فوجدها تيمور فرصة فدخل دمشق وضربها سنة ١٤٠٠ م.

خرج تيمور من الهند دون أن يحكمها مكتفيا بالاسلاب والغنائم من الذهب والجوهرات ، وعاد السلطان محمود للحكم مرة أخرى ولكن سلطته أصبحت سلطة اسمية وأخذت البلاد تموج بالاضطرابات وبموته انتهى حكم أسرة تغلق.

وقد أسس خضرخان (نائبا عن التيموريين) فى دلهى سنة ١٤١٤ أسرة السادات واستمرت هذه الأسرة فى الحكم حتى ورثها اللودهيون الأفغان سنة ١٤٥١ وقد ظهرت هذه الأسرة فى لاهور ثم زحفت إلى دلهى واستولت عليها.

وإلى جانب اللودهيين الأفغان كانت توجد مجموعة من الامارات المتفاوته فى القوة وأهمها:

- جنبور، وكانت هذه الامارة قد استقلت عن دلهى ثم استولى عليها اللودهيون الأفغان.
- اقليم البنغال، استقل به حسين شاه، وقد دعا إلى دين جديد يجمع المسلمين والهندوكيين ولكن البنغال وقعت فى يد الأفغان بعد ذلك.
- امارة كجرات، وهى امارة تجارية ثرية ذات اتصالات واسعة مع مصر وشرق أفريقيه وقد استقلت فى سنة ١٤٠١م.
- مالوه، وتقع شرق كجرات، واستقلت فى مطلع القرن الخامس عشر، ولكن أمير كجرات استولى عليها فى سنة ١٥٣١.
- خاندش، وقد وقعت تحت سيطرة امارة كجرات.
- أوريا ، وهى فى أقصى الشرق.

اما دولة فيجاياناجار الهندوكيه القوية فى أقصى الجنوب فكانت تقاتل بعنف ضد الامارات الإسلامية وهذا يفسر تحالفها مع البرتغال فيما بعد ضد القوى الإسلامية فى الهند.

والامارة الأخيرة هى امارة مواروهى امارة هندوكية.

لقد كانت الهند مفككه إلى عدة دول متحاربة ولكن الإسلام كان متفوقا فى شمال ووسط الهند، أما الهندوكية فكان لها الجنوب. وقد استمرت الصراعات بين رجال الأسرة الحاكمة اللودهية مما أدى إلى ثورات الأمراء الأقطاعيين، مما سهل على بابر (صاحب غزنه) الاندفاع بجيوشه على سهول الهند وتأسيس امبراطورية مغولية حضارية فى الهند (٧).

دولة المغول

١٥٢٦ — ١٨٥٧

لقد أجمع الكتاب تقريبا على أن المغول لم يبنوا امبراطوريتهم الواسعة من حدود الصين إلى الشام إلا بسبب كثرتهم العددية، وأن انتصاراتهم ترجع بالدرجة الأولى لما كانوا يبثونه من رعب فى قلوب أعدائهم مما يضعف من روح المقاومة أمامهم، فقد قام المغول بمذابح جماعية وحرقوا مدنا كاملة وأفنوا سكانها، ولكن الحقيقة أيضا أن التفكك والتصدع الذى أصاب العالم الإسلامى خلال تلك الحقبة من الزمن سهل انتصاراتهم، إلى جانب أن جيش المغول كان جيشا منظما إلى حد كبير.

أما مؤسس دولة المغول فى الهند فهوبابر (ببر) ومعنى تلك الكلمة ببر فى الهند (النمر) واسمه الكامل ظهير الدين محمد بابر وأبوه من سلالة تيمور لنك وأمه من أسرة جنكيزخان.

وقد ولد بابر فى سنة ١٤٨٣ وحرص أبوه على تثقيفه وتعليمه العلوم المختلفة والفنون العسكرية، وتوفى أبوه وهو صغير فجلس على عرش فرغانه وسنه اثنا عشر عاما وسط عدد كبير من الطامعين فى العرش، أعنفهم عماه، ولكن القدر شاء أن توفى كل منهما.

وقد استطاع بابر بعد ذلك الاستيلاء على سمرقند من يد محمد شيبانى خان الاوزبك، ولكن شيبانى عاد مرة أخرى لتخليص سمرقند، ورغم استماتة بابر فى الدفاع إلا أن المدينة سقطت فى يد شيبانى، فترك بابر سمرقند وبلاد ماوراء النهر واستطاع أن يوطد أقدامه فى كابل ويؤسس مملكته فى سنة ١٥٠٤ وأخذ فى التوسع وتقوية حكمه، واستنجد به حاكم لاهور ضد حاكم دلهى، وهنا وجد بابر فرصته المواتية، فالهند مطمع الفاتحين، فسار فى اثنى عشر الف مقاتل مزودين باحدث الأسلحة وخاصة المدافع.. وكانت قوة حاكم دلهى مائة ألف

من الفرسان، والتقى الجيشان فى بانى بت فى إبريل سنة ١٥٢٦ ، وأمام قوة المدافع قتل حاكم دلهى وآلاف من جيشه ودخل بابر دلهى منتصرا، فنودى به ملكا على الهند فى إبريل سنة ١٥٢٦ وبذلك انتهت الدولة اللودهية.

وقد استولى همايون (ابن بابر) على أكرا، وقد غنما من دلهى وأكرا غنائم كثيرة، وقد قام بابر بتوزيع الغنائم على جنوده.

وبعد أن توطدت أقدام بابر، خشى ملوك الهند من الهندوس منه، فهو قوة إسلامية رهيبة وربما قضى عليهم، فتجمع ملوك الهندوس، وانضم اليهم "محمود اللودى" أخو حاكم دلهى المقتول فى الحرب، وكان زعيم الهندوكيين (راناسنكا) مسيطرا على معظم وسط وجنوب الهند وقد تحالف الهندوكيون مع الأمراء الأفغان على أن يتولى السلطنة واحد من الأسرة اللودهية، لأن ذلك أفضل من هذا الغازى القوى (بابر) ، وفعلا أعلنوا محمود اللودى سلطانا على البلاد.

لم يرهب بابر هذا التحالف بل قام بتشجيع جنوده على القتال مستغلا العامل الدينى، وأعلن أمام جنوده أنه سيطهر نفسه من شرب الخمر، وحطم كؤوسها ، ثم دعا الجنود إلى القسم بالله وكتابه الا يبرحوا مكانهم إلا بالنصر أو الهلاك ، ورفع الجند المصاحف وأقسموا ودب الحماس فى القلوب وتقدموا للقتال، ودارت معركة خانوه الرهيبة ١٦ مارس سنة ١٥٢٧ التى انتصر فيها بابر انتصارا رائعا، وبدد شمل المتحالفين، قوض أركان الهندوكيين والأفغانيين. وقد تعقب بابر فلول المنهزمين وتعقب محمود اللودى الذى فر إلى البنكال واستولى بابر على بيهار.

اتجه بابر بعد ذلك لبناء دولة إسلامية قوية، وكان يعلم تماما أن دولته تضم هندوسا ومسلمين وكان يرغب فى إصلاح البلاد لذلك كان لزاما أن تكون الأمور الداخلية هادئة، ومن هناك كانت دعوته للتسامح الدينى.

اتجه بابر بعد ذلك للإصلاحات الداخلية، فمهدت الطرق، وكثر حفر الترع وغرس الأشجار، كما قام أيضا بتنظيم الضرائب، وقد استطاع بابر أن يقوم بالفتوحات السالفة والإصلاحات الداخلية فى مدة لم تتجاوز خمس سنوات، فقد توفى فى السابعة والأربعين، وأوصى بأن يكون ابنه همايون ولى عهده فى الهند.

لقد أسس بابر دولة المغول فى الهند فى وقت احتلت فيه الدولة العثمانية مصر والشام والبلاد العربية فى عهد سليم الأول، أما فى إيران فكانت الدولة الصفوية، وكانت البرتغال قد غزت شواطىء الهند وأسست فيها بعض المستعمرات بعد كشف طريق رأس الرجاء الصالح، كما كانت هناك دول إسلامية مستقلة فى كجرات ومالوا والدكن وجونيورونيكال والسند.

همايون شاه

ولد همايون فى كابل سنة ١٥٠٦ وتربى تربية عسكرية سياسية، كما تعلم الكثير من العلوم وكان مساعدا لأبيه فى فتح الهند، وكان قائدا ناجحا، ولما اشتد المرض ببابر عهد له بالملك ولكنه عانى من قوى داخلية طامعة فى ملكه ممثلة فى أخوته، وقوى خارجية تطمع فى استرداد ملكها الذى أخذه بابر بحد السيف.

بدأ همايون بمحاصرة قلعة النكر، وفى ذلك الوقت قام محمود اللودى بمعاونة الأفغان بالاعتداء على جونبور فعاد همايون إليه وأخضع جونبور، ثم سار إلى حاكم بيهار الذى أظهر له الخضوع، وامتد حكمه إلى البنكال، ثم سار إلى كجرات فأخضعها، وكان ملكها يحمى أعداء همايون، وفى ذلك الوقت قيام شيرخان حاكم بيهار بالاستيلاء على كثير من بلاد همايون، فأسرع همايون إليه ولكنه هزم، وقتل عدد كبير من جيشه.

عاد همايون إلى اكرا منهزما، وفى نفس الوقت استمر أخوته فى الكيد له، وقام همايون بإعداد جيش قوىَ لمحاربة شيرخان والحقيقة أنه كان صراعا بين

الأفغان الذين يمثلهم شيرخان والمغول الذين يمثلهم همايون، وقد استمر إعداد جيشه نحو عام ، وأخيرا التقى الجيشان سنة ١٥٤٠ ومرة أخرى منى همايون بهزيمة مروعة، واضطر إلى الفرار وتبعه شيرخان إلى أكرا ولاهور وقد انفض الجميع من حول همايون، كما خذله أخوته بل عاونوا عدوه، فدخل السند لايعرف لنفسه مستقرا، وفى ذلك الوقت أنجب ولدا فى سنة ١٥٤٢ فتغير حاله وأقسم على أن يقاتل وأن يترك لولده ملكا يرثه.

أما هذا الابن فهو جلال الدين محمود الشهير بأكبر.... وقد حارب همايون معارك دامية ولكنها خاسرة، و لم ييأس واستمر فى القتال حتى دخل كابل سنة ١٥٥٥م. واستطاع دخول دلهى، ولكنه توفى وأعداؤه الأفغان قد استولوا على أكثر البلاد، وكان ابنه أكبر فى البنجاب، فنودى به سلطانا على عرش أبيه سنة ١٥٥٦ م وكان عمره ثلاث عشرة سنة وبضعة شهور.

جلال الدين أكبر

كان أكبر معتزا بشبابه وقوته وكانت له قوة خارقة، وكان منصرفا إلى الرياضة العنيفة ويعشق القتال، وقد تولى أكبر الحكم تحت وصاية بيرم خان وكان قائدا قويا بصيرا بأمور الملك، اعتمد عليه همايون اثناء نفيه وعند إسترداد ملكه، وقد قام بتوطيد الملك لاكبر وقمع الثورات والفتن، وإليه يرجع الفضل فى الانتصار الحاسم فى موقعه بانى بت الثانية سنة ١٥٥٦م ضد آل سور فى البنجاب وأورا.

لقد كان آل سور فى الحقيقة أشد المغول خطرا على أكبر، ولكن أكبر عزل بيرم خان من منصبه، ولاشك أن المؤامرات كانت ضد هذا الرجل إلى جانب خوف أكبر من سيطرته على البلاد. وغضب بيرم خان من عزله بعد أن دعم الملك لأكبر وفكر فى لخروج على أكبر، ولكنه لم يلبث أن تراجع وقبل

مغادرة البلاد منفيا إلى الحجاز، وفي الطريق عند كجرات قتل على يد بعض الأفغان انتقاما منه.

وقد وقفت المشاكل أمام أكبر منذ توليه الحكم، فقد كان صغيرا مما جعل الحكام والقواد يشعرون بذلك فاستخفوا به وطمعوا في الخروج عليه، وثار أحد قواده الكبار (خان زمان) وانتهز فرصة خروج أكبر لإخضاع ثورة البنجاب فاستولى على قنوج واوده، فعاد أكبر إلى أكرا وجمع جنوده، واستطاع هزيمة خان زمان وقتله. كذلك كانت هناك مجموعة من الامارات القوية تتطلع إلى التوسع على حسابه، ولهذا شن أكبر سلسلة متلاحقة من الحملات على البنجاب والملتان وكشمير وكجرات وخاندش وأوربا والرجبوت.

والحقيقة أن جميع المعارك التي خاضها أكبر كانت معارك صعوبة خطيرة خاصة معركة بني بت الثانية، وكذلك المعارك التي انتهت بسقوط حصون الهندوس المنيعة وكان عددها ثلاثة حصون. وقد شملت هذه المعارك معظم سني حكمه والذى استمر نصف قرن (١٥٥٦ – ١٦٠٥).

وكان مما واجه أكبر أيضا خروج أخيه ميرزا حكيم عليه ولكن أكبر احضنه وعفا عنه بعد ذلك.

وترجع انتصارات أكبر في الحقيقة إلى أنه واجه إمارات منفصلة، كما أنه عنى بقواته العسكرية تماما، فكانت لديه أقوى مدفعية في الهند، ولا شك أن المدفعية هي السلاح الذى كان يضمن المعارك في خلال تلك الحقبة.

وكان أكبر يحترم البلاد التي ينتصر عليها ولا يعرضها للخراب والنهب، وكان يقرب إليه الأمراء الهندوس، وأشرك هؤلاء الأمراء في أمور البلاد بل صاهرهم.

وقيمة أكبر أنه استطاع إنشاء امبراطورية حقيقية شملت أفغانستان وكشمير والبنغال وكجرات وأجمير وأوده وملوه وغيرها، ورغم أنه لم يسيطر

على الهند بأسرها فإنه سيطر على أكبر أجزائها (كل شمال الهند ووسطها) و لم يبق خارجا عن سلطانه سوى دولة فيجاياناجار الهندوكية فى أقصى جنوب الهند.

وقد قامت سياسة أكبر فى الحكم على أساس عدم التفريق بين جنس وآخر وأودين ودين ، وقد أدت هذه السياسة إلى إخلاص الهندوس له، وخاصة بعد أن أزال الفوارق بين المسلمين والهندوس فى دفع الضرائب، وقد قدم المعونة للزراع وثبت ملكياتهم للأرض. أما إصلاحات أكبر الاجتماعية فمنها أنه منع الزواج قبل سن الرشد وأباح زواج الأرامل الهندوسيات، كما منع احراق المرأة لنفسها إذا توفى زوجها، وألغى جعل أسرى الحرب عبيدا.

أما عن موقف أكبر من العقيدة الإسلامية وخاصة لما أثير حول موقفه من الإسلام، فقد حرص أكبر فى أول حكمه على تقريب العلماء ورجال الدين، بل كان يذهب بنفسه إلى منازلهم للاستماع إليهم وأن يتقرب إلى الأولياء، وظل أكبر على هذه الحال حوالى العشرين عاما الأولى من حكمه، ثم ملكه الغرور وتصور أنه ظل الله فى أرضه ومن ثم فلا يجب أن يستمع إلى العلماء بل يفرض عليهم ما يراه، ثم أنشأ مكانا سماه "عبادة خانه" ، أى مكان العباده، تلك العباده التى اخترعها ، وهى بعيدة عن الإسلام مقتبسة من كل الأديان، أى انه ادعى دينا جديدا وسماه "الدين الالهى" ونظريته أن الدعوة إلى الإسلام قد انتهت، وأنه لابأس من اقتباس عبادة جديدة من الأديان كلها، وقد استقى أكبر نظريته من اتحاد اللغات المختلفة التى كونت لغة واحدة جديدة هى اللغة الأوردية (كانت الفارسية هى لغة الأدب فى الهند والتركيه هى لغة الجيش المغولى الذى يضم عددا كبيرا من الأتراك فى أول الأمر ثم أصبح يضم تركا وهنودا ومسلمين وغير مسلمين، وقد أختلطت اللغات الثلاث الفارسية والتركية والهندية، ونتاج هذا الخلط لغة جديدة هى اللغة الاورديه التى أصبحت اللغة الأولى فى الهند). فنظريته هى امتزاج الأديان كما امتزجت اللغة ودعا إلى المذهب الالهى.

والمذهب الالهى يدعو إلى عبادة رب واحد وأكبر ظله على الأرض مع تحريم اللحوم والخمر، ويقوم هذا المذهب أو الدين على أساس المساواة التامة بين الرعية.

لاشك أن أكبر ابتعد عن الإسلام بدعوته هذه، وتاه فى بحثه عن دين جديد ، لقد كان يرغب فى توحيد الناس تحت لوائه وهذا يفسر اتخاذه الدين فى عملية التأليف بين الطوائف المختلفة فى الهند. وقد وقع أكبر أيضا تحت تأثير الاعتقاد السائد فى الهند فى ذلك الوقت من أنه على رأس الألف الثانية للهجرة سيظهر المهدى المنتظر ليعيد العدل إلى الأرض بعد أن تفشى فيها الظلم والفساد ولاشك أن أكبر قد ملأه الغرور ولذلك رأى فى نفسه أنه ظل الله فى أرضه وأنه أقدر من غيره على توجيه أمور الرعية، وهذا هو أساس دعوته للمذهب الالهى.

أما علاقة أكبر بالبرتغاليين فبعد استيلائه على كجرات المطلة على المحيط الهندى أصبح أمام الأسطول البرتغالى الذى احتكر السيطرة على المحيط الهندى وعلى طريق رأس الرجاء الصالح إلى أوربا، كما أغلق مداخل البحر الأحمر والخليج العربى ونهب كل سفينة عربية أو إسلامية بعد الاستيلاء عليها.

وترجع صلة أكبر بالبرتغاليين إلى عام ١٥٧٥ حيث رغبت احدى الأميرات فى الحج، وخشى أكبر من سيطرة الأسطول البرتغالى على البحار وعدوانه على السفن، فطلب من البرتغاليين عدم التعرض لهذه الأميرة ففاوضوه على أساس أن يحصلوا على موقع على ساحل دامان فى مقابل ذلك، فلما عادت سالمه هاجم جنود أكبر دامان وديو وغيرهما من معاقل البرتغال، ولكن فشل هجومهم فى طرد البرتغاليين، وادعى أكبر أنه لم يأمر بهذا الهجوم، بل أرسل رسالة ودية تماما إلى فرديناند الثانى ملك أسبانيا والبرتغال وذلك مع أحد المنصرين الجزويت، ومعنى ذلك أن أكبر كان يخشى قوة البرتغال البحرية، وأنه لم يقف أمام تلك القوة، والحقيقة أن عدم إدراك أكبر لخطورة التفوق البحرى

البرتغالى أدى إلى عدم مواجهة هذا الخطر فى بدايته، حتى انتهى الأمر بالهند إلى وقوعها تحت سيطرة الاستعمار الأوربى.

وقد أسند أكبر تعليم ابنه سليم إلى منصر برتغالى، من الجزويت وكان ذلك خطأ بلاشك من أكبر، فالبرتغال فى ذلك الوقت كان تتزعم حركة صليبية عسكرية نصرانية على أوسع نطاق، ولاشك أن سليم تأثر تأثيرا كبيرا بهذا المنصر، فنشأ مضطرب الفكر ، مهتز العقيدة. وأدمن الخمر، وفى سنة ١٦٠٠ ثار سليم على أبيه طمعا فى الملك، ولم تكن هناك ضرورة لثورة سليم، فقد توفى الأبن الثانى لأكبر مراد، أما الأبن الأصغر دانيال فكان شبه أبله من افراطه فى الشراب، ولم يكن هناك سوى سليم لتولى هذا المنصب.

وقد اختلفت الآراء حول أسباب ثورة سليم فمنهم من يرجعها لضعف شخصيته ومحاولته اثبات ذاته، ومنهم من يرى أن بعض الأمراء الهنادكة قد تآمروا على أكبر فحرضوا ابنه على الثورة.

بدأ سليم عملياته الحربية محاولا احتلال اكرا، ولكنه تحول عنها إلى اله اباد، وقد عاد أكبر مسرا من الدكن حينما علم بثورة ابنه وترك دانيال وبا الفضل يحميان الدكن، وحينما وصل إلى اكرا ارسل لابنه سليم فى اله اباد التى كان يحكمها فجاء إليه معتذرا وصفح عنه، وأسباب عودة سليم إلى طاعة أبيه ترجع إلى انه كان هناك تفكير فى بلاد أكبر بالمناداة بخسرو وهو ابن سليم وليا للعهد.

لقد كانت طاعة سليم غير صافية فقد كان يخشى انتقام أبيه منه، ولذلك يثور مرة أخرى، ولكن أكبر يفقد ابنه دانيال مما جعله يرسل إلى سليم مرة أخرى يدعوه للطاعة وخاصة أنه سيرث الملك ولا منافس له عليه، وعاد سليم مرة أخرى نادما، ولكن أكبر قبض عليه، ثم مرض أكبر بعد ذلك وسلم الملك لابنه سليم.

مات أكبر بعد أن أسس مملكة شملت الهند كلها تقريبا، متخذا أسلوبا جديدا فى الحكم، وقد نشطت الحياة الأدبية والفنية فى الهند فى عهده، فقد أدت اتاحته الحرية للعلماء إلى بعث حركة علمية رائعة، وكان مجلسه يشهد مجادلات دينية وفلسفية عميقة وخاصة عندما كان يبحث فى الأديان، ويعتبر عهد أكبر عهد ارتقاء للآداب الفارسية والهندية ، وقد نشطت فى عهده وبأمره حركة التأليف ومن أشهر ما كتب وترجم فى عصر أكبر.

- ترجمة الأنجيل إلى الفارسية ، وقد ترجمه أبو الفضل بن المبارك سنة ١٥٧٥م.
- أكبر ناقه " تاريخ أكبر" ذكر فيه تاريخ الهند فى أيام ملوك المغول حتى أكبر وقد كتبه أبو الفضل أيضا بالفارسية.
- تاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين فى مصر والشام وبغداد وقد ألفه عبد القادر البدايونى بالفارسية.
- منتخب التواريخ للبدايونى فى ثلاثة أجزاء عن تاريخ الهند.

الأول: ملوك الهند من سبكتكين إلى همايون.

الثانى: أخبار أكبر إلى أربعين سنة من جلوسه على العرش (وقد هاجم فيه المؤلف عقيدة أكبر).

الثالث: فى ذكر من عاصره من الشيوخ والعلماء والشعراء والأدباء .

- ترجمة "مذكرات بابر" التى كتبها عن يومياته. ترجمها من التركية إلى الفارسية عبد الرحيم بن بيرم خان.

وإلى جانب هؤلاء المؤلفين كان هناك العديد من الكتاب والمترجمين والشعراء، لقد كان أكبر أميا لايعرف القراءة والكتابة ورغم ذلك كان يستمع إلى الكتاب ويناقش المشكلات سواء كانت فنية أو أدبية وترك مكتبة ضمت فيما يقال أربعة وعشرين ألف مخطوط على جانب كبير من الأهمية.

أما الفن فقد اعتنى به (أكبر) عناية فائقة وقد سار فى ذلك على نهج أجداده، وان كانت الحروب تشغلهم أحيانا عن ذلك. وكان اهتمامه بفن التصوير كبيرا، فلما أنشأ فتح بور وجعلها عاصمة له زين قصورها برسوم جميلة قام بها فنانون إيرانيون وهنود، إلى جانب أن العاصمة نفسها كانت تشهد بروعة فن المعمار فى عصر أكبر، فقد كان طولها ميلين وعرضها ميل ومحاطه بأسوار من جهات ثلاثة، أما الجهة الرابعة فكانت عبارة عن بحيرة صناعية رائعة، وقد استمرت هذه العاصمة خمسة عشر عاما ثم تركها أكبر، فقلت روعتها إلى حد كبير.

وقد أنشأ أكبر معهدا حكوميا لتشجيع التصوير ألحق به مائة فنان يعملون تحت اشراف المصورين الايرانيين ، وقد أخرج هذا المعهد لوحات فنية عالمية.

لقد كانت شخصية أكبر شخصية فنية إلى حد كبير، فالى جانب الأدب والمعمار والتصوير اهتم أكبر بالموسيقى، واحتفظ لنفسه فى قصره بفرقة موسيقية.. تعزف له كلما أحس بالحنين إلى الصفاء اروحى.

وقد توفى أكبر عن ثلاثة وستين عاما وذلك فى عام ١٦٠٥ وبموته انتهى آخر عصر من عصور القوة الإسلامية فى الشرق، وحكم بعده جهانكير، (محمد سليم تلقب بنور الدين محمد جهانكير بعد توليه العرش).

جهانكير (١٦٠٥ – ١٦٢)

جاء جهانكير إلى الحكم ليرث ملكا مستقرا، ولكنه رغم ذلك واجه بعض الصعوبات التى أثارها ابنه خسرو فى البنجاب، وقد كان يعرف الخلاف بين أبيه وجده، مما جعله يطمع فى الحكم، وفى الدكن قمت ثورة فى "احمد نكر" بقيادة عنبر الحبشى، وقد أرسل جهانكير عدة حملات لاخضاع أحمد نكر وأخيرا أرسل جيشا بقيادة ابنه خرم وكان قائدا شجاعا، وأخيرا تنازل عنبر الحبشى عن بعض البلاد وعقد الصلح فى سنة ١٦١٦م.

أما خسرو فقد أعلن الثورة فى البنجاب وأرسل له جهانكير جيشا، أدى إلى فرار خسرو إلى أفغانستان، ثم قبض عليه ومات فى سجنه، كما ثار ابن آخر لجهانكير وهو شاهجهان (خرم) وألهب الصراع بينهما تحريض زوجة جهانكير له ضد ابنه (نورجهان وكانت مسيطرة على الحكم فى فترة من الفترات وموجهة لأمور البلاد).

بداية المنافسة الدولية

وفى عهد جهانكير كان الصراع واضحا بين البرتغال وانجلترا وهولندا وذلك من أجل السيطرة على الهند، فالبرتغال قد وطدت أقدامها وصار لها العديد من المستعمرات، وإنجلترا كنت ممثلة فى شركة الهند البريطانية، وكذلك هولندا فى شركة الهند الهولندية، وقامت تلك الشركات الاستعمارية بمحاولاتها للوصول إلى الحكام والتمتع بنفوذ خاص فى التجارة، إلى جانب اقامة مراكز فى داخل البلاد.

نظر جهانكير كما نظر أسلافه إلى تلك الشركات على أنها شركات تجارية تريد أن تحقق ربحا لا كمستعمرين، بل لم يدر فى خلد جهانكير أو من سبقوه أن هؤلاء التجار سوف يسيطرون يوما على بلادهم.

وقد استطاع السفير البريطانى أن يكسب ثقة جهانكير، واستطاع الحصول منه على قرار بعدم فرض ضرائب على التجارة الانجليزية، كما قام الهولنديون بافتتاح مراكز تجارية فى سورت وأحمد اباد وبعض مواقع على ساحل الدكن وأكرا وذلك بين عامى ١٦١٦ ، ١٦١٨.

أما البرتغاليون فقد استخدموا أسلوب العنف مما أدى إلى الحرب بينهم وبينه سنة ١٦١٣ واستطاع هزيمتهم فلجأوا إلى السياسة وحصلوا على امتيازات لهم.

وهكذ استطاعت الدول الاستعمارية ان تضع أقدامها على الأرض الهندية وألقى جهانكير الضرائب على تجارة الأجانب الأوربيين، مما زاد من تغلغلهم فى البلاد، وقد توفى جهانكير سنة ١٦٢٧ وخلفه شاهجهان.

محمد شهاب الدين شاهجهان

تعرض شاهجهان كما تعرض أسلافه للطامعين فى العرش فخرج عليه خان جهان فى مالوا وشمال الدكن وذلك فى أول عهده، بالحكم فحاربه شاهجهان واضطره إلى التسليم، ولكنه عفا عنه، فقام بالثورة مرة أخرى فى الدكن واستطاع شاهجهان هزيمته.

أما عن علاقة شاهجهان بالبرتغاليين فقد كان لهم مراكز تجارية مختلفة منها المركز الموجود فى هوكلى بالبنكال قرب كلكتا، وقد قاموا بتحصين هذا المركز، بل تدخلوا فى شئون الحكم، وكان مركزهم محصنا بالمدافع والأسلحة، الحديثة فأمر شاهجهان من الوالى مهاجمة مركزهم وحرمانهم من الامتيازات التجارية، فقام الوالى بمهاجمة مركزهم وأسر أربعمائة منهم وذلك فى سنة ١٦٣٢م.

وقد كان عصر شاهجهان عصر رخاء ورفاهية، وترك آثارا فنية رائعة (القلعة الحمراء فى دلهى والمسجد الجامع وتاج محل).

وقد أصيب شاهجهان بمرض فى نهاية حكمه أقعده عن مباشرة أمور دولته، وتصارع أبناؤه على العرش، واستطاع أرانكزيب الوصول إلى العرش، وقد سلب والده السلطة وان احاطه بمظاهر التكريم، وظل شاهجهان على ذلك ما يقرب من ثمانى سنوت حتى توفى سنة ١٦٦٦م.

أرانكزيب – عالمكير

كان أرنكزيب شديد التمسك بالإسلام وكان حكمه سلسله متتابعة من الحروب فاستطاع فتح كوج بهارى فى الشرق واستطاع اخضاع اراكان على

حدود بورما، كما استطاع القضاء على قبائل الأفغان، وقد قام الستنامى وهم طائفة من فقراء الهندوس بثورة ضده بدأت بصراع بسيط بين البوليس وأحد هؤلاء الستناميين ثم تجمع رجال هذه الطائفة وهزموا رجال البوليس وقويت شوكتهم وزحفوا على دلهى واقتربوا منها، ولكن استطاع ارانكزيب القضاء عليهم.

وقد أعاد فرض الجزية على الهندوس، وكان أكبر قد ألغاها من قبل، وكان لفرضها من جديد أثر سيء على نفوس الهندوس، وكان السبب فى فرضها أتجاهه لتنفيذ شريعة الدين الإسلامى، ولذلك نراه يلغى بعض الضرائب على الهندوس وغيرهم والتى لم تفرضها الشريعة الإسلامية.

وقد استطاع ارانكزيب القضاء على فتنة الراجبوت سنة ١٦٧٩ ثم حارب الراهتا زهاء ربع قرن، وهم قوم يمتازون بلغتهم وحضارتهم الخاصة، ويقيمون فى شمال بومباى وجنوبها ويشتهرون بالقوة، وقد اشتد عليهم ارانكزيب واصابهم بالنكبات واستطاعوا هم النيل من بلاده وتأثرت خزينته تماما من جراء تلك الحروب، مما أدى إلى ضعف الدولة المغولية، كما أجهدت أيضا المراهتا وبدأ الضعف يدب بعد ذلك فى أوصال الامبراطورية المغولية، وأخذ الضعف ينتقل من ضعف إلى ضعف أشد منه حتى تفككت أوصال الامبراطورية.

وفى ذلك الوقت كانت القوى الشمالية الإسلامية الأفغانية والفارسية تتطلع إلى السيطرة على تلك البلاد الواهنة، فكان أن وقعت غزوة نادر شاه الكبرى على الهند ثم غزوة أحمد شاه الأفغانى.

غزو نادر شاه للهند

ترجع أهمية نادر شاه إلى انه استطاع أن يرجع حكم الدولة الفارسية إلى أبنائها بعد أن ظلت لفترة طويلة تحت حكم الأفغان وقد استطاع الزحف على العراق وأفغانستان وأن يضمهما لفارس.

كان على عرش الهند فى ذلك الوقت محمد شاه — تولى الحكم سنة ١٧١٩- وكان منغمسا فى الملذات، ولم يكن جيشه بقادر على أن يخوض معارك حقيقية ، ووضح أن الدولة المغولية تقترب من نهايتها مما جعل نادر شاه يتجه ببصره الهند.

وقد اختلفت الرويات حول أسباب هجومه على الهند فالبعض يرى أن السبب فى ذلك هو رد عدوان الهندوس على المسلمين والقضاء على فساد الملك. وقد قام محمد شاه سلطان الهند بقتل مبعوث أرسله إليه نادر شاه للتفاهم معه وعلى ذلك قرر نادر شاه غزو الهند.

هاجم نادر شاه قندهاروكابل ووصل إلى لاهور والبنجاب، وأصبح على مقربة من دلهى، وأرسل محمد شاه جيشا لمواجهته وتقابل الجيشان عند كرنال سنة ١٧٣٨ فى البنجاب وانهزم الجيش المولى ودخل نادر شاه دلهى منتصرا وغنم مغانم كثيرة أهمها عرش الطاووس وهو من الذهب الخالص، ثم أقام مذبحة مروعة لسكان دلهى وذلك بعد وقوع هجوم على بعض من جنده ، وقد قتل من أهل دلهى أكثر من مائة ألف.

لم يعلن نادر شاه نفسه ملكا على الهند بل ترك محمد شاه على عرشه، ولم يضع يده الا على ولايات شمالى الهند، ثم عاد بعد ذلك إلى فارس، ولكنه ترك محمد شاه هو ومملكته فى حالة يرثى لها، فقد فقد محمد شاه سلطته على قواده، وبدأ الصراع بينهم، وشغل ذلك محمد شاه إلى جانب المغيرين على مملكته والطامعين فى الاستقلال.

غزوة أحمد شاه الأفغانى

تعرض محمد شاه لغزوة أفغانية على يد أحد شاه الابدالى الأفغانى الذى هجم على الهند من الشمال واستولى على لاهور، فأرسل له محمد شاه جيشا

بقيادة ابنه أحمد، وانتصر الابن على قوات أحمد شاه فرجع جنود أحمد شـاه إلى كابل.

عاد ابن محمد شاه إلى دلهى أثر سماعه بنبأ مرض أبيه الذى تـوفى سـنة ١٧٤٠ فتولى أحمد بن محمد شاه العرش، وقد انتهز أحمد شاه الابـدالى فرصـة عودة أحمد شاه إلى دلهى واستولى على لاهور مرة أخرى.

وقد تعرض أحمد شاه أثر توليه الملك إلى سلسلة من المؤامرات انتهت بـه إلى نهاية مؤلمة وجلس مكانه على العرش عالمكير الثانى سنة ١٧٦٤.

ثم أحمد شاه الابدالى أثر ذلك من أفغانستان إلى الهند فتقدم إلى دلهـى واستطاع القضاء على المقاومة فيها بل وعلى مظاهر الحياة نفسها، بعد أن قـام بتحريض نادر شاه من قبل، ثم حاصر أكرا، ولكنه عـاد إلى أفغانسـتان سنة ١٧٥٧ بعد أن تفشى المرض بين جنوده ، وقد طلب منه عالمكير مسـاندته فى مقاومة الثائرين عليه ووافقه على ذلك وترك له جيشا بقيـادة نجيـب الدولـة لمساندته.

وفى ذلك الوقت استطاع الانجليز السيطرة على البنكال كلها، فى الوقت الذى كان الصراع على أشده فى دلهى.

وقد أستعان أحد القواد وهو غازى الدين بالمراهتا لمحاربة الملك ونائـب أحمد شاه واستطاع الاستيلاء على دلهى بمعاونة المراهتا، وقد سيطر المراهتا على معظم أجزاء الهند، ثم قام غازى الدين بقتل الملك سنة ١٧٥٩م.

تحرك أحمد شاه الابدالى على أثر ذلك بجيش ضخم إلى الهنـد وأقـام فى "دواب" ، وقد استطاع الابدالى هزيمة المراهتا هزيمة منكرة وقتل منـهم عـدة آلاف. وقد قام زعيم المراهتا بتحريك جميع الهندوس ضد ذلك الغازى الإسلامى الجديد واستطاع جميع جيش ضخم تعدادة ثلاثمائة الف مقاتل إلى جانب مدفعية قوية، وذلك للقضاء على قوة أحمد شاه الابدالى الذى لم يزد عدد جنـوده

على أربعين الفا، إلى جانب عدد قليل من المدافع والتقى الجيشان فى موقعة بانى بت وذلك فى يناير سنة ١٧٦١، وقد تقهقرت القوات الأفغانية من تأثير مدفعية المراهتا، ثم هجم احمد شاه الأفغانى فى قوة وسرعة أربكت قوات المراهتا ودب الذعر بين صفوفهم وسقط آلاف القتلى وتتبع الابدالى الفارين وبدا أن شوكة المراهتا قد كسرت تماما.

لقد استمرت دلهى بلا ملك لفترة حتى اعلن الابدالى شاه عالم الثانى سلطانا عليها وكان آنذاك فى البنكال، فعين ابنه مكانه وعاد إلى أفغانستان وتوفى فى سنة ١٧٧٣م.

ولقد كان السلطان بعيدا عن دلهى وظهرت مرة أخرى قوة المراهتا وعادوا مرة أخرى واستولوا على دلهى ووضعو شاه عالم على سلطنة دلهى فسلم شاه عالم إلى ملك المراهتا قيادة الجيش.

اتجه شاه عالم إلى محاربة الإنجليز فى البنكال وذلك بمساعدة بعض الأمراء المسلمين ولكنه هزم فى سنة ١٧٦٤ واضطر إلى أن يترك لهم البنكال.

لقد كان شاه عالم مهزوز الشخصية واستطاع أحد القواد القضاء تماما على سيطرته، وتدخل الإنجليز ليبسطوا سلطاتهم بحجة حمايته وكانوا يدفعون له راتبا شهريا مقابل إدارتهم شئون البلاد باسمه وذلك فى سنة ١٨٠٤.

توفى شاه عالم فى سنة ١٨٠٦ وتولى بعده ابنه أكبر الثانى وقد استمر فى الحكم حتى سنة ١٨٣٧ وذلك تحت سيطرة الإنجليز وحمايتهم والذين وقعت الهند كلها تقريبا تحت سيطرتهم، وخلفه ابنه (سراج الدين أو ظفر بهادور شاه) وكان يتقاضى راتبا سنويا من الإنجليز و لم يكن له أى نفوذ، وقد وجه الإنجليز إليه إنذارا بأنه آخر ملك يسكن القلعة الحمراء فى دلهى لانها ستصبح ثكنة عسكرية وان مرتباته ستنتهى بوفاته، وقد قامت الثورة فى عهده ضد حكم الانجليز وقد فشلت هذه الثورة وقبض على الملك ونفى إلى رانكون فى بورما مع

زوجته وبعض من أولاده، ومات آخر ملوك الهند فى نفيه ولتصبح الهند كلها مستعمرة إنجليزية.(٨)

الاستعمار البريطانى فى الهند

كانت حضارة المغول مزيجا من حضارة الإسلام وحضارة الهند، وكان حكام المغول رغم أنهم أتوا للهند من خارجها يحكمون لصالح الشعب وأصبحوا مع الأيام من أبناء الهند وتزاوج الأمراء المغول مع الأسر الهندية الكبيرة وبذلك ارتبط العرش بالشعب برابطة مقدسة، فكان الملوك يقبدون أنفسهم من هذا الشعب الهندى، فكان حكما وطنيا إسلاميا بنى على أساس التسامح الدينى مع شعب غالبيته من الهندوس.

ولكن رغم ذلك ظلت هناك قوى هندوسية قوية متعصبة تتطلع إلى الحكم وترغب فى تقويض أركان الحكم الإسلامى، وظلت متمسكة بعقائدها القديمة ولغتها أيضا وأقوى هذه الدول فيجايانا جار.

لقد كان الصرع المغولى الهندوسى إلى جانب تفكك الدولة المغولية سببا رئيسيا فى التمهيد لتفوق قوى جديدة خارجية، استقرت على سواحل الهند لفترة كالبرتغال، أوتعمقت فى داخل البلاد مثل بريطانيا.

وإلى جانب تفكك الدولة المغولية لم تكن القدرات العسكرية لقوى الهند الداخلية على مستوى تلك الدول المهاجمة، إلى جانب ضعف السياسة الخارجية عامة، كما أن المسلمين والهندوس لم يقوموا ببناء قوة بحرية، وذلك فى عصر القوى البحرية، وقد اصطدمت إمارة كجرات فى شمال غرب الهند بالبرتغاليين وكذلك كاليكوت.

وكانت امارة كجرات امارة إسلامية قوية وكانت لها علاقات تجارية مع البلاد العربية وشرق أفريقيا، وجاء البرتغاليون وانقضوا على السفن الإسلامية

ينهبونها ويحرقونها ويأسرون ركابها، واستنجدت الاماره بقنصوه الغورى سلطان دولة المماليك فى مصر والشام، وكذلك بالسلطان سليم سلطان الدولة العثمانية.

ونازل الغورى البرتغاليين بأسطول كبير وذلك فى موقعة ديو سنة ١٥٠٩ ولكن ظل البرتغاليون محتفظين بحصونهم على شواطىء الهند.

وقد ظل البرتغاليون فى الهند ما يقرب من قرن، ثم بـدت الامبراطورية البرتغالية فى الانهيار تحت تأثير قوى بحرية جديدة أهمها هولندا وفرنسا وبريطانيا، واعتمدت هذه القوى على الشركات التجارية، وكانت أساطيلها قادرة على الوقوف أمام البرتغال.

كانت شركة الهند الشرقية من أشهر الشركات التجارية التى ظهـرت فى مطلع القرن السابع عشر، وقد قامت هذه الشركة بإنشاء وكـالات على السواحل الهندية مقابل مبالغ يدفعونها للحكام، ولم يكن المغول على معرفة بخطورة هذه الشركة، ولم تكن الوكالة أو المركز الا قطعة من الأرض مسورة، وكان يقوم بحراستها حراس وطنيون ثم جعلوا الحراس من الإنجليز، وأخـذوا فى تسليحهم بحجة الحراسة، ومن هنا تكون الجيش الانجليزى من الانجليز ومن أبناء البلاد. وقد بدأت الشركة ضعيفة فى أول الأمر، واعتمد الانجليز على التودد إلى حكام الهند وتقديم الهدايا، وتقبل الحكام هؤلاء التجار الانجليز بصـدر رحـب وذلك لكراهيتهم للبرتغاليين. وكانت الشركة تقوم بنقل بضائع الهند إلى أوربا، ولكن بعد الانقلاب الصناعى أخذت الشركة فى نقل انتاجها الصناعى الضـخم إلى الهند، وأصبحت فى حاجة إلى الأسواق فى داخل الهند نفسـها، وفى ذلـك الوقت كانت الدولة المغولية على حافة النهاية، وزاد الأمر باعتماد الإنجليز على جماعة من التجار الهنود يعرفون باسم "البنيان" وهم جماعة حريصة علـى جمـع المال، فعاونوا الإنجليز معاونة فعالة، مقابل مساعدة الانجليز لهم فى كسب ثروات هائلة، وكانت غالبية هذه الفئة من الهندوس، وكانوا على عداء من المسـلمين،

ولذلك كان من أغراضهم القضاء على نفوذ الحكومية المركزية ومقاومة أى حاكم قوى للمنطقة الساحلية، ولذلك قاموا بمعاداة سراج الدولة نائب السلطان فى البنكال.

سراج الدولة

رأى سراج الدولة ان الإنجليز يتدخلون فى شئون الحكم، فعمل على السيطرة على مراكز الانجليز على الساحل وخاصة فى فورت وليم، فهاجم حصن الانجليز فى فورت وليم فى كلكتا واستطاع هزيمة الإنجليز ومن عاونهم من قوى الهندوس، واستولى على الحصن فى ٢٠ يونيو سنة ١٧٥٦ واعتقل عددا من الإنجليز ، ولكن الإنجليز سرعان ما استعانوا ببحريتهم واستردوا الحصن وعقدوا معه الصلح.

وقد تفادى سراج الدين الدولة الحرب معهم بعد ذلك ما أمكنه، ولكن بريطانيا أسندت الأمور إلى كليف وكانت مهمته القضاء على سراج الدولة الذى كان يعتمد على بعض ضباط فرنسا فى تدريب جيشه، وفرنسا فى ذلك الوقت فى حرب مع بريطانيا وحلفائها — (حرب السنوات السبع).

قام كليف بمفاوضة مير جعفر وهو من أقرب رجال سراج الدولة على أن يخون سيده أثناء الحرب، ولما اطمأن كليف إلى مير جعفر رفض المعاهدة، وهاجم سراج الدولة بجيش من ثلاثة الاف من الانجليز والهندوس، أما جيش سراج الدولة فكان ستين الفا، وفى معركة بلاس ٢٢ يونيو سنة ١٧٥٧ خان مير جعفر، سراج الدولة طبقا للاتفاق، وأبيد جيش سراج الدولة، وأسر هو نفسه وأعدم، وتولى مير جعفر حكم البنغال ثمنا لخيانته ومنذ ذلك الوقت دخلت البنغال فى حكم الإنجليز. وقد حاول مير قاسم خليفة جعفر على حكم البنغال استرداد نفوذه وطرد الإنجليز بمساعدة السلطان شاه عالم، لكن فى معركة بوكسار سنة ١٧٦٤ انهزمت القوات المغولية، واضطر السلطان أن يترك لهم

البنغال وأوربا وبيهار وغيرها، وبعد أن تم للإنجليز إخضاع معظم مناطق الهند اتجهوا إلى ولاية ميسور.

ولاية ميسور

كان حيدر على جنديا فى جيش ولاية ميسور، وتقع على الشاطىء الغربى فى جنوب الهند، وأخذ يترقى فى الجيش واستطاع الوصول إلى الحكم، وأحاطت بحيدر قوى معادية فكان نظام حيدر على راغبا فى التوسع على حساب ولاية ميسور، كما تطلع المراهتا إلى ذلك، كما خشى الإنجليز من قوة حيدر على، وعلى أساس ذلك تحالف الإنجليز مع تلك القوى ثم هجموا من مدراس على ميسور ولكن حيدر على استطاع أن يردهم على أعقابهم، ثم هجم فى سنة ١٧٦٩ على مدراس مما اضطر الإنجليز إلى طلب الصلح وفق شروطه مع عقد معاهدة دفاعية معه، ولم ينقض على تلك المعاهدة عام واحد حتى هاجم المراهتا ميسور، ولكن الإنجليز لم يساعدوا حيدر مما أدى إلى هزيمته، فقام بتكوين جيش ضخم واستعان بالفرنسيين فى ذلك مما أدى إلى هزيمته للمراهتا واسترداد أملاكه التى كان قد فقدها، ثم اتجه لمحاربة الإنجليز ولكن بعد حرب الاستقلال الأمريكية نفضت فرنسا يدها من معاونة حيدر على فكان عليه مواجهة الإنجليز وحده، مما اضطره إلى التراجع إلى الداخل تحت ضغط الإنجليز، وتوفى سنة ١٧٨٢ وخلفه ابنه فتح على وهو المشهور بتيبو سلطان.

فتح على "تيبو سلطان"

كان فتح على قد عرف بشجاعته، وواصل الحرب التى بدأها أبوه، وهاجمه الإنجليز من الشمال على الساحل ولكه هزمهم وأسر العديد منهم، فلجأ الإنجليز إلى محالفة نظام حيدر أباد والمراهتا ضده وذلك فى سنة ١٧٦٠، على أساس أن تقسم ميسور بينهم عند الاستيلاء عليها، ثم هجموا على ميسور ولكن

تيبو استطاع ردهم وتعقبهم، ثم هاجموه مرة أخرى واضطر إلى عقد الصلح "أتفاقية سرنجا باتام" سنة ١٧٩٢ التى فقد فيها الكثير من أملاكه.

تطلع تيبو إلى فرنسا التى أعلنت الحرب على بريطانيا فى سنة ١٧٩٢ وفكر بونابرت فى حملته على مصر، وكانت من آمال بونابرت الاتصال بتيبو والتعاون معه، وبعثت حكومة الإدارة برسالة إلى تيبو تشجعه على محاربة الإنجليز والتعاون مع فرنسا، ووقعت هذه الرسالة فى يد الإنجليز وكان الجيش الفرنسى قد وصل إلى مصر، وكان على الإنجليز ان يقضوا بسرعة على تيبو، فهجموا بجيش ضخم على ميسور وهاجموا تيبو فى عاصمته سرنكا باتام ثم قام الإنجليز بالاتصال بأحد قواده وهو مير صادق وذلك ليفتح لهم أبواب القلعة، فخان مير صادق تيبو وفتح أبواب القلعة، ولكن تيبو استبسل فى الدفاع واستشهد وسيفه فى يده.

وبعد القضاء على تيبو توسع الإنجليز بسرعة داخل الهند وقضوا على مقاومة المراهتا الذين حالفوهم ضد تيبو وأصبحت الهند كلها فى يد الإنجليز.

ثورة الهند الكبرى

لقد أستأثرت شركة الهند الشرقية بكل الامتيازات وأصبح أهل الهند كلها فى حالة شديدة من السوء، وكانت الفجيعة أكبر بالنسبة للمسلمين، فقد ظل الحكم الإسلامى فى الهند مدة ثمانية قرون ونصف، ووصل المسلمون إلى مناصب الدولة العليا، فكان منهم الحكام والقواد عدا قليل من الهندوس، كما كان منهم القضاة، أما الهندوس فكانوا فى غالبيتهم متجهين للتجارة والزراعة مشاركين أيضا فى وظائف الدولة، وحينما جاء الإنجليز أخذوا جانب الهندوس وأطلقوهم على المسلمين يكيلون لهم أصناف العذاب وذلك فى أكثر من مكان، وكان السيخ والمراهتا من القسوة بمكان على المسلمين، وجرت مذابح رهيبة كان ضحاياها آلاف من المسلمين. وكان ذلك يجرى تحت أعين الإنجليز وبرضائهم.

وعمل الإنجليز ما فى وسعهم للوقوف أمام الدين الإسلامى فعطلوا التعليم الإسلامى وفى الكتاتيب والمساجد والمدارس وذلك عن طريق الاستيلاء على الأوقاف الخيرية الإسلامية وهى الممول لتلك الكتاتيب والمدارس. ثم عمدوا إلى تغيير القوانين الإسلامية كلية وعزل القضاة المسلمين وتعيين قضاة منهم يحكمون على أساس قوانينهم كما حدث فى البنغال بعد سنة ١٨٦٤م.

أما الهندوس ففتحوا لهم أبواب التعليم وذلك على النظام الإنجليزى وبذلك أصبح الهندوس قادرين على الوصول إلى المناصب الحكومية إلى جانب الإنجليز، وفى نفس الوقت كانت أعداد المتعلمين المسلمين قليلة جدا، وإلى جانب ذلك كان الإنجليز كثيرا ما يستولون على أملاك المسلمين ويعطونها للهندوس، كما كانوا يعزلون الموظفين المسلمين ويعينون بدلا منهم الهندوس.

موقف العلماء

كان لهذه الحركة أثر فى ظهور عدد من رجال الدين المدافعين عن الإسلام والداعين إلى التمسك بتعاليمه والوقوف أمام الهندوس وإنقاذ الهند الإسلامية من الإنجليز ، فهب الشاه عبد العزيز بالمناداة بالجهاد فى سبيل ابقاء الحكم الإسلامى وأصدار فتواه بأن الهند الآن أصبحت دار حرب لا دار سلام وعلى المسلمين جميعا ان ينهبوا للجهاد، وانتصرت دعوته فى كل أرجاء الهند، وقد دفع هذا سيد أحمد عرفان بالقيام بدعوته وكان عالما متفقها فى الدين ومحاربا، وكان يرغب فى العودة إلى نقاء العقيدة والبعد عن البدع، كما أراد توحيد القوى الإسلامية ضد عدوان الانجليز والهندوس، وخاض معارك متتالية ضد السيخ، واستطاع الانتصار فى كثير من هذه المعارك، ولكن رغم ذلك ظهر من شكك فى دعوته وقد استشهد سيد أحمد فى سبيل دعوته.

لقد كان هناك سخط عام فى الهند على الاستعمار، ولكن الهند كانت فى حالة شديدة من التفكك ، ولكن فكرة الثورة كانت موجودة فى الشمال حيث يكثر المسلمون وكانت هذه المناطق تنتظر الفرصة لكى تعلن الثورة.

الثورة

بدأت الثورة بين الجنود المسلمين فى الجيش البريطانى فى ميرت، فقد جلب الإنجليز شحم الخنازير والبقر لتشحيم البنادق وكان على الجنـود قطـع هـذا الشحم، وحيث أن الإنجليز أمروا الجنود بقطعه بأسنانهم وكانت أغلبية الجنود من الهندوس والأقلية من المسلمين والبقر محرم على الهندوس وكذلك الخنازير محرمة على المسلمين ، ولذلك تذمر عدد من الجند ضد هذه الأوامر، ولكن الإنجليـز أنزلوا بهؤلاء الجند أشد العقاب وحكموا على خمسة وثمانين منهم بالسجن عشر سنوات، وأدى ذلك إلى تذمر باقى الجند، فانقضوا على ضباطهم وانطلقـوا إلى دلهى معلنين الثورة بعد أن هزموا الجيش الإنجليزى هناك.

انتشرت الثورة فى دلهى بدون قيادة منظمة ولذلك أصدر الثائرون مـن المسلمين والهندوس إعلانا مشتركا باختيار الملك المغولى بها دور شاه قائدا لهـذه الثورة وكان الملك شيخا كبيرا غير قادر على قيادة ثورة عارمة، أما قيادة الجنود الثائرة فتولاها بعض أبناء الملك، وقام الثوار بقتل عدد كبير من الإنجليز وكانت الحماسة فى كل شىء. ولم يكن الثوار على مستوى حربى للوقوف أمام القوات البريطانية المدربة إلى جانب الموالين لهم من الهندوس.

وفى اثناء الثورة ترك الملك قلعته مع أهله وأولاده والتجأ إلى مقبرة همايون بعيدا عن مواطن الخطر، وكان معظم المحيطين به على صـلة بـالانجليز، وأدى موقف الملك إلى ضعف جبهة الثوار، واستطاع الإنجليز السيطرة على البلاد بعد أن استمرت الثورة أربعة أشهر.

والحقيقة أن نجاح الإنجليز يرجع إلى أن الثورة لم تقم كلها فى وقت واحد، مما أتاح للإنجليز فرصة التفرغ لمنطقة بعد أخرى، وإلى جانب ذلك انضم السيخ إلى الانجليز مما أدى إلى فشل الثورة، وكادوا يسيطرون على البنجاب، ولاشك أن تفرق أهل الهند واختلافهم سهل مهمة الإنجليز إلى حد كبير.

قام الإنجليز بالقبض على الملك فى مقره بمقبرة همايون هو ومن معه وساقوهم مقيدين، وفى الطريق أطلق ضابط انجليزى بندقيته على أبناء الملك وقتل ثلاثة منهم ثم قطعت رؤوسهم وقدموا الطعام للملك فى سجنه فى إناء ورفع الغطاء ليجد رؤوس أبنائه الثلاثة ثم علقت هذه الرؤوس على بوابة فى نيودلهى.

أما الملك فقد حوكم فى ٢٧ يناير سنة ١٨٥٨ ووجهت إليه تهم التعاون ضد الشركة ومشاركته فى قتل ٤٩ من الإنجليز، ودافع الملك عن نفسه وكان من رأى الجميع إعدامه، ولكن استبدل ذلك بالنفى إلى رانكون عاصمة بورما ومعه زوجته وباقى أولاده، وفى أول فبراير سنة ١٨٥٨ صدر قرار بنقل حكم الهند من الشركة إلى الحكومة البريطانية وذلك فى عهد الملكة فيكتوريا.

وانقضت القوات البريطانية وأعوانها من رجال السيخ على المسلمين بشكل وحشى فقتلوا مئات الآلوف وأحرقوا المدن والأسرى ووجدوا فى الثورة فرصة للقضاء على المسلمين والإسلام.(٩)

قيام دولة باكستان

بدأ الهنود سواء كانوا مسلمين أم هندوس فى الأخذ بالفكر الغربى، وبدأت حركة التحرير فى الهند، وطالبوا بالحكم الذاتى وكانت بريطانيا قد أوجدت بعض المؤسسات التمثيلية الانتخابية وأهمها المجلس التشريعى، كما أنشأوا المؤتمر الهندى وذلك فى سنة ١٨٨٥ وكان يتبادل رئاسته مسلم وهندوسى، وقد أخرج هذا المؤتمر زعماء الهند.

وكان الزعماء يرون أن الوقت قد حان لتخليص البلاد من الاستعمار البريطاني، وطالب أعضاء المؤتمر بتحرير البلاد وذلك بالتدريج، ولكن الخلافات بين الزعماء سواء كانوا مسلمين أو هندوس بدأت تظهر حول ما يمكن أن يحدث بعد حصول الهند على استقلالها، والسبب في هذه الخلافات هي سياسة الإنجليز، فقد قامت على أساس فرق تسد وذلك بين المسلمين والهندوس، فاحتضنوا الهندوس وعملوا على اثارة الاحقاد، وقد اضطهدوا المسلمين وأدت هذه المحاولة إلى أن يفتك الهندوس بالمسلمين ولم يكتف الإنجليز بذلك بل فرقوا بين المسلم والمسلم بتقسيمهم إلى فرق بين موالين لهم ومعارضين.

تقسيم البنغال

بدأت الخلافات تشتد في سنة ١٩٠٥ عندما قام لورد كيرزون بتقسيم البنغال إلى منطقتين منطقة إسلامية يكثر فيها المسلمون ومنطقة هندوسية يكثر فيها الهندوس (البنغال الغربية) وقد سعد المسلمون بذلك التقسيم وغضب الهندوس واعتبروا ذلك تشجيعا للمسلمين لاقتطاع بعض مناطق الهند لهم، وخاصة أن الإنجليز كانوا محتضنين للهندوس، وبذلك دب الخلاف الشديد بين المسلمين والهندوس، ووقف المؤتمر وقفة شديدة ضد هذا التقسيم على أساس أنه خطر سوف يعم الهند كلها، ثم قام الإنجليز بالاستجابة لمطالب المسلمين الخاصة بتحديد مقاعد خاصة بهم في الانتخابات المحلية حتى لاتطغى الاعداد الهندوسية في حالة اجراء انتخابات عن طريق التصويت العام.

الرابطة الإسلامية

أمام موقف المؤتمر الهندى ظهرت حركة تضامن إسلامية ترى في المؤتمر مظهرا من مظهر التسلط الهندوسي على المسلمين، وأن على المسلمين أن يعبروا عن آرائهم، ومن هنا نشأت الرابطة الإسلامية وذلك في سنة ١٩٠٦ لتواجه تحدى الاستعمار البريطاني والمؤتمر الهندى وكانت أهم أهداف هذه الرابطة:

- حماية حقوق المسلمين والتقدم بمطالبهم إلى الحكومة.
- تقريب وجهات النظر بينهم وبين المستعمر وإزالة الجفوة التي كانت قائمة من قبل حتى يستطيع المسلمون الحصول على حقوقهم.
- لا يعني ذلك التحرش بالطوائف الأخرى بل يجب أن يظل الجميع المودة وحسن التفاهم.

وبذلك اصبح للمسلمين هيئة تمثلهم وترعى مصالحهم ، ولكنها ظلت هيئة سياسية محدودة لا تستطيع الوقوف أمام المؤتمر الهندى حتى مال إليها محمد على جناح عضو المؤتمر الهندى وذلك اعتبارا من سنة ١٩١٣.

حركة غاندى

خلال الحرب العالمية الأولى اتجهت الحركة الوطنية بزعامة غاندى إلى الضغط على بريطانيا لنيل الهند استقلالها، وروح حركة غاندى فى استعمال الأساليب السامية فى تحدى بريطانيا وعدم التعاون معها، أى المقاومة السلبية أو عدم العنف ويشرح هذه الفكرة للناس، وكان المسلمون أسرع الناس فى فهم حركته والانضمام إليه.

أدت حركة غاندى إلى الوحدة بين أبناء الهند وخاصة الهندوس والمسلمين، ورغم أن المسلمين كانوا مؤمنين بحركة غاندى وأسرعوا فى الانضمام إليه، إلا أن بعض الزعماء المسلمين - مثل محمد على جناح - لم يقتنعوا بفكرة المقاطعة وكان من رأيه أن المقاطعة السلبية تضر الشعب الهندى الفقير، وأن الحل هو إنشاء المصانع لتقف بقوة أمام الصناعة البريطانية، وبذلك تقاطع المصنوعات البريطانية وبضائعها بدون ضرر على الشعب، ولكن ذلك لم يضعف من حركة غاندى التى شملت الهند كلها ووقفت الهند كلها صفا واحدا ضد الاستعمار بلا تفرقة دينية أو طائفية، تحت زعامة غاندى.

ولكن مرة أخرى قامت إنجلترا بسياسة فرق تسد وأخذت كل طائفة تتحرش بالأخرى، وقام كثير من زعماء المسلمين الذين كانوا يجمعون بين عضوية المؤتمر الهندى والرابطة الإسلامية بالابتعاد عن عضوية المؤتمر، على أساس عدم اهتمامه بمصالح المسلمين.

وقد استمرت الاضطرابات بين الهندوس والمسلمين وبلغت ذروتها فى سنة ١٩٢٧ رغم عقد المؤتمرات لمحاولة الإصلاح بين الجانبين.

المؤتمر الإسلامي

تنبه المسلمون إلى أن ما يقوم به المؤتمر الهندى فى غير صالح المسلمين، ولذلك عقد مؤتمر إسلامى عام فى دلهى فى سنة ١٩٢٨ لبحث وجهات النظر الإسلامية وقد قرر المؤتمر تبنى عدة مبادىء هى:

- بالنظر إلى اتساع الهند وتعدد أجناسها، فإن شكل الحكم الوحيد الذى يلائم الأحوال الهندية هو النظام الفيدرالى ، الذى يمنح الولايات التى يتألف منها الحكم الذاتى.
- أن حق المسلمين فى انتخاب ممثليهم فى مختلف المجالس التشريعية الهندية هو اليوم قانون البلاد ولا يمكن للمسلمين أن يجردوا من هذا الحق دون موافقتهم.
- فى المناطق التى يشكل المسلمون فيها أقلية، يجب أن تكون لهم حصتهم العادلة فى الوزارات المركزية والاقليمية.
- أن يطبق ذلك على الأقليات الهندوسية فى الأقاليم التى تسكنها أغلبية إسلامية وعلى وجوب تعيين نسبة عادلة من المسلمين فى المصالح الحكومية والتعهد بحماية الثقافة واللغات، والمؤسسات الخيرية الإسلامية وكذلك الدين وقانون الأحوال الشخصية للمسلمين.

رفض المؤتمر الهندى هذه المقترحات مما أثار خوف المسلمين وخشوا على أنفسهم وعلى حقوقهم إذا وصل الهندوس إلى الحكم.

مبادىء محمد على جناح

اشتدت معارضة محمد على جناح لغاندى وحزب المؤتمر وذلك لتعاون الحكم البريطانى مع المؤتمر فأعطى للهند دستورا طابعه العام هندوكيا، مما يؤدى إلى القضاء على المسلمين بعد فترة، وقدم محمد على جناح مبادئه الأربعة عشر على أساس قبولها فيدخل مع الرابطة فى حركة وطنية متحدة ضد الإنجليز أو رفضها فيطالب بانفصال المسلمين عن الهندوس فى كل المجالات ومن هذه المبادىء:

- سن دستور أساسى للهند يخول لكل مقاطعة الصلاحية التامة فى الحكم المباشر.
- مساواة جميع المقاطعات فى الحقوق والامتيازات.
- أن يكون ربع المقاعد لممثلى المسلمين فى المجلس النيابى الذى سيؤسس بمقتضى الدستور.
- أن يضمن الدستور الهندى الجديد الحرية التامة المطلقة لجميع الملل والمذاهب من إقامة الشعائر والتعليم وغير ذلك.
- فصل مقاطعة السند عن بمباى فصلا تاما بغير قيد أو شرط.
- مراعاة حقوق المسلمين فى سائر الامارات المستقلة بما يتفق والحرية الدينية التامة والعدالة الكاملة فى سائر الحقوق والوظائف.
- ان يضمن الدستور الهندى الجديد الحرية التامة للمسلمين فى إقامة شعائرهم الدينية وصيانة حقوقهم ومقدساتهم وأماكن معتقداتهم والمحافظة على ثقافتهم الدينية فى التعليم واللغة وفى سائر المقاطعات والولايات

المستقلة، وان تخصص كل ولاية منحة مالية تصرف سنويا على الشئون الإسلامية.

- أن لاتؤلف وزارة من الوزارات أو حكومة من الحكومات فى المقاطعات الهندية مالم يمثل فيها المسلمون بنسبة الثلث.

و لم يوافق المؤتمر على هذه المبادىء وقرروا السير بدون الرابطة الإسلامية، وكان فى داخل المؤتمر عدد من زعماء المسلمين المؤمنين ببقاء الهند وحده واحدة.. وفكره التقسيم ترجع إلى الشاعر محمد اقبال فهو أول من نادى بدوله خاصة بالمسلمين وجمع القلوب حوله بشعره الإسلامى.

وفى سنة ١٩٣١ قام الإنجليز بفتح باب المفاوضات مع الرابطة الإسلامية إيمانا بسياسة فرق تسد، وبدأ الإنجليز فى التفكير جديا فى اعطاء الهند استقلالها نظرا لظروف الهند وتكاليف السيطرة والأمن ، فأعطوها دستورا سنة ١٩٣٥، واستطاع محمد على جناح تقوية الرابطة بالقاعدة الشعبية وأدت سياسته إلى نجاح الرابطة فى انتخابات ١٩٣٨ و ١٩٤٢.

الرابطة الإسلامية والتقسيم

أعلن المؤتمر الهندى عدم اشتراكه فى الحرب العالمية الثانية إلى جانب بريطانيا إلا إذا أعطت وعدا باستقلال الهند على أساس وحدتها فقامت الرابطة بعقد اجتماع عام فى لاهور سنة ١٩٤٠ واتخذت فى هذا الاجتماع قرارا بانشاء الدولة الإسلامية فى الهند وإقامة باكستان، وذكرت فى هذا القرار "انها لن تقبل أى تعديل فى الدستور أو ترضى أى حل إلا إذا قام على أساس ايجاد حكومة ديمقراطية اتحادية إسلامية، تجمع بين الولايات التى للمسلمين فيها أكثرية معتبره".

وفى ٤ أغسطس سنة ١٩٤٦ اختار نائب الملك الزعيم نهرو ليكون نائبا لرئيس الوزراء، فقام محمد على جناح ردا على ذلك بدعوة المسلمين لرفع الأعلام السوداء على المنازل والمتاجر، وبدأت الصراعات الطائفية مرة أخرى،

وبذل المؤتمر محاولاته فى فرض الوحدة على المسلمين وذلك بالمذابح وقوة البطش، ففى أغسطس سنة ١٩٤٦ وقع فى كلكتا صدام عنيف بين المسلمين والهندوس، مما أدى إلى مصرع أوبعة آلاف من الطائفتين، أما فى بيهار فقد لقي ثمانية آلاف مسلم حتفهم، وإزاء عنف الحوادث قبل حزب المؤتمر فكرة التقسيم وأعلن الموافقة على ذلك فى ٣ يونيو سنة ١٩٤٧.

وقد وافق الزعماء المسلمون والهندوس على أن يعلن استقلال الهند فى ١٥ اغسطس سنة ١٩٤٧ وأن يسلم الحكم للدولتين وبذلك قامت دولة باكستان وكان أول حاكم لها محمد على جناح.(١٠)

كشمير بؤرة للتوتر الدولي المعاصر:

لقد تم تقسيم الهند سنة ١٩٤٧ إلى دولتين الهند وباكستان على أساس مبدأ قبلته كل من الحكومة البريطانية والهندوس والمسلمين، ويقضى هذا المبدأ بأن تنضم الأراضى ذات الاغلبية الهندوكية إلى الهند، والأراضى ذات الأغلبية المسلمة إلى باكستان.

وهكذا وبعد التقسيم فى ١٥ أغسطس ١٩٤٧ نشأت دولتا الهند وباكستان. وكان هناك بعض الولايات المرتبطة بالتاج البريطانى ارتباطا مباشرا. وعندما صدر مرسوم الاستقلال فانه نص على أن هذه الولايات حرة فى أن تظل مستقلة أو تنضم إلى الهند أو إلى باكستان. ونصح اللورد مونتباتن Mountbaten نائب الملك - قبل التقسيم - حكام تلك الولايات أن يتدبروا أمرهم، وينضموا إلى أى من الدولتين، قبل أن يحل موعد انتقال السلطة، مراعين فى تصرفهم رغبات شعوبهم. (١١)

ويوم الاستقلال كان جميع الأمراء قد اتخذوا قرارهم بالانضمام إلى إحدى دولتى الهند ماعدا أربع ولايات وهى كبورتملة، وجونكدا، وحيدر أباد وكشمير. (١٢) وقد ضمت الهند الثلاث ولايات الأولى إليها بالقوة، وبقيت كشمير هى المشكلة، نظرا لأن أغلبية سكانها مسلمون، وتوقع زعماء باكستان أن كشمير ستنضم إلى دولتهم، رغم أن حاكمها كان هندوسيا، وخاصة بعد أن نادى زعماء الهند بوجوب الرجوع إلى إرادة الشعوب فى الولايات دون حكامها. (١٣)

وعلى أية حال تردد المهراجا هارى سنغ فى إعلان انضمامه إلى إحدى دولتى الهند، وان كان يميل فى داخله للانضمام إلى الهند وليس لباكستان.

وظل حاكم كشمير مترددا حتى اكتوبر ١٩٤٧، حين اندفع الآلاف من المقاتلين من الباتان المسلمين إلى كشمير، فما كان من المهراجا إلا أن انتقل إلى جامو وسط الأغلبية الهندوسية. وتمكن الثوار من إنشاء حكومة فى جزء من كشمير أطلقوا عليه آزاد كشمير أو كشمير الحرة. (١٤)

وهنا استنجد المهراجا بالهند، التى رفضت أن تقدم له أى مساعدة إلا بعد أن يعلن انضمامه إليها. (١٥)

وفى محاولة لتقييم ولاية كشمير - جامو - لاداخ، نوضح أن هذه الولاية تقع فى أقصى الطرف الشمالى الغربى لشبه القارة الهندية، وينحصر هذا الاقليم بين أربع دول هى الهند وباكستان والصين وأفغانستان. وقد استطاعت كشمير وهى تحت السيطرة البريطانية أن تبسط سلطانها على ولايتى جامو ولاداخ. وتبلغ مساحة كشمير والمناطق الملحقة بها ٨٤,٤٧١ ميلا مربعا.

وفى عام ١٩٤٧ كان عدد سكان كشمير ٤,٢١,٦١٦ نسمة، ولكن فى عام ١٩٦١ تناقص عددهم إلى نحو ٣,٦ مليون نسمة لاندلاع الحروب عدة مرات فى الاقليم، وهجرة الكثير من السكان إلى داخل دولة باكستان. وتقدر نسبة عدد المسلمين فى أقاليم كشمير بنحو ٩٣% فى كشمير، ٦١ فى جامو، ٨٧% فى أقاليم الحدود.

وترجع أهمية كشمير إلى إمكانية إنشاء قواعد عسكرية بها نظرا لاتساع رقعتها وموقعها الاستراتيجى، وتنوع مواردها، وكذلك لسيطرتها على موارد المياه الرئيسية التى تعيش عليها دولة باكستان. (١٦)

وعلى أية حال فقد أعلن المهراجا انضمامه للهند سنة ١٩٤٧، وهكذا وصلت القوات الهندية المدعمة بالطائرات والدبابات والأسلحة الثقيلة لقمع الثوار المسلمين فى كشمير (١٧). وتعتبر هذه المواجهة هى الحرب الأولى بين الهند

وباكستان على كشمير. واستمرت هذه الحرب حتى أول يناير ١٩٤٩ عندما توقفت تنفيذا لقرار مجلس الأمن، وذلك تمهيدا لاجراء استفتاء لتقرير مصير كشمير... إلا أن هذا الاستفتاء لم يتم حتى الآن... ومازالت باكستان تطالب بتطبيق القرار، واجراء الاستفتاء، ولكن الهند ترفض هذه الفكرة تماما. (١٨)

وعلى أية حال، كانت نتيجة هذه المواجهة العسكرية الأولى بين الهند وباكستان للصراع على كشمير هي تقسيم كشمير إلى منطقتين، تسيطر الهند في منطقتها على ثلثي الولاية، بينما تسيطر باكستان على الثلث الباقي. (١٩)

وعلى الرغم من جهود مجلس الأمن مع دولتي الهند، فقد أخفقت الجهود في اجراء الاستفتاء في كشمير، والذى كانت تعارضه الهند تماما، لأنها كانت تعلم بالنتيجة مقدما، وهي رغبة شعب كشمير في الانضمام إلى باكستان. (٢٠)

وكانت النتيجة الحتمية لفشل المساعي الدولية في حل مشكلة كشمير هي زيادة التوتر بين الهند وباكستان. وزاد من هذا التوتر القرار الذى أصدره وزير الداخلية الهندى في أول يناير ١٩٦٥ بأن كشمير جزء لايتجزأ من الهند. كما صرح وزير الدفاع الهندى بأن القوات الهندية تعتبر خط وقف إطلاق النار هو الحد الرسمى بين الهند وباكستان في كشمير. وازداد توتر العلاقات عندما أعلن رئيس وزراء الهند بأن كشمير جزء من الهند، وبالتالى فانه لاداع لإجراء استفتاء على مصيرها، مما قطع الأمل لدى أهالى كشمير في تحقيق الاستقلال أو الانضمام إلى باكستان. (٢١)

وهكذا اندلعت الحرب الثانية في ٥ أغسطس ١٩٦٥ بين الهند وباكستان في سبتمبر ١٩٦٥، واستمرت لمدة سبعة عشر يوما. وقد عقد مجلس الأمن جلسة طارئة في ٢٢ سبتمبر ١٩٦٥، وأصدر القرار رقم ٢١١ بوقف إطلاق النار، وسحب القوات إلى المواقع التى كانت فيها قبل ٥ أغسطس ١٩٦٥. وفي يناير

١٩٦٦ وقع الرئيس الباكستانى ورئيس وزراء الهند على اتفاقية سلام طشقند، التى أنهت هذه الحرب الثانية، والتى لم تتمخض عنها نتائج واضحة.

وفى الحرب الثالثة سنة ١٩٧١ اقتحمت القوات الهندية شرق باكستان، وشطرت المنطقة عن الوطن الاب باكستان، لتظهر دولة بنجلاديش الاسلامية إلى حيز الوجود. وكانت كشمير بؤرة الصراع التى أدت إلى هذه الحرب، وهى التى أدت إلى تقسيم دولة باكستان نفسها إلى قسمين أو دولتين. وقد تم عقد اتفاق ثنائى وقعه رئيسا الدولتين الهند وباكستان لانهاء العمليات العسكرية.

والواقع فان الجانب الأكثر خطورة للخلاف بين الهند وباكستان يتمثل فى الشكوك بين الشعبين والحكومتين، والتى توجد إحساسا مزمنا بالعداء بين الدولتين. ولذلك فان أى تطورات عسكرية أو تسليحية تطرأ لدى أى طرف منهما تثير بالضرورة الشك والقلق لدى الطرف الآخر، الذى يعتبرها موجهة ضده بطريقة أساسية. ولذلك اهتمت الدولتان بتطوير قدراتهما العسكرية والنووية، حيث دخل الجانبان على مدى العقدين الأخيرين فى سباق تسلح شمل كافة المجالات التقليدية والنووية، واتجهت الدولتان فى هذا الاطار نحو امتلاك القدرات النووية. وقد زاد الاهتمام الهندى بالتسلح النووى عقب فوز حزب بهارتيا جناتا الهندوسى المتطرف فى انتخابات عام ١٩٩٨، والذى كان قد تعهد فى برنامجه الانتخابى بتحويل الهند إلى قوة نووية بمجرد وصوله إلى السلطة. وفور تشكيل الحكومة، بدأ مسئولو حزب بهاراتيا جناتا فى التحضير سرا للتجارب النووية. وقام العلماء بإجراء ثلاث تجارب نووية فى ١١ مايو ١٩٩٨، ثم اتبعوها بتجربتين فى ١٣ مايو، مما دفع باكستان بدورها إلى إجراء ست تجارب نووية يومى ٢٨، ٣٠ مايو ١٩٩٨، ردا على التجارب النووية الهندية، وهو ما أدى إلى دفع الصراع الهندى الباكستانى إلى آفاق بالغة الخطورة، لأن هذا الصراع لم يعد

قاصرا على مواجهات عسكرية تقليدية، ولكنه دخل إلى مرحلة السباق النووى، مما يمكن معه أن يتحول إلى مواجهة عسكرية نووية مدمرة للجانبين، ومؤثرة على السلم و الأمن الدوليين.

وعقب ذلك شهدت العلاقات الهندية الباكستانية تدهورا متزايدا، وصل إلى ذروته مع وقوع اشتباكات حدودية مسلحة فى عام ١٩٩٩، وكانت هذه الاشتباكات هى الأكثر خطورة منذ حرب ١٩٧١ - ١٩٧٢، وهو ما دفع بعض الكتاب إلى وصفها بأنها الحرب الرابعة بين الدولتين.

وقد بدأت هذه المواجهة العسكرية فى اقليم كشمير فى ٩ مايو ١٩٩٩ مع قيام حوالى ستمائة مقاتل كشميرى بالتسلل إلى الشطر الذى تسيطر عليه القوات الهندية فى كشمير. وتزعم المصادر الهندية أن هؤلاء المقاتلين تسللوا تحت غطاء من المدفعية الباكستانية. وقد نجح هؤلاء المقاتلون فى الاستيلاء على منطقة واسعة تقع على بعـــــد ٢٢٠ كم من سرينجار العاصمة الصيفية لكشمير، وتمكنوا من السيطرة على مواقع فى كارجيل ودراس وباتاليك فى الجانب الهندى من كشمير. واعتبر الجانب الهندى أن الحكومة الباكستانية وحركة طالبان - التى كانت تحكم أفغانستان فى ذلك الوقت - تقفان وراء هذا التصعيد، وأن قوات كشمير الاسلامية تضم فى صفوفها عناصر من الجيش النظامى الباكستانى، ومقاتلين تابعين لحركة طالبان. ولذلك قامت الحكومة الهندية على الفور بدفع حوالى خمسين ألف جندى إلى كشمير، وفتح الجيش الهندى أربع جبهات فى منطقة كارجيل قرب الخط الفاصل بين الهند وباكستان. كما قامت القوات الهندية بهجمات ضد القوات الباكستانية على طول حدود كشمير.

وقد مارست الادارة الأمريكية برئاسة بيل كلينتون - فى ذلك الوقت - ضغوطا قوية على الجانب الباكستانى من أجل وقف الصراع، خوفا من حدوث

تصعيد عسكرى عنيف فى جنوب آسيا، مما اضطر رئيس الحكومة الباكستانية السابق نواز شريف إلى إصدار أوامره بانسحاب القوات التى كانت قد تسللت إلى الجانب الهندى من كشمير. وقد لقى هذا القرار معارضة شديدة فى باكستان، حيث أن الرأى العام ووسائل الاعلام والسياسيين والعسكريين رأوا أن نواز شريف قد فرط فى الانتصار الذى حققته جماعات المقاومة الكشميرية، بل اعتبر الرأى العام أن هذه الجماعات هى جماعات وطنية تعبر عن كفاح شعب كشمير لتقرير مصيره.

ولذلك انتقد كبار قادة القوات المسلحة الباكستانية وفى مقدمتهم برويز مشرف - الرئيس الحالى لباكستان - قرار الانسحاب علنا، مما تسبب فى تفجر الخلافات. وحاول شريف عزل مشرف، ولكن الجيش الباكستانى بأكمله رفض هذا القرار، وأطاح بالحكومة فى انقلاب قاده برويز مشرف الذى تولى مقاليد الأمور منذ ذلك الوقت.

وفى يوليو ٢٠٠١، انعقدت قمة هندية باكستانية (قمة أجرا) بين كل من الرئيس الباكستانى برويز مشرف ورئيس الوزراء الهندى آتال بيهارى فاجباى، ولكنها فشلت فى تحقيق أى نجاح بسبب انعدام الثقة المزمن بين البلدين. وعلى الرغم من أن الهدف من هذه القمة كان يتمثل فى فتح حوار مباشر غير مشروط بين الجانبين بشأن كل القضايا المعلقة، بما فيها كشمير، بعد أن كانت الهند ترفض مشاركة باكستان فى أى محادثات حول مستقبل كشمير، إلا أنها فشلت فى الوصول إلى أى نتيجة بسبب رفض الجانب الهندى التباحث بشأن قضية كشمير، فى حين أن باكستان تعتبر هذه القضية بمثابة المفتاح الرئيسى لتطبيع العلاقات بين الجانبين. (٢٢)

والواقع فان مشكلة كشمير بين الهند وباكستان تعتبر إحدى بؤر التوتر الخطيرة فى جنوب آسيا، وخاصة لميراث العداء الطويل بين الدولتين، كما أن امتلاك كل من الهند وباكستان مؤخرا للقدرات النووية يزيد من خطورة الموقف، ويزيد من خطورة المواجهات بين الدولتين بما قد يؤثر على الأمن والسلم الدوليين.

وتأمل أن تقوم الأمم المتحدة، وكتلة دول عدم الانحياز، ومنظمة دول المؤتمر الاسلامى ببذل جهود دولية جماعية ومؤثرة لتحقيق المصالحة بين الطرفين المتنازعين، وطبقا للقرارات الدولية ذات الصلة.

الفصل الثالث

تطور تاريخ الصين الحديث والمعاصر

تمهيد:

هاجر الصينيون حوالى عام ٣٠٠٠ ق.م من أواسط آسـيا إلى الشـرق، وأخذوا يفلحون الأرض فى أنهار الهوانجهو واليانجتســى، ويزرعــون الحبــوب ويستأنسون الحيوان. ثم قامت فى الصين عدة دول حاربت كل منها الأخـرى، وعرفت هذه المرحلة فى تاريخ الصين القديم باسم عصر الدول المتحاربـة (٧٢٢ — ٤٨٠ ق.م) وأثناء تلك الفترة ظهر فلاسفة الصين العظام مثل كونفوشـيوس. ولم يكن كونفوشيوس فى كتاباته داعيا لدين، وإنما رأى أن الكون لــه خــالق واحد، ولكنه أيضا لم يهاجم الوثنيات القديمة، واهتم إلى جانب ذلك بالجانــب الخلقى والاجتماعى من الحياة. وهاله ما شاهده من صراعات بــين الولايــات الاقطاعية، وأبدى رغبته فى الاصلاح .

وفى كلمة موجزة نستطيع أن نوجز أسلوب الحياة فى الصين فى الألفــى سنة الماضية فى كلمة واحدة "كونفوشيوس" إذ لن نعثر على أية شخصية أثــرت فى تاريخ الصين مثل هذه الشخصية. (٢٣)

وقد تعرضت الصين لمخاطر من الهجمات المغولية، واقترن قيام امبراطورية المغول باهتمام الاوربيين باعتناقهم المسيحية، وأرسل البابا رسالة إلى جنكيز خان فى عام ١٢٤٦ للصداقة وتضافر الجهود ضد المسلمين، وتلت ذلك بعثات أخرى بابوية، ولكن هذه البعثات فشلت فى تحويل المغول إلى المسيحية.

هذا بالإضافة إلى أن أسرة يوان المغولية حكمت الصين بين عامى ١٢٧١ و ١٣٦٨م.

البرتغاليون والصين

كانت الصين تعيش — مع مطلع العصور الحديثة فى أوربا — حياة منعزلة من العالم الخارجى، هذا فى الوقت الذى طرأت فيه على أوربا تغيرات كبرى نقلتها إلى العصر الحديث. وهكذا أدت حركة الكشوف الجغرافية إلى خروج الاستعمار من دائرته التقليدية حول البحر المتوسط، وانتقل إلى عالم المحيطات والبحار الأخرى (*).

وكان أول برتغالى زار ساحل الصين هو رافائيل بيرستريللو Rafael Perestrello سنة ١٥١٦ . وفى السنة التالية زار جورجى ماسكارياس Georgea Maskeres سواحل الصين، وعقد صفقة تجارية مع التجار الصينيين. وقد أقنعت المعلومات التى جمعها الاثنان السلطات البرتغالية بفائدة فتح باب التجارة مع الصين. وتم بالفعل تجهيز بعثة تجارية سياسية على شكل أسطول بقيادة البرتغالى فراند وانترادى ومعه توماس بيريز الرسول الذى كان يحمل رسالة من ملك البرتغال إلى امبراطور الصين. وعند وصول هذا الأسطول أبلغت سلطات بكين بوصول البعثة، وصدر الأمر بالاذن بمثول المبعوث البرتغالى إلى بكين ولكن كانت قد وصلت معلومات إلى الأسرة الحاكمة فى الصين (أسرة منج) أن البرتغاليين يضمرون العدوان للآسيويين، وهكذ رفضت الحكومة الصينية استقبال المبعوث البرتغالى بيريز واعتقلته فى كانتون إلى أن مات سجينا. (٢٤)

كان الامبراطور الذى يلى الحكم فى بكين فى العقد الأول من القرن السادس عشر هو كانج تى من أسرة منج. وقد أسس هذه الأسرة المالكة راهب بوذى قوى الوطنية هو تشويوانج تشانج، الذى نظم المقاومة الوطنية ضد المغول الاجانب، وفى عهده مدت الامبراطورية سلطانها إلى كوريا وبورما وغيرها،

(*) انظر الفصل الأول من الكتاب

وكان أباطرة اليابان يتقبلون السيادة الصينية بالرضا التام فى بداية حكم أسـرة منج.

ولم يكن خلفاء مؤسس حكم أسرة منج رجالا ذوى اقتدار ولكن يجب أن نوضح أن الذى حدث عند بداية القرن السادس عشر بل ولمدة تتغلغل فى القرن السابع عشر، أن الامبراطورية كانت تتمتع فى عهد أسرة منج بسلام وبحبوحة عيش دائمين يكاد لايكدر صفوهما شىء. وظل النظام الإدارى يقوم بعمله سويا وفق النسق الذى رتبه مؤسس الأسرة المالكة.

ومن الضرورى أن نؤكد هنا أنه لم يكن يخامر الصينيين فى ذلك الوقت أى كراهية للاجانب، ذلك أن أسرة منج وان كانت ذات نزعة قويـة، وتمثل نهضة الثقافة الصينية، كانت مستعدة للترحيب بكل علاقة تعقد أواصرها مع الأجانب ، كما أنها خضوعا لمراسم البلاط تعودت على استقبال السفراء من الدول الأجنبية، ولكن لما وصلت أنباء القرصنة البرتغالية فى أعالى البحار الهندية إلى مسامع حكام الصين ، رفض هؤلاء أن تكون لهم أية معاملات مع شـعب لايعترف بأية حقوق دولية، ويقترف القرصنة علنا وعلى أوسع نطاق فى أعـالى البحار.

وبذلت البرتغال بعد ذلك الزمن عدة محاولات لفتح العلاقات الدبلوماسية مع بكين، ولكن الرفض المهين كان نصيبها على الدوام حتى القرن التاسع عشر.

الهولنديون

عندما اضمحلت قوة البرتغاليين بالمحيط الهادى حوالى الربـع الأول من القرن السابع عشر، تمكن الهولنديون من إبعادهم رويدا رويدا من الأرخبيل الاندونيسى. (٢٥)

وجاء ربان هولندى فى عام ١٦٦٢ وبصحبته أسطول من خمس عشـرة سفينة، ووقف قبالة مكاؤ، ومع أنه لم يستطع طرد البرتغاليين من شبه الجزيـرة،

فإنه استطاع أن يحتل فورموزا، التي لم يكن الصينيون قد احتلوها فعلا فى ذلك الوقت. واستقر الهولنديون فى تايوان، وأقاموا حصنا هناك. إلا أن الوجود الهولندى فى فورموزا لم يكن وجودا استعماريا، بل استخدموها كمركز للتجارة، كما استخدموها كميناء وسيط فى علاقاتهم التى كانت متطورة مع اليابان. بيد أن مركزهم مالبث أن أحدق به خطر عظيم، جاءهم من رجل صينى من أتباع أسرة منج- التى كانت قد خلعت عن الحكم — وهو تشنج كنج المعروف فى التاريخ الصينى باسم كوكسنجا. فعندما احتلت أسرة المانشو شمال الصين، وأخذت تقضى ببطء على أنصار أسرة منج بأرض الصين الأصلية، صمم كوكسنجا أن يؤسس قاعدة له بفورموزا، فهاجم الجزيرة بقوة من ٢٥,٠٠٠ رجل، واضطر الهولنديين إلى التسليم بعد حصار طويل لحصنهم، واستولى على الجزيرة باسم امبراطور المنج، وظل كوكسنجا يتولى شئون الحكم بالجزيرة، ولم يلبث أن تولى الحكم ابنه بها حتى مماته، فلم تستطع أسرة المانشو ضمها إلى أملاكها إلا بعد وفاة ابن كوكسنجا.

وينبغى أن نشير إلى أن غزو المانشو للصين، ذلك الغزو الذى أتاح لكوكسنجا ضم فورموزا، إنما هو حدث عظيم فى تاريخ آسيا، وذلك نظرا لأن الأسرة الصينية المالكة التى ظلت متربعة على دست الحكم بالصين حتى سنة ١٩١١، وكانت بذلك فى مركز الأحداث إبان القرنين والنصف التى دارت فيها رحى العلاقات بين أوربا وآسيا.

وكان شعب المانشو أمة تقوم على التخوم قبلت السيادة الصينية فيما مضى فى فترات مختلفة، ولكن الصينيين لم يفتحوا بلادهم قبل ذلك البتة، وكانت تنظمهم عشائر، ولكنهم لم يكونوا يعيشون فى وحدة قومية، حتى ظهر بينهم زعيم أسمه نورها تشى (ولد فى ١٥٥٩) وكانت نفسه تضطرم بالرغبة فى الثأر لمقتل أبيه وجده، على أيدى الصينيين، فبدأ يجمع قبائل المانشو فى اتحاد عام،

وحاولت السلطات الصينية تهدئة ثائرته بتعيينه حاكما على منطقته، ولكن ذلك لم يزد نورها تشى إلا هيبة ومكانة، لم يلبث حتى استخدمهما فى تقوية سلطانه السياسى بين القبائل وفى إنشاء جيش قوى. وفى عام ١٥٨٦ أصبحت مختلف قبائل المانشو تخضع لسلطانه، واعترف به الجميع حاكما لإقليم منشوريا، ولم يلبث حتى بسط سلطانه رويدا رويدا على منغوليا التى لم يعد للصينيين فى ظل آخر الملوك من أسرة منج وحكمهم الواهن الضعيف أى سلطان فعال عليها. وعندما جاءت منية نورها تشى فى ١٦٢٦ كان سلطان المانشو قد امتد إلى الامبراطورية الصينية ذاتها.

وكان تيين تسنج هو خليفة نورها تشى، وهو الذى بسط سيادة المانشو على كوريا وعلى مغول تشاهار ودفع بالحرب إلى أرض الصين ذاتها، وحدث بالصين فى عهد خلفه العصيان العظيم الذى قام به لى تزوتشنج، والذى حمل آخر اباطرة أسرة منج على الانتحار. وكانت تلك هى الفرصة التى كان المانشو يترقبونها بفارغ الصبر، فأتحدوا مع أعوان أسرة منج فى الشمال وتدخلوا ضد الثائر، حتى إذا هزم لى تزوتشنج طالب عاهل المانشو لنفسه بالامبراطورية وأدخل الصين بأجمعها تحت سلطانه فى عام ١٦٤٥.

وكان استبدال أسرة قوية جديدة بأسرة منج الضعيفة العاجزة مدعاة لتقوية الصين فى وقت كانت له أهميته وخطورته، وذلك أن قبائل التخوم الشمالية أمثال المغول، قد أعلنت فى أخريات أيام أسرة منج خروجها على سيادة الصين، وفضلا عن ذلك خرجت عن الطاعة قبائل القلخان والاليوث وغيرها من القبائل شبه المستقلة، وذلك على حين أن الإقليم الهائل الذى عرف فيما بعد باسم سنكيانج كان مستقلا استقلالا مطلقا. وقد أخذ الروس يتحركون ليملأوا الفراغ القائم بسيبريا. فالذى حدث معه هو أنه عندما بدأت أسرة تشنج — وهو الأسم الذى عرفت به أسرة المانشو — حكمها فى بكين ، كانت رقعة بلاد

الصين قاصرة على المناطق الواقعة جنوب السور الأعظم، و لم تكن تضم سكياج ولا التبت. ثم تعاقب على الامبراطورية عدد من الحكام المقتدرين نخص بالذكر منهم اثنين كانا من أعظم العواهل الذين شهدهم التاريخ الصينى بأكمله، وهما كانج هسى وتشين لنج، فقاموا جميعا باحكام الترابط مرة ثانية بين مختف أجزاء الامبراطورية، وأوقفوا التوسع الروسى عند حده على نهر عامور، ثم أعادوا فتح إقليم سكيانج ووضعوه تحت سيطرتهم الفعالة، وتدخلوا بالقوة فى بلاد التبت ووضعوا أسس مدعيات الصين فيها أيضا. وكان القرنان التاليان مسرحا لبسط سلطان الصين على أوسع رقعة بلغتها : من التخوم الشمالية لكوريا شمالا إلى كمبوديا ومن المحيط الهادى إلى جبال الهملايا وجبال قرقورم.

وقد بذل الهولنديون محاولات عديدة للدخول فى علاقات ديبلوماسية مع الامبراطورية الجديدة، وكان الهولنديون قد قدموا لاسرة المانشو شيئا من المساعدة أثناء قتالها مع كوكسنجا فرأوا أنه بناء على تلك المساعدة أن فى استطاعتهم أن يقترحوا السماح لهم بإرسال السفراء إلى بكين، ولكن مجهوداتهم فى هذا السبيل ذهبت أدراج الرياح.

الإنجليز

فى عام ١٦٨٥ حصلت شركة الهند الشرقية البريطانية على حق انشاء مصنع بمدينة كانتون، ثم فتحت الشركة كذلك مركزا تجاريا فى ننجبو. ومع عام ١٧٠٠٠ زادت هذه التجارة أهمية وصارت سفن الشركة تتردد بانتظام على كانتون.

وبعد أن تزايدت قوة شركة الهند الشرقية ونمت مواردها بدرجة هائلة ببلاد الهند، صار للانجليز إبان القرن الثامن عشر نصيب الأسد فى التجارة الصينية. وكان الشاى هو السلعة الرئيسية للشركة ببلاد الصين. وقبل أن يبلغ القرن الثامن عشر نهايته كان الشاى قد أصبح شرابا قوميا بانجلترا. ولسداد قيمة

المبالغ الهائلة المستخدمة فى ذلك الاستثمار. كانت الشركة تشجع بيع الأفيـون. وكان للشركة أكبر جالية من الأوربيين المقيمين بالصين، ولكن ظلت حـدود التجارة كما هى لازيادة فيها حتى صممت بريطانيا، وقد قويت شوكتها بإتمـام غزو الهند، على أستخدام القوة لإرغام الصينيين على التجارة الواسعة معها.

الصين والغرب فى القرن التاسع عشر

الواقع أن الصين لم تكن تهتم بالتجارة الخارجية، وعندما كتب تشين نج إلى جورج الثالث ينبئه بأن امبراطوريته تمتلك "كل شيء بوفرة هائلة" ولا ترغب فى شيء من الخارج، كان فى الواقع يردد تقليدا صينيا راسخ القدم ببلاده، يعـد تبادل السلع مع الدول الأجنبية شيئا لا ضرورة له ويتنافى وكرامة الصين.

وكان الموقف السياسى فى العالم قد تغير تغيرا أساسيا فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، فإن بريطانيا بغض النظر عن مركزها الذى لاينازع ببـلاد الهند وفى المحيطات بكل أرجاء العالم قد أصبحت الدولة العظمى فى العالم كـل. وكانت تتمتع بمركز فائق — بالإضـافة إلى قوتهـا العسـكرية — فى الناحيـة الاقتصادية فإن الثورة الصناعية فى القرن الثامن عشر قد تقدمت بها إلى الامـام وجعلتها تسبق منافسيها أشواطا. وكان اقتصادها المتزايد علـى مـر الأيـام، ومركزها المتسلط فى البحار والمحيطات يتيحان لها مركـزا لاتسـتطيع دول ولا جماعة من الدول أن تتطلع إلى تحديه. و لم يكن من المعقول أن ترضى دولة مثلها تحتاج تجارتها إلى أسواق جديدة بالقيود التى فرضتها الصين ذلك الأجل الطويل. والواقع أن أحوال التجارة الأجنبية بكانتون كانت تنطوى على الذل والهـوان، فلم يكن يجوز للأجانب استخدام الخدم الصينيين، و كان يجـوز لهـم تقـديم وجهات نظرهم مباشرة للسلطات بل عن طريق ضامنيهم من الصينيين. و لم يكن معقولا أن بريطانيا بما صار لها من قوة وبطش أن تظل تسمح لتجارهـا بـأن يمارسوا التجارة فى مثل هذه الظروف المهينة، أجل أن شركة الهند الشرقية ظلت

تقبل هذا الوضع مدة تصل إلى قرن تقريبا وإن أظهرت شيئا من التذمر بين حين وآخر لان التجارة كانت مربحة. وكما أوضح السيرجون برات "ان الربح الوفير الذى كانت تدره التجارة هو الذى جعل التجار الأجانب يتحملون الاهانات التى كان صلف الموظفين الصينيين يأبى الا تكديسها على رؤوس الأجانب جميعا".

حرب الأفيون الأولى

كانت تجارة الصين منذ أمد بعيد شأنا يتم من جانب واحد، حيث يشترى التجار الأوربيون كميات ضخمة من الحرير والشاى، ولا يبيعون مقابل ذلك إلا القليل. وكانت الصعوبة هى العثور على شىء يقبل عليه الناس بالصين. وكانت موازنة الميزان التجارى تتم عن طريق زيادة إقبال الناس على الأفيون، ويرجع (الفضل) فى هذا الاكتشاف إلى البرتغاليين. على أن الأفيون مالبث أن حرم تعاطيه بمرسوم امبراطورى فى عام ١٧٢٩. وبعد فترة من الزمان لم يعد ذلك التحريم معمولا به، ولكن التجارة لم تكن ضخمة جدا. واعتبارا من عام ١٧٧٣ احتكرت شركة الهند الشرقية البريطانية بيع الأفيون للصين، كما احتكرت الشركة نفسها صنع الأفيون فى عام ١٧٩٧ وبذلك أصبحت لشركة الهند الشرقية مصلحة ضخمة فى توسيع هذه التجارة لغرضين، ملء خزائنها بالذهب بالهند، ودفع أثمان تجارتها بالصين، وفى الربع الأول من القرن التاسع عشر أصبح بيع الأفيون على نطاق كبير أعظم الواردات الأوربية ازدهارا بالصين. وبين عامى ١٨١٨ و ١٨٣٣ قفز الأفيون من ١٧ فى المائة إلى ٥٠ فى المائة من مجموع الواردات البريطانية إلى الصين.

ومع أن هذه التجارة كانت محرمة بحكم القانون تحريما تاما، وبخاصة بعد منعها منعا باتا فى عام ١٨٠٠، فإن الشركة لجأت إلى التحايل تارة عن طريق التهريب، كما استخدمت وسائل القرصنة والسفن المسلحة تارة أخرى. وكانت

هذه السفن المسلحة تعمل متحدية للقوانين الصينية على طول الساحل فى بيع ذلك العقار السام إلى أهالى الصين.

وكانت الحكومة الامبراطورية (الصينية) على تنبه تام إلى هذه الحركات، وكان الامبراطور يشعر بقلق خطير ازاء تلك المحاولة المتعمدة لإجبار شعبه على شراء الأفيون، فعزم على أتخاذ إجراءات فعالة لإيقاف تلك التجارة. ومن أجل تلك الغاية عين لن تشى هتسو مندوبا امبراطوريا خاصا، وهو رجل مفرط فى وطنيته، ويمتاز بالإمانة وكان آنئذ يشغل منصب نائب الملك فى هيوكوانج. وخول له سلطات لاحد لها تقريبا. وكان برنامج لن بسيطا، فإنه أراد أن يواصل التجارة المشروعة، بل ويشجعها ولكنه كان عاقد العزم على استئصال شأفة تجارة الأفيون بكل حزم. وليس هناك أى دليل مطلقا يدعم القول بأنه كان معاديا للأجانب أو جانحا للعدوان فى تصرفاته الا حيث ينبغى أن يصان القانون.

وقد طالب التجار بتسليم مالديهم من صناديق الأفيون وكانت نحو ٢٠,٠٠٠ صندوق، واستولى عليها فعلا، ثم أدهش الناس جميعا عندما اتلفها فى احتفال عام. ثم حصل لن من التجار على تعهدات بأنهم لن يواصلوا هذه التجارة البشعة المنافية لقوانين الامبراطورية. ومع أن التجار البريطانيين وقعوا تلك التعهدات، الا أنهم فعلوا ذلك بتحفظ ادخروه فى دخيلة عقولهم، ذلك لأن أهم الشركات البريطانية وهى شركة جارادين ومائيسون كانت ترسم خطتها فى الحين نفسه لمواصلة التهريب من ساحل البحر بواسطة سفن مسلحة تتخذ من مانيلا قاعدة لها. وسارت الأمور على مايرام. ثم حدثت المتاعب بعد ذلك ببضعة أسابيع عندما قتل جماعة من البحارة البريطانيين السكارى رجلا صينيا على أرض بلاده، ورفض المشرف البريطانى على التجارة تسليم المجرمين، وأدرك لن أن سلطان مولاه يختبر فأصدر لن أمرا قاطعا بتسليم المجرمين والا فإنه سيضطر إلى اتخاذ ما يلزم من إجراء لتنفيذ سلطته بالقوة، وأتبع لن انذاره بحشد السفن

الحربية، وأحضر البريطانيون من جانبهم سفينتين حزبيتين هما الفولاج والمياسنث ثم شرعوا دون انتظار لأية مفاوضات يطلقون مدافعهم على السـفن الحربيـة وأغرقوها، وهكذا بدأت حرب الأفيون الأولى.

ولقد أخطأ لن فى تقديره مرتين، حيث خيل إليه أن الحكومة البريطانية لم تكن طرفا فى تهريب الأفيون، وذلك يتجلى فى الرسائل التى وجهها للملكـة فيكتوريا حيث قال "لقد فكرنا فى الأمر، ورأينا أن هذه المادة الضارة يصـنعها غدرا مدبرون للشر مكرة تحت سيادة شغبكم الشريف. ولا مراء عندى أنكـم وأنتم ذو الرئاسة الشريفة لم تأمروا بزراعة هذه المادة وبيعها" كما أوضح لن أن بريطانيا نفسها" لا يسمح للناس فيها بتدخين ذلك المخدر. فإذا سلمنا بأنه على مثل هذه الدرجة من الضرر الوبيل، فكيف تحاولون الاستفادة بتعـريض الغـير لتأثيره المؤذى وترون ذلك متفقا مع ما تأمر به السموات" فهنا كان لـن علـى خطأ، فإن الحكومة البريطانية كانت مشتركة فى الأمر وعلى علم تام به، كمـا أكدت ذلك مذكرة لشركة الهند الشرقية، وأن العقار (المخدر) تبيعه حكومـة الهند فى بيوع علنية، وأن المصير الذى يذهب اليه معلوم يقينا، بحيث أنه حدث فى عام ١٨٣٧ أن إدارة شركة الهند وجهت بأعلان عام للجمهور مبلغا طائلا من المال ليقدم هبة اضافية لاصحاب السفن الذاهبة إلى الصين فى ذلـك الموسـم، وعندما نلاحظ أن لجان مجلس اللوردات والعموم أجرت تحقيقا دقيقا فى مسـألة زراعة الأفيون، وبعد أن درست المبالغ التى تعود منه على بند الايرادات بالهنـد، وعلمت تماما بالمكان الذى يصدر إليه فى النهاية، قد انتهت دون تردد إلى قـرار ينص على أنها لاترى من المصلحة التخلى عن مصدر للإيراد له مثل تلك الدرجة من الأهمية".. وإذا عرفنا فوق ذلك أن مجلس الهند الذى يرأسه وزير عضـو فى الوزارة البريطانية له هيمنة فعالة على شركة الهند الشرقية، ويجوز له أن يمنع كل مالا يرضاه وجب أن نعترف انه من الظلم فعلا وإلى أقصى حد أن نلقى أى لوم

أو معرة يتعلقان بتجارة الأفيون على كاهل التجار الذين كانوا يشتغلون فى تجارة تقرها أعلى السلطات بصورة مباشرة وغير مباشرة".

فالواقع الذى لاشك فيه أن الحكومة البريطانية كانت غارقة إلى أذنيها فى هذه التجارة غير المشروعة، وفى القرصنة التى واكبتها ومن الطبيعى أن (لـــن) لم يكن يعرف تلك الحقيقة، وبخاصة أن نظريته فى الدولـــة بوصـــفه مـــن أتبـــاع كونفشيوس كانت تقوم على التمسك بالأخلاق، وفيها يتولى الامبراطور تحـــت وصاية السماء إقامة ميزان الأحتشام.

وكان خطأ (لن) الثانى الذى نشأ بصورة طبيعية عن الأول، هو اعتقـــاده بأن الأسطول البريطانى لن يتدخل لحماية المجرمين، ولم يكن لديه بطبيعة الحـــال فكرة صحيحة عن قوة بريطانيا البحرية. وكان بوصفه أمير البحر الأعلى للسفن الحربية الصينية يؤمن تماما بقدرته على التصدى للأسطول البريطانى، وكان سوء التقدير ذاك وبالا أدى إلى النتيجة التى أسفر عنها الموقف.. فاحتلـــت القـــوات البريطانية شنغهاى فى ١٣ يونيو ١٨٤٢ ثم عبرت نهريا بحتسى، ثم اتخذت الأهبة للقيام بهجوم على مدينة نانكنج. وهناك عقدت معاهدة نانكنج فى ٢٩ أغسطس ١٨٤٢.

وبغض النظر عن ضم هونج كونج لبريطانيا، كانت الفقرة الرئيســـية فى تلك المعاهدة ، التى كان سيقام عليها الصرح الكامل لعلاقات الصين بالـــدول الغربية، هى الفقرة التى تفتح للتجارة خمسة مرافئ "يسمح فيها للتجار الأجانب وعائلاتهم ومؤسساتهم بالإقامة بقصد مزاولة أعمالهم التجارية دون أدنى مضايقة أو قيد".

ونصت المعاهدة أيضا على أن "الموظفين القنصليين" ينبغى أن يسمح لهم بالإقامة ، وأنه يجب أن تنشأ بتلك المرافئ تعريفة جمركية ثابته وعادلة ورســـوم

جمركية منتظمة. وعقدت معاهدات مماثلة مع فرنسا والولايات المتحدة عام ١٨٤٤.

لقد عمد المنتصر إلى أن يفرض قرارات على المنهزم، ولقد كانت معاهدة نانكنج هى حجر الزاوية فى صرح العلاقات الدولية الرهيب وغير الثابت فى الوقت نفسه، تلك العلاقات التى تحكمت فى الصين نحو مائة عام. وكان الغرض الرئيسى منها هو القضاء على انعزال الصين بالقوة، واجبارها على التجارة مع الدول الأوربية، وتعليم الصينيين فوق ذلك أنهم ليسوا بأى حال أعلى من سائر شعوب الأرض، بل أن فارقا حضاريا كبيرا يفصلهم عن الدول المتطورة فى ذلك الوقت.

وكانت مرافىء المعاهدة تقع على مصب نهر اليانجتى وعلى امتداد الساحل وهى شنغهاى وننجبو وفوتشو وأموى وكانتون، فهناك كان للتجار الأجانب الحق فى التجارة المباشرة مع الأهالى. وتقرر أن ترسو سفينة حربية بكل مرفأ فى تلك المرافىء الخمسة، كما أن الفرنسيين والأمريكيين طالبوا وحصلوا على التأكيد بأن السفن الحربية" التى تمخر البحر لحماية التجارة ينبغى أن تلقى استقبالا حسنا فى أية ميناء من موانىء الصين تصل إليه".

وأضاف الفرنسيون فقرة فى معاهدتهم أدت فى الوقت المناسب إلى هدم كل جهد بذل لانشاء العلاقات الودية بين الصين والغرب. وهى رعاية الدين المسيحى. فهذا العمل ألبس الأمم الأوربية ثوب دين كانت هى ومنصروه يرغبون فى فرضه على شعب الصين.

حرب الأفيون الثانية

على أية حال شعر التجار الإنجليز بالراحة لعقد المعاهدة، فها قد تحققت حربه التجارية بالقوة، بيد أن الحلم لم يكد يتحقق.. فإن قيمة الصادرات البريطانية إلى الصين فى عام ١٨٥٠ لم يظهر فيها رغم الامتيازات الخاصة التى

اختصت بها موانىء المعاهدة أية زيادة على قيمتها فى عـام ١٨٤٣. وكانـت الصادرات أقل أيضا فى عام ١٨٥٤ وكانت هناك سوق الأفيون، أما ماعداه من السلع فلم تكن له سوق.. فكأن الحلم لم يتحقق بل أنه تحول إلى كابوس يجـثم على الصدور، ولم يستطع التجار الأوربيون فهم الحقيقة، إذلاح لهـم أن مـن الواضح أنه إذا كانت سوق ثلاثمائة مليون من الصينيين لاتقدر جودة البضـائع البريطانية فلا بد لذلك من سبب خفى.

وقد تجلى للعيان أن معاهد نانكنج لم تؤد إلا إلى قلقة الأمور، وأن الموقف لم يثبت كما كان مأمولا. وكانت السلطات البريطانية بوجه خاص واقعة تحت ضغط لاينقطع يدعوها أن تعيد فتح أسباب النزاع، وتحدث بالقوة تسوية نهائية، وفتح ممثلون لبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة باب المفاوضات لتنقيح المعاهدة فى عام ١٨٥٤. وكان مقررا أن توجه تلك المفاوضات إلى الوصول إلى أهداف رئيسية أربعة: حرية الدخول إلى جميع أجزاء الامبراطورية، حرية الملاحة فى نهـر يانجتسى ، إباحة قانونية لتجارتى الأفيون والخنازير (وهو اسم كانوا يطلقونـه على العمال الصينيين) وأخيرا إنشاء علاقات ديلوماسية مع بكين. وكان معروفا أن الصينيين لابد ان يقاوموا تلك الأهداف التى كان اثنان منها مما لايسع أيـة دولة أن تقبله، وهما حرية الملاحة فى اليانجتسى، واباحة تجارة الأفيون والخنـازير (العمال) قانونا، الا بعد أن تصاب بهزيمة ساحقة لابد أن يقاومها الصينيون.

ولم تجد القوة الغشوم صعوبة فى خلق معاذير ينتحلونها للحـرب، فـإن سفينة اسمها (السهم) يملكها صينى أسمه سسواتشنج أدعت أنها مسـجلة عنـد البريطانيين، وكانت تحمل على ظهرها بعض المجرمين الصينيين المطلوبين للعدالة، فأمر بيه منج لتشن نائب الملك فى كوان تنج باعتقال الأشـخاص المطلـوبين. ووجدت السلطات البريطانية فى هذا العمل الذريعة التى كانت تبحـث عنـها، وطالبت بتقديم اعتذار عن الحادث وإزالة آثار ما وقع، فلم يسع نائب الملك الا

رفض ذلك لشعوره بأنه تصرف فى حدود سلطته، ولئن كان العذر الذى انتحل للحرب الانجليزية الصينية الأولى هو الأفيون، فقد كان عذرهم لاشعال الحرب الثانية هو الحماية التى بسطتها السلطات البريطانية على النشاط غير القانونى لبعض الصينيين الذين وضعهم البريطانيون تحت جناحهم. وكان الفرنسيون الذين تلقوا فى ظل نابليون الثالث درسا فى مزايا المجد، تواقين هم أيضا إلى الحصول على نصيب من مغانم الشرق، فانضموا عندئذ إلى الحرب بحجة ان قسيسا فرنسيا قد قتل.

وهكذا أصبحت الحرب حربا انجليزية فرنسية، ومع أن الأمريكيين لم يشتركوا فى ذلك النزاع، إلا أنهم تعاطفوا تماما مع الأهداف التى هدفت إليها بريطانيا وفرنسا. ونتيجة لقيام القلاقل فى الهند (١٨٥٧- ١٨٥٨) لم يعد من المستطاع أن تسير العمليات الحربية سيرا فعالا، ومع ذلك استولى الغزاة على كانتون فى ١٨٥٧، وعندئذ طالب ممثلوا الدول بفتح باب المفاوضات المباشرة مع بكين وعرض عليهم نائب الملك فى تيان تسن التفاوض، ولكن ذلك لم يرض الحلفاء، فقد عقدوا العزم على التفاوض مع ممثلى الامبراطور شخصيا، وأن يوقعوا المعاهدة فى عاصمة الامبراطورية، ورفض الامبراطور أن يدخل المبعوثين الأجانب إلى بكين، وعندئذ احتل جنود البحرية قلاع تاكو، ولم تبد القوات التى تسمى القلاع أية مقاومة، فلما رأى البلاط ألا أمل يرجى من المقاومة، وافق على التفاوض وعين لذلك مندوبين فوق العادة.

وبطبيعة الحال أعطت معاهدة تيان تسن للدول الغربية ما كانت تصبو إليه وتحارب من أجله مدة السنوات العشرين التى سبقتها، وهى الحق فى الملاحة فى نهر اليانجتسى، وإضافة إحدى عشر ميناء لينزل بها الأجانب ويتجروا، بما فى ذلك موانى نهر اليانجتسى الهامة حتى هانكاو، وخروج الأوروبيين من اختصاص القضاء الصينى، ومنح الحرية للمنصرين المسيحيين ومنح فرنسا بالذات حق حماية

المنتصرين وفضلا عن ذلك قضت المعاهدة بأن يكون من حق الدول الأجنبية إرسال بعثات سياسية دائمة.

وهكذ وصلت البعثتان السياستان البريطانية والفرنسية فى مارس ١٨٦١ ووصلت البعثة الروسية فى يوليو من نفس السنة، أما البعثة الأمريكية فوصلت إلى بكين فى العام التالى. وهكذا فتحت الصين فصلا جديدا فى تاريخها المديد، كان أبرز مظاهره هو خضوعها لممثلى الدول. وكان هؤلاء الممثلون يطلبون فى ظل المعاهدات بالحقوق والامتيازات تلك التى مالبثت بفضل إطلاق اليد بسخاء فى تأويلها تأويلا تؤيده القوة أن تطورت على مدى نصف قرن إلى هيئة خاصة من القانون الدولى تكاد تتحكم فى كل ناحية من نواحى الحياة الصينية.

وموقف الأوربيين بوجه عام من الصين والصينيين فى تلك المرحلة يمكن الحكم عليه باستقراء تطور ما يسمى باسم (تجارة الخنازير) أى "تجارة العمال" لأن الخنازير اسم اطلقه الأوربيون على عمال الصين. فمنذ عام ١٨٤٧ كان العمال الصينيون ينقلون على ظهور السفن نقلا مخالفا للقانون — بالرغم من احتجاجات الحكومة الامبراطورية — إلى المناجم والمزارع الكبرى بالمستعمرات ليحلوا محل الأرقاء. وقد بلغ عدد العمال الصينيين الذين نقلوا إلى سان فرانسسكو وحدها قبل عام ١٨٦٣ اكثر من مائة ألف عامل. وكانت أهم المناطق التى تستقبلهم الممتلكات الأسبانية والبرتغالية فضلا عن أستراليا وكاليفورنيا . وكان جمع هؤلاء العمال يتم عن طريق مقاولين يتقاضون نسبة على كل رأس يحضرونها إلى المستودع فما يكاد العمال يصبحون داخل (الحظيرة) حتى يصبح إنقاذهم ضربا من المحال وبعد ذلك كانوا ينقلون فى سفن تعرف باسم (الجحيم العائم) وكانت نسبة الوفيات بين ركابها تصل أحيانا إلى نحو ٥٠ فى المائة. وقد أدى هذا النظام فى التجارة إلى عدد لاحصر له من الفضائح، والواقع أنهاتجارة لاتختلف كثير عن تجارة الرقيق. وكان جمع العمال

فيها قائما على الاغراء والخطف. وقد أعدم نائب الملك بكانتون ثمانية من مختطفى العمال أدينوا بتلك التهمة. [٢٦]

حركة التايبنج

استنكر الشعب الصينى الامتيازات التى منحت للأجانب، وشعر بالسخط العام ضدهم وضد أسرة المانشو الحاكمة، ومما هو جدير بالذكر أن أولى إرهاصات الثورة على حكم المانشو كانت فى إقليم هونان، وهو موطن قومية المياو، ويعتبرون أقلية، وكانوا مصدر قلق دائم، وقد اتسمت ثوراتهم بأنها احتجاج على ما كان متفشيا فى أسرة المانشو من فساد، ونادوا بأنهم يحاربون الأجانب بسيف الحق، كما حفزت أسباب أخرى نفوس الصينيين للثورة، كاحوال الجفاف والفيضانات، وفى عام ١٨٤٩ أشتدت المجاعة فى إقليم هونان.

وفى غضون ذلك الوقت ظهرت جمعية أخرى وهى "عبادة الله" ، التى اتصلت بثوار هونان، وبعد عام ونصف من المعارك مع الحرس الامبراطورى اتحدت الجمعيتان، وتم إعلان المملكة السماوية للسلام الأعظم فى ١١ يناير ١٨٥١، وهى المعروفة بحركة التايبنج. وكان قائد هذه الحركة هو هونج تشوان (١٨١٣-١٨٦٤) وكان هونج قد تأثر تأثرا شديداً بالاضطهاد الذى قاساه الشعب، وأخذ عهدا على نفسه بأن يكون مجاهدا ومحاربا عنيدا ضد أعدائه. ومما هو جدير بالذكر أن حركة التايبنج تعتبر ثورة اجتماعية فى أساسها لأن مبادئها كانت قائمة على الإخاء والعدل والمساواة، ولذلك اعتبرها الصينيون حركة قومية صينية، وأن زعيمها هونج من أنبغ عقولها المفكرة التى أنجبتها الصين . [٢٧]

وقد شكل هونج مركز قيادته من سبعة من القادة ، قاموا بتنظيم انتفاضة فى قرية جينتيان بمقاطعة جوانجشى فى ١١ يناير ١٨٥١ وقد كانت لهذه الانتفاضة آثارها على رفع معنويات الثوار، ومن ثم اتجهت قوات التايبنج بعد ذلك شمالا إلى أنحو، وهزمت الجيش الامبراطورى فى أبريل ١٨٥٢، واستولت

على أغلب المدن هناك، وفى يناير ١٨٥٣ اقتحمت قوات الثوار ووهان ، ولم يبق سوى مدينة نانكنج كى تسيطر على كل جنوب الصين. (٢٨)

وفى مارس ١٨٥٣ اقتحم الثوار نانكنج ، واستقبل الفلاحون قوات التايبنج بالترحيب الشديد، وازدادت قوات التايبنج من عشرة آلاف فى بداية الأمر إلى أكثر من مليون فرد.

وبعد أن استقر الأمر لثورة التايبنج فى نانكنج، أصبحت الصين تنقسم عمليا إلى دولتين... فى الشمال دولة المانشو التى تمثل مصالح الأسرة الامبراطورية والاقطاعيين، وكبار القادة العسكريين، وفى الجنوب دولة التايبنج أو مملكة السلام السماوية وتمثل الطبقات المطحونة (٢٩)

ووضع هونج برنامجا إصلاحيا يعتمد على الفكر الذى نادى به، ففى الجانب الدينى، تلقبت الحركة باسم جماعة عبادة الرب، ولقب هونج نفسه بلقب الملك السماوى لمملكة السلام السماوية العظمى، واقتبس هونج من بعض نصوص الديانات السماوية بعضا من أسس فكرته، وأطلق عليها الوصايا السماوية.

كما وضع هونج مشروعا للاصلاح الزراعى، حاول به تذويب الفوارق بين الطبقات.

ويرجع النجاح العسكرى الكبير لثورة التايبنج إلى حوز ثوارها على حب الشعب، وتحقيق هؤلاء الثوار للكثير من الاصلاحات الاجتماعية المختلفة، كما نادوا بالقضاء على تجارة الأفيون، ومعاقبة بائعيه، ومنع أعمال العربدة والسرقة، ووضعوا نظاما للأمن والأمان. كما رفعوا من شأن المرأة ومنع بيعهن فى الأسواق. (٣٠)

سقوط مملكة التايبنج السماوية

خلال حرب الأفيون الثانية هدأت العمليات الحربية بين ثوار التايبنج وقوات المانشو، ووضعت هدنة مؤقتة لحين الأنتهاء من الحرب، وفى الوقت نفسه لم تتضافر جهود التايبنج مع المانشو ضد القوات الأوربية لأخراجها من الصين، وكان البلاط الامبراطورى يخشى من قوة التايبنج أكثر من القوات الأجنبية، لأن القوة الأولى من وجهة نظرهم كانت تتطلع إلى الحكم، أما القوة الثانية فكانت تطلب عقد الاتفاقيات.

وبعد انتهاء حرب الأفيون الثانية، حصلت القوى الرأسمالية على كل ما تريده من حكام أسرة تشنج من خلال معاهدة تيان تسن (١٨٥٨- ١٨٦٠) كما سبق أن ذكرنا، كما تعهدت المعاهدة المبرمة مع فرنسا بفتح نانكنج للأجانب بمجرد استعادتها من التايبنج، وبهذا تغيرت لهجة الحكومات الأجنبية، ولم تعد تمدح الصحافة الأجنبية التايبنج كمصلحين ومتدينين، بل صاروا يعتبرونهم من المتمردين. أما حكومة المانشو التى كانت تهاجمها تلك الصحافة فيما سبق على أنها رجعية، أصبحت توصف بعد ذلك بأنها قوة عاقلة، وأنها حامية حرية التجارة وبيع الأفيون.

وهكذا أصبح من صالح الأجانب القضاء على ثورة التايبنج، وتشكلت قوات بريطانية فرنسية متعاونة مع المانشو ضد التايبنج ، وتمكن أمريكى يدعى فردريك وارد من جمع قوات من المرتزقة من الفلبينيين وبعض الغربيين لتعزيز مركز الاستعمار فى الصين، وأطلق على هذا الجيش "جيش النصر" ولكن لم يلبث فردريك هذا أن قتل فى عام ١٨٦٢ على أيدى الثوار. وفى بداية عام ١٨٦٣ تعاونت القوات البرية البريطانية مع حكومة الامبراطور ضد التايبنج ، مع تخصيص قوات من المرتزقة، وأمكن لهذه القوات المختلطة أن تدخل مدينة

سوتشو فى ديسمبر ١٨٦٣ ، حيث قتلت عددا كبيرا من سكانها، ونهبت المدينة نهبا كاملا. كما تم الاستيلاء على هانجشو فى مارس عام ١٨٦٤.

وسارت الأحداث على وتيرة واحدة، وهى تراجع ثوار التايبنج، إلى أن سقطت نانكنج فى ١٩ يوليو ١٨٦٤ ، ولكن قبل أن تسقط انتحر هوانج هسيو تشوان فى يونيو ١٨٦٤ بتناوله السم بعد تأكده من فشل الحركة. وقد أثر انتحاره على البقية الباقية من أتباعه، الذين آثروا الانتحار على تسليم أنفسهم لقوات حكومة المانشو.

والواقع أن حركة التايبنج كانت انتفاضة للفلاحين ضد الاقطاع ، وضد الغزاة... لقد ناضل عشرات الملايين من الفلاحين الفقراء من أجل تحرير أنفسهم حتى أبيدوا فى القتال مجسدين بطولة الشعب الصينى ضد فساد السلطة والغزو الأجنبى.

تطور الصين فى العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر

فى الفترة الأخيرة من حروب التايبنج، سيطرت الرأسمالية الأوربية على اقتصاديات الصين، ومن ثم وقعت انتفاضات صينية ضد هذا التسلط الاجنبى كان منها:

١ - انتفاضة نيان Nien(١٨٥٣- ١٨٦٠).

فى عام ١٨٥٣ شن الفلاحون فى نيان فى شمال غرب الصين ثورة شملت وادى اليانجتسى بين النهر الأصفر ومنطقة هوى [٣١] وتسلح الفلاحون، وطردوا موظفى حكومة تشنج. وقد استطاعت هذه الحركة الانتشار فى المدن والقرى، وبين عامى ١٨٥٦ — ١٨٦٠ أحرزت هذه الانتفاضة انتصارات عديدة فى القتال بفضل التعاون مع جيش التايبنج. ولكن القوى الغربية لعبت دورا فى التفريق بين ثورة نيان مع ثورة التايبنج، ومع الثورات الأخرى. ومع فشل حركة

التايبنج ركزت حكومة تشنج كل قواها مع الدول الأوربية لمواجهة قوات نيان، حتى أمكن سحقها تماما فى عام ١٨٦٨.

٢- انتفاضة يونان Yunnan المسلمة (١٨٦٠- ١٨٧٣)

فى عام ١٨٦٠ قامت هذه الجماعة بانتفاضة ترجع أسبابها إلى العوامل الاقتصادية، ثم اختلطت معها العوامل الدينية، فقد كان أهل يونان يحصلون على مكاسب ضخمة من سيطرتهم على مناجم المنطقة الغنية بالمعادن النفيسة، إلى أن سيطرت حكومة تشنج على هذه الثروة، مما أدى إلى حدوث مواجهات دامية بين الحكومة الصينية وأهالى يونان، وتطورت الأمور بعد مذابح جيش تشنج وقتله لمئات من العائلات المسلمة. وهكذا تزعم توون هسيو الثوار، ونظم سلطة إسلامية، وسمى دولته مملكة السلطان سليمان. وحاول توون هسيو الحصول على معاونة بريطانيا، التى رفضت ذلك، [٣٢]بل تعاونت بريطانيا مع حكومة المانشو ضد هذه الثورة، التى انتهت عام ١٨٧٣ بعد مذابح شديدة للمسلمين.

٣ — انتفاضة قومية هوى المسلمة (١٨٦١ — ١٨٧٣)

أمام اضطهاد أسرة تشنج للمسلمين فى هوى، وبعد ثورة التايبنج، قامت انتفاضة هوى ضد مظالم الحكومة المركزية، وأمكن لهوى أن تشكل جيشا من الفلاحين من مائتى ألف مقاتل، واستطاع هذا الجيش الاستيلاء على مدينتى وينان ووانشو. ولكن تحول الوضع إلى غير صالح جيش قومية هوى، لعدم تنسيق التعاون بين القوت، وبعد معارك عنيفة مع قوات الحكومة فى عام ١٨٧٢، وبعد محاولات الحكومة زرع الفرقة بين قادة الحركة، فإن هذه الحركة انهارت أيضا تحت ضربات جيوش الامبراطورية. كما قامت عدة انتفاضات أخرى مثل انتفاضة شينجيانج (يعقوب بك) فى شمال الصين الغربى، وحركة نسيوينين فى شانتويج، وثورة المياو فى كويشا وغيرها. ونتج عن هذه الانتفاضات عمليات

إبادات كاملة للملايين من أبناء الشعب الصينى المعارض لحكم الأقطاع والتغلغل الأجنبى.

المواجهات الصينية الخارجية فى أواخر القرن التاسع عشر

حاولت مجموعة من أغنياء الصين صبغ الصين بالصبغة الغربية فى الصناعة، فحاولت إنشاء بعض المصانع فى الصين، وتم استيراد مهمات المصانع من الخارج من أجل الأنتاج الحربى أساسا (٣٣) واتجه زعماء حركة التغريب أيضا إلى بناء السفن الكبيرة.

١- الحرب الفرنسية الصينية (١٨٨٣ – ١٨٨٥)

حاولت بعض الدول استغلال الصين اقتصاديا وسياسيا، وكان ذلك بسبب ضعف الضين عسكريا، وقد اتخذت فرنسا من توسعها فى أراضى فيتنام عام ١٨٥٨ قاعدة للتغلغل فى الصين، وهاجمت هانوى عام ١٨٧٣، ثم أعلنت الحرب على الصين سنة ١٨٨٣ بحجة أنها هاجمت فيتنام، ولكن فرنسا واجهت هزائم فادحة ، ولكنها هاجمت الصين مرة أخرى فى عام ١٨٨٥ ، وأرغمت حكومة تشينج على توقيع معاهدة الصلح التى فتحت لفرنسا أبواب جنوبى الصين. وواضح أن هذه الحرب أثبتت ضعف الصين، وعدم قدرتها على تحقيق التحديث المنشود.

٢- الحرب الصينية اليابانية ١٨٩٤ – ١٨٩٥

نشبت الحرب الصينية اليابانية بسبب مسألة كوريا، التى كانت مثارا للتنافس الصينى اليابانى. وكانت اليابان لها أطماع توسعية فى كوريا، واستطاعت فى عام ١٨٨٤ إحتلال شبه الجزيرة الكورية، وطلبت كوريا المساعدة الصينية، وانتهى الأمر بعقد اتفاقية يابانية صينية نصت على تخلى الدولتين عن إدعاءاتهما فى كوريا فى هذه المرحلة، كما إتفقتا بأن تخطر كل دولة منهما الأخرى عند إرسال قوات لها إلى كوريا. (٣٤)

وفى عام ١٨٩٤ نشبت انتفاضة فلاحية فى كوريا ضد البلاط الكورى، وطالب ملك كوريا بالمعاونة الصينية، وأرسلت الصين بالفعل قواتها إلى كوريا لنجدة الملك، واعتبرت اليابان هذا التصرف متعارضا مع اتفاقية ١٨٨٥، وأنزلت قواتها فى جنوب كوريا، وفى ٢٥ يوليو ١٨٩٤ هاجمت اليابان الأسطول الصينى، كما هزمت القوات الصينية عند بيونج يانج. ثم نقلت اليابان المعركة إلى أراضى الصين، وتتالت الهزائم الصينية فى كل الميادين، واضطرت الصين إلى قبول كل الشروط اليابانية وبالتنازل عن تايوان، وفتحت الموانى الصينية للتجارة اليابانية، مع دفع الصين لتعويض مالى كبير لليابان [٣٥]، مع استيلاء اليابان على عدد من الجزر الصينية. لقد كانت معاهدة شيمونوسكى إذلالا كاملا للصين، مما أدى إلى ردود فعل لدى الشعب الصينى [٣٦]... فهناك من أرجع تفوق اليابان إلى التقدم العلمى المأخوذ من الغرب، وهناك من فضل أسلوب الثورة لتغيير نظام الحكم القائم فى الصين [٣٧]

تطور تاريخ الصين المعاصر

فى الأعوام الأخيرة من القرن التاسع عشر والأعوام الأولى من القرن العشرين ماجت الصين بتيارات فكرية وسياسية مختلفة، فالدوائر الحاكمة رأت أن الحل هو فى ضمان معاونة الأجانب، وإدخال الصناعات الحديثة ، مما أدى إلى نشأة نظام الامتيازات الأجنبية، ولكن فريقا آخر ، وهو فريق المثقفين الذى رأى أن الحل هو فى القضاء على النظام الملكى وإقامة جمهورية متطورة.

ويعتبر كانج يو وى Kang You Wei (١٨٥٨- ١٩٢٧) من أهم الشخصيات الاصلاحية فى الصين فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وقد أسس فى سنة ١٨٩١ مدرسة فى كانتون لتعليم الأساليب الغربية على أساس تفسير جديد للكنفوشيوسية، وفى عام ١٨٩٥ أرسل عدد من المثقفين مذكرة كتبها كانج إلى الامبراطور بشأن إصلاح شئون الدولة.. وفى عام ١٨٩٨

طلب الامبراطور من كانج أن يتولى رئاسة الحكومة، وبالتالى بدأت حركة تعرف فى الصين بحركة إصلاح المائة يوم (١١ يونيو - ٢٠ سبتمبر ١٨٩٨) وأصدرت الحكومة الجديدة عددا كبيرا من القوانين هدفت إلى تحويل الصين إلى دولة عصرية، وركزت على التعليم والخدمة العسكرية، وتنظيم الإدارة، وإنشاء المؤسسات الاقتصادية، وإقامة نظام برلمانى. ولكن آراء كانج اصطدمت بمعارضة كبار القادة العسكريين، مما أدى إلى فشل كانج فى تحقيق إصلاحاته. وتطور الأمر إلى انقلاب مفاجىء فى ٢١ سبتمبر ١٨٩٨ تزعمته والدة الامبراطور تسو هسىء وهرب كانج إلى الخارج وظل حتى وفاته سنة ١٩٢٧ وفيا لمبادئه.

لقد كان كانج يو وى والحركة الاصلاحية التى تزعمها نقطة تحول هامة فى الفكر الصينى، وتأثر بآرائه عدد آخر من المفكرين فى مقدمتهم تان سو تونج (١٨٦٥- ١٨٩٨) وليانج تشى تشانج (١٨٧٣-١٩٢٧) (٣٨)

ثورة البوكسرس

ظهرت هذه الحركة فى عام ١٨٩٨ ، وعرفت بهذا الاسم (الملاكمون) لما اشتملت عليه من تدريب أتباعها تدريبا عنيفا يشبه الملاكمة، ولها أصول تاريخية فى التاريخ الصينى الحديث، وقد جذبت هذه الجماعة الجماهير إليها من خلال ممارسة الملاكمة العنيفة، وترجع أسباب قيام ثورة البوكرس إلى عدة أسباب منها كراهية الصينيين للأجانب المسيحيين، والغضب العام فى الصين من التوسع الامبريالى وانتشار البطالة والكساد الاقتصادى، وكذلك للكوارث الطبيعية التى احاقت بالبلاد فى هذه الفترة.

ومنذ عام ١٨٩٨ شرع البوكسرس فى مهاجمة الصينيين المسيحيين، كما زادوا فى هجومهم على البعثات التنصيرية. ثم اشتعلت ثورة البوكسرس سنة ١٩٠٠ فى مختلف أنحاء الصين. وأصبحت العاصمة بكين مركزا للثورة، وتم

تدمير كل أماكن العبادة المسيحية، وفى منشوريا نهبت وأحرقت الكنائس والمدارس المسيحية، وتم قتل ٢٣٦ شخصا من الأجانب.

وقد شعرت القوى الأجنبية بالخطر من هذه الموجة المعادية للأجانب، وقررت اتخاذ إجراءات وقائية. وفى ١٩٠٠/٧/١٤ احتلت القوات الأجنبية المتحالفة تبنتسين ، وهددت بالزحف نحو العاصمة بكين، وكانت الامبراطورة قد انضمت للبوكسرز، ولكن حكام المقاطعات الجنوبية طلبوا من الامبراطورة إصدار الأوامر بحماية الأجانب والقضاء على البوكسرز، وفى ١٩٠٠/٨/١٤ استولت القوات الاجنبية المتحالفة على بكين، ورفعت الحصار عن البعثات السياسية الأجنبية. وهكذا انتهت حركة البوكسر. (٣٩)

وتم للقوى الغربية المتحالفة فرض اتفاقية البوكسرز وتم توقيعها فى ١٩٠١/٩/١٧ ، والتى نصت على معاقبة وإعدام عدد من المسئولين عن الحركة، ودفع تعويض مالى كبير، ومنح البعثات السياسية الأجنبية امتيازات اقتصادية جديدة. والاحتفاظ بحى السفارات للأجانب دون غيرهم، وإبقاء عبء الدفاع عن هذا الحى للسفارات نفسها، مع الاحتفاظ لها بحق وضع الجنود الأجانب فى داخل بكين، وتقرر أن تضمن دفع التعويضات إيرادات الجمارك البحرية وضريبة الملح، والجمارك الوطنية.

وظنت الدول المتحالفة أنها مستطيعة بهذه الوسائل ضمان هيمنة الأجانب على الصين، ولكن قل من الأجانب من تنبأ بأن هذه الشروط المجحفة إنما كانت تحمل بين طياتها بذور تدميرها، ذلك أن بروتوكول البوكسرز هو الذى نستطيع أن ننسب إليه المرارة المفرطة التى كانت تتصف بها علاقة الصينيين بالغرب فى السنوات الخمسين التالية. (٤٠)

ثورة ١٩١١

قامت هذه الثورة تحت قيادة سن يات سين (١٨٦٦ - ١٩٢٥) الـذى يوصف عادة بأنه أب الثورة الصينية، وقد تلقى سن يات سين ثقافـة غربيـة، ونادى بدعوته للإصلاح ، وكسبت هذه الحركة مناصرة مطردة من جماعـات المثقفين الشبان والجمعيات السرية والجاليات الصينية فيما وراء البحار.

وقد تجسد سخط واستياء الفلاحين فى عدد من الانتفاضات بلغت حوالى مائتين انتفاضة فى الفترة بين عامى ١٩٠٧ و ١٩١٠. وتأكد للأسرة الحاكمة أن بقاء نظامها مشروط باسترضاء الشعب، ولذا لجأت إلى إصدار عدد من القرارات الاصلاحية، فمنذ عام ١٩٠٥ صدرت عدة قرارات أهمهـا تأسـيس مـدارس حديثة، وإنشاء وزارة للتجارة، وتشجيع الصناعات الوطنيـة، وتطهـير الإدارة الحكومية من العاملين الفاسدين ، وفى سنة ١٩٠٨ قررت الحكومة إقامة حكـم دستورى فى مرحلة انتقالية مدتها تسع سنوات تنتهى سنة ١٩١٧.

وتعود جذور ثورة ١٩١١ إلى جهود زعيمها سن يات سين، وقد درس الطب فى هونج كونج، وتخرج سنة ١٨٩٢، وأمضى السنوات القليلـة التاليـة كطبيب فى ماكاو وكانتون، ثم سافر إلى هونولولو بهاواى، وأسـس هنـاك فى ١٨٩٤/١١/٢٤ منظمة ثورية عرفت بجمعية إحياء الصين، وفى ١٨٩٥/٢/٢١ تأسس فرع للمنظمة فى هونج كونج، مع فروع أخرى فى الأقاليم الصـينية ، ثم عاد سن يات سين إلى كانتون من جديد ليقود الحركة الثورية ضد أسرة المانشو وكان سن يات سين وطنيا مخلصا.

وتعود أسباب ثورة ١٩١١ إلى:

١- تدهور أسرة المانشو الحاكمة، لأن الضربات الأجنبية الاستعمارية أفقـدت هيبة المانشو فى عيون الصينيين، ومع زوال هيبة الأسرة الحاكمة، زادت حـدة المعارضة لها.

٢- تراث الثورة الوطنية، فطوال حكم أسرة المانشو (١٦٤٤-١٩١١) لم تختف تماما المشاعر المناوئه لحكمها، ولم يكف المفكرون الصينيون منذ أوائل حكم هذه الأسرة عن الدعوة إلى مناهضة المانشو، وبعث حكم أسرة منج، ولم تكن ثورة ١٩١١ الإجزءا من تراث الثورة المستمرة ضد حكم الأجنبي.

٣- المؤثرات الخارجية، فنتيجة لاحتكاك الصين بالغرب، وسفر كثير من شباب المبعوثين لاكمال دراساتهم بالخارج، أمكن تعرف الشعب الصينى على أخبار الثورة الفرنسية، والوحدة الايطالية والاتحاد الألماني، وأصبحت فكرة الديموقراطية والقومية من القوى الدافعة للتغيير الثورى فى الصين.

أما موجز أحداث ثورة ١٩١١، فإنه فى خريف ١٩١١، وبالتحديد فى ١٠ أكتوبر تمردت بعض الوحدات العسكرية فى ونشانج ، ثم فى هانكو، وسرعان ما سرت الثورة فى كل أنحاء الصين، ومع نهاية نوفمبر ١٩١١ أعلنت خمس عشرة مقاطعة استقلالها عن الحكومة المركزية فى بكين. وبفضل هذه الثورة نجح الثوار الصينيون فى الاطاحة بأسرة المانشو، التى تنازلت عن السلطة فى السنة التالية.

وفى ١٩١١/١٢/٢٩ تأسست جمعية مؤقتة، وتم انتخاب سن يات سين رئيسا مؤقتا للجمهورية التى أعلنت سنة ١٩١٢. وهكذا وفى أول يناير ١٩١٢ أعلنت الصين الجمهورية. و ١٩١٢/٢/١٢ اضطر الامبراطور إلى التنازل عن العرش. كما أن سن يات سين فقد اضطر هو الأخر إلى التنازل عن رئاسة الجمهورية فى ١٩١٢/٤/١ - وبعد نحو شهر ونصف من توليه السلطة — للجنرال يوان شبه كاى، الذى تمسك بمنصب رئيس الجمهورية بحجة أنه كان قائدا للقوات العسكرية التى أرغمت الامبراطور على التنازل عن حكم الصين.

ويعتبر تأسيس الجمهورية حدثا بارزا فى تاريخ الصين المعاصر، لأنه وضع نهاية لأكثر من ألفى سنة من حكم الأسرات الامبراطورية، فالصين بعد

عام ١٩١١ لم تعد تتبع لابن السماء، بل لكل الشعب، ونجاح الثورة قد حقق الآمال التى ظهرت فى التراث الوطنى الصينى على مدى أكثر من قرنين ونصف، ونقلت السلطة السياسية من جماعة المانشو إلى الشعب الصينى ولو نظريا، لأن هذه الثورة لم تكن كاملة، واقترنت بالكثير من المضاعفات المؤسفة التى ازعجت سن يات سين، ومن المبادىء الثلاثة " القومية والديموقراطية والاشتراكية" التى أعلنها سن ركز أتباعه على جزء من مبدأ القومية لاستعماله ضد حكم المانشو.

لقد كانت ثورة ١٩١١ مفاجئة ، وثورة بيضاء، تركزت فى المدن الساحلية الكبرى، وبالرغم من نجاح الثورة فى إسقاط حكم أسرة المانشو الحاكمة، فإن الحدث نفسه لم يكن حدث ثوريا، لأن هذه الثورة لم تنجح فى إقامة الاصلاحات الجذرية للمجتمع، وتحقيق نظام سياسى مستقر.

كما أن استيلاء العسكريين على السلطة ، والتراعات بين هذه القيادات العسكرية أدت فى مجملها إلى عدم تحقيق نتائج إيجابية لثورة ١٩١١ (٤١).

ثورة ١٩١٣

انتقلت الصين بسرعة من النظام الجمهورى إلى النظام الديكتاتورى العسكرى المتمثل فى الحزب الوطنى وقيادة الجنرال يوان شيه كاى، الذى كان يميل إلى الحكم المطلق، وهكذا انهار البرنامج الثورى الذى وضعه سن يات سين، ولجأ سن إلى الثورة سنة ١٩١٣ ضد الديكتاتورية العسكرية. وبدأت هذه الثورة الثانية عندما أعلن الحاكم العسكرى لمقاطعة كيانجسى الاستقلال عن السلطة المركزية، وفى أقل من شهر حذت حذوه ستة أقاليم أخرى، إلا أن قوات يوان شيه كاى استطاعت القضاء على أتباع سن يات سين فى مدى شهرين، لأن الناس كانوا قد سئموا القتال، وفضلوا الأمن والسلام. ولكن كانت نتائج قمع ثورة ١٩١٣ هى ازدياد غرور الجنرال يوان شيه كاى، وفى عام ١٩١٦ حاول

تنصيب نفسه امبراطورا علـــى الصـــين، إلا أن محاولتـــه أخفقـــت بموتـــه فى ١٩١٦/٥/٦ (٤٢).

الصين والحرب العالمية الأولى

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى، كانت الصين تحت حكم يوان شى كيه الذى كان رئيسا للجمهورية، وأصبح القادة العسكريون فى قبضته. وقـــد أعلن يوان حياد الصين بمجرد اعلان الحرب العالمية (أغسطس ١٩١٤) أمـــلا فى إبعاد بلاده عن خطر الحرب. (٤٣)

ولقد أتاحت الحرب العالمية الأولى لليابان فرصة ذهبية للتوسع فى الصين، لأن اليابان بعد أن أعلنت الحرب على ألمانيا انطلقت لاحتلال الأقاليم التى كانت تسيطر عليها ألمانيا فى الصين.. فاحتلت اليابان الممتلكات الألمانية فى شـــانتونج والجزر الخاضعة لألمانيا فى المحيط الهادى. وقدمت اليابان إلى الصين مع بداية عام ١٩١٥ ما عرف باسم المطالب الاحدى والعشرين، والتى كانت لها أصداء عالمية واسعة النطاق، كما كان لها رد فعل عنيف داخل الصين تمثل فى حركة ٤ مايو ١٩١٩.

والمطالب اليابانية تتكون من خمس مجموعات:

١- المجموعة الأولى: وتضم أربع مواد تقضي بتخلـــى الصـــين لليابـــان عـــن الامتيازات الألمانية فى شانتونج ، وأن تتعهد الصين بأن تفتح بعض المدن الهامة فى شانتونج للتجارة الدولية.

٢- المجموعة الثانية: وتضم سبع مواد تنص على اعتراف الصين بالوضع الخاص لليابان فى جنوب منشوريا وشرق منغوليا الداخلية، كما يوافق الطرفـــان علـــى امتداد عقد تأجير مينائى بورت آرثر ودالنى وخط حديد جنوب منشوريا وخط حديد موكدن لمدة ٩٩ عاما، كما تسلم الحكومة الصينية لليابـــان إدارة خـــط حديد كيرين تشانج تشون لمدة ٩٩ عاما.

٣- المجموعة الثالثة : يوافق الطرفان على عدم إلغاء الصين بمفردها حقوق شركة هان يه يتج التعدينية اليابانية ، وأن كل المناجم فى المنطقة المجاورة لتلك الشركة لايعمل بها عمال دون موافقة الشركة اليابانية.

٤ - المجموعة الرابعة: توافق اليابان والصين على عدم قيام حكومة الصين بالتنازل عن أى ميناء أو جزيرة على طوال الساحل الصينى لأى طرف ثالث دون موافقة اليابان.

٥ — المجموعة الخامسة: تستخدم الحكومة الصينية موظفين يابانيين كمستشارين فى الشئون السياسية والمالية والعسكرية. كما تحتكر اليابان حقـوق الخطـوط الحديدية فى الصين.

وواضح أن هذه المطالب تؤكد عزم اليابان علـى تحويـل الصـين إلى مستعمرة يابانية.

وأدى انشغال القوى الأوربية إلى منح الفرصة لليابـان لمحاولـة إمـلاء شروطها الاستعمارية على الصين. واضطر يوان شيه كاى لقبول المطالب اليابانية تحت التهديد والانذار، ووقع على المعاهدات الخاصة بها فى ٢٥ مايو ١٩١٥، أى بعد أسبوع من الانذار اليابانى الذى وجه فى هذا الصدد.

حركة الرابع من مايو ١٩١٩

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، أقر مؤتمر الصلح فى باريس لليابان ببعض المطالب ، وخاصة وراثة اليابان للامتيازات الألمانية فى مقاطعة شانتونج. ولكـن الشعب الصينى رفض الخضوع لقرارات مؤتمر الصلح فى باريس، ففى ٤ مايو عام ١٩١٩ قام أكثر من ثلاثة آلاف طالب فى بكين بمظاهرة كبرى ضد قـرارات مؤتمر الصلح (٤٤) وهاجموا ثلاثة من السياسيين الصينيين موالين لليابان، وأحرقوا بيت أحدهم. وتم اعتقال أكثر من ألف طالب، وأطلق سراحهم فيما بعـد. وفى الخامس من مايو تم تأسيس اتحاد طلاب جامعة بكين، والمناداة باستعادة الحقوق

الصينية.. إن ما حدث كان حقا ثورة وطنية، وبداية للقومية، وخيبة أمل عميقة فى الغرب، ورد فعل عنيف ضد الحكومة العسكرية فى الصين. وأظهر التجـــار والعمال والمعلمون ورجال الأعمال تعاطفهم مع حركة الطلاب. وفى ١٩ مايو قام طلاب بكين باضراب عام، وحذا حذوهم الطلاب فى كل المدن الصــينية ، وقرر الطلاب مقاطعة البعضائع اليابانية. وقامت الشرطة بقمع المظاهرات بقسوة، وتم اعتقال الآلاف من الطلاب. وانضم العمال إلى الطلاب، وأصبحت الصــين كلها معارضة للنظام العسكرى الحاكم، ولموافقة مؤتمر الصلح على اطلاق يــد اليابان للسيطرة على الصين.

وكان لحركة الرابع من مايو ١٩١٩ نتائج عميقة، واضطر الوفد الصــينى فى مؤتمر فرساى إلى رفض توقيع اتفاقية السلام والتســليم بالمطالــب اليابانيــة الاستعمارية فى الصين. وهنا نلاحظ أن القومية والــرأى العــام والمظــاهرات الجماهيرية برزت كقوى جديدة على المسرح السياسى فى الصين. (٤٥) نجحــت حركة ٤ مايو فى الدفاع عن المصالح الصينية، فلم تحصل اليابان على شــانتونج، حيث امتنع الوفد الصينى فى مؤتمر فرساى عن التوقيع على المعاهدة، وبذا أصبح الوجود اليابانى فى شانتونج وجودا غير قانونى. (٤٦)

الحالة الداخلية فى الصين بعد الحرب العالمية الأولى

بعد أن انتهت المؤتمرات الدولية التى أعقبت الحرب العالميــة الأولى عــاد الصراع الداخلى إلى البلاد، وكانت حكومة بكين آلة فى أيدى القادة العسكريين المتنازعين. وبينما كان الصراع بين القادة العسكرين على أشــده فى الشــمال، استطاع قادة آخرون أن يدعموا قوتهم فى الجنوب وكان هؤلاء يشجعون ســن يات سين — الذى كان يلمع اسمه حينا ويختفى أحيانا للجوئه للعيش فى المنفى — على تشكيل حكومة فى المنفى.

واستطاع سن يات تسين فى عام ١٩٢٠ إعادة تشكيل حزب الكومنتانج، وفى العام التالى أجتمعت هيئة تشريعية وانتخبته رئيسا للجمهورية.

ومع أن أحداث الصين لم تدعه يحكم طويلا، واضطرته إلى أن يعيش فى منفاه فى شنغهاى، إلا أنه عاد إلى كانتون سنة ١٩٢٣، ورفع مبادئه الثلاثة الديموقراطية وحق تقرير المصير، ومقاومة الغزاة.

واجتمع أول مؤتمر وطنى للكومنتانج فى كانتون فى عام ١٩٢٤ ووضع دستورا للبلاد على أساس الحزب الواحد، وسبق ذلك تكوين جيش وطنى وتأسيس كلية حربية تحت إدارة شيانج كاى تشيك. وقد مات سن يات سن فى ١٢ مارس ١٩٢٥، واستطاع شيانج كاى تشكيك قائد جيش الكومنتانج أن يسيطر على الحزب بعد انتخابه رئيسا للجنة الدائمة للجنة المركزية.

وبدأ تشانج الحملة العسكرية الكبرى لتوحيد الصين، سنة ١٩٢٦ وتقدمت قوات الكومنتانج إلى الشمال وما وافى ربيع ١٩٢٧ حتى سيطر تشانج على معظم أقاليم الصين الواقعة جنوب نهر اليانجتسى. أما فى الشمال فقد أعلن قائد إقليم شنسى انضمامه إلى الوطنيين.

ولكن الصراعات لم تتوقف بل تجددت مع الشيوعيين فى الشمال، هذه الصراعات التى لم تتوقف طيلة العشر سنوات التالية.(٤٧)

الصين والمواجهات المسلحة الخارجية (١٩٣١ – ١٩٤٥)

المواجهات ١٩٣١ – ١٩٣٦

منذ عام ١٩٢٥ بدأت الصين تعمل ضد التفوق الاقتصادى اليابانى فى منشوريا، فقامت بتشجيع الهجرة إلى هناك، وأنشأت خطوطا حديدية إلى جانب الخط اليابانى هناك.

وتقع منشوريا فى شمال شرق الصين، وتمتد شمالا حتى نهر آمور أى حتى سيبريا، وتتاخم من ناحية الشرق روسيا، وتحتوى على مناجم الفحم الحجرى،

وعلى خامات معدنية أخرى، كما أنها من المناطق الزراعية الغنية. وكان يسكن منشوريا فى سنة ١٩٣٠ حوالى ٣٦ مليون نسمة ١٠% منهم منشوريون والغالبية كانت صينية.

ومنذ عام ١٩٣١ عاودت اليابان سياسة التوسع على حساب الصين، وحاولت إخضاع قسم من شمالي الصين لنفوذها السياسى والاقتصادى. وفى الفترة بين عامى ١٩٣١ ، ١٩٣٦ شهدت العلاقات الصينية اليابانية أزمات شديدة. ومر النزاع بين طوكيو وبكين بثلاث مراحل، بدأت الأولى سنة ١٩٣١ عندما اجتاحت القوات اليابانية منشوريا، وجرت حرب قصيرة بين البلدين، انتهت بتوقيع هدنة فى ٥ مارس ١٩٣٢. وقد أعلن اليابانيون فى ١٩٣٢/٣/١ قيام حكومة مانشوكو العميلة لليابان. وقد شكلت عصبة الأمم لجنة لبحث الوضع فى منشوريا، وعرض تقرير اللجنة على الجمعية العمومية للعصبة فى ١٩٣٣/٢/٢٤ ، وأوصت اللجنة بجعل مانشوكو ولاية تتمتع باستقلال ذاتى تحت سيادة الصين، ولكن اليابان تجاهلت هذه التسوية، وانسحبت من عضوية عصبة الأمم.

أما المرحلة الثانية من الصراع فقد بدأت فى عام ١٩٣٣، عندما اجتاح اليابانيون إقليم جيهول فى أوائل مارس من تلك السنة، وتقدموا حتى سور الصين العظيم، ثم اجتازت القوات اليابانية السور، وتقدمت نحو بكين حتى وصلت على مسافة ٢٠ كم من المدينة، ومرة أخرى طلبت الصين الهدنة، التى وقعت فى ١٩ مارس ١٩٣٣. ووفق هذه الهدنة أصبحت مسألة احتلال اليابان لإقليم جيهول أمرا واقعا مكتسبا.

أما المرحلة الثالثة من الصراع اليابانى الصينى فقد بدأت فى عام ١٩٣٥ عندما استأنفت اليابان التوسع العسكرى فى الصين، واتخذ اليابانيون من الثورة التى قام بها الفلاحون الصينيون فى جيهول ضد اليابانيين بسبب ثقل الضرائب

ذريعة لهذا التوسع الجديد، وأحتلوا فى مايو ١٩٣٥ مقاطعة هوبى التى تقع فيهـا العاصمة بكين . ولعل مايثير الأنتباه فى هذه الحوادث هو سلبية الحكومة الصينية، وتلخصت سياسة بكين فى رفض الاعتراف بالأمر الواقع، وعدم توقيع معاهدات مع اليابان، وانتظار الفرصة لانهاء الاستعمار اليابانى للأراضى الصينية.

ولمدة حوالى ست سنوات بعد عام ١٩٣١ ، تفادت الصين الاصـطدام العسكرى المباشر مع اليابان. وفى هذه الفترة قام الزعيم الصينى تشـانج كـاى شيك بإعادة بناء الجيش الوطنى على النمط اليابانى قبل أن يتـورط فى حـرب شاملة مع اليابان، ولكن الانقسام الداخلى بين قوات تشانج كاى شيك وبـين الشيوعيين الصينيين ، أدى إلى إضعاف الطرفين، وتدعيم الاستعمار اليابـانى فى أصقاع الصين. (٤٨)

الحرب الصينية اليابانية ١٩٣٧ - ١٩٤٥

لقد تحولت العلاقات المتوترة بين الصين واليابان إلى حرب شاملة فى يوليو ١٩٣٧، واستطاعت اليابان على مدى عام ونصف السيطرة على كل سـواحل الصين، والحيلولة دون تلقيها أية مساعدات من الخارج، وتهديد المصالح البريطانية فى شنغهاى وهونج كونج، وكان رد الفعل الدولى ضعيفا، واستمرت اليابان فى حربها ضد الصين، وتميزت المرحلة من هذه الحرب التى امتدت من يوليو ١٩٣٧ حتى أكتوبر ١٩٣٨ بسرعة التحركات العسكرية اليابانية للاستيلاء على مـدن الصين الشمالية، كما تم الاستيلاء على شنغهاى ونانكنج وكانتون وهانكاو.

أما المرحلة الثانية التى بدأت فى أكتوبر عام ١٩٣٨، فأنها تميـزت عـن سابقتها فى أنها تحولت إلى حرب عصابات صينية ضد القوات اليابانية، مما كبـد القوات اليابانية خسائر فادحة، وبالتالى ركزت اليابان فى المرحلة الثانية لتـدعيم وجودها فيما سبق واستولت عليه من المدن والأراضى الصينية.

وفى نفس الوقت اتبعت اليابان أسلوبا آخر فى الصين، وهو الحكم غير المباشر، أى تشكيل حكومة صينية تابعة لها فى المناطق التى استولت عليها لتتخذ منها بديلا ومنافسا لحكومة الكومنتانج بقيادة تشانج كاى تشيك. (٤٩)

وبدا أن الصين كانت متحدة فى الكفاح ضد اليابانيين، ولكن ومع هذا الشكل من التضامن الوطنى كانت هناك خلافات واسعة بين الشيوعيين وبين الآخرين. وابتداء من مارس ١٩٣٩ وقعت صدامات بين القوات الوطنية الصينية والشيوعيين، وفى عام ١٩٤١ بات الصراع بين الطرفين أكثر خطورة ، فالحكومة الصينية — فى منطقتها — قمعت بعض الجماعات الشيوعية، فى حين هاجم الشيوعيون رفض الحكومة تسليح الشعب للدفاع عن الأمة، وأدت هذه الاتهامات المتبادلة إلى اصطدامات بين الحكومة الصينية والقوات الشيوعية الصينية. وهكذا كان الطرفان يحاربان القوات اليابانية، مع حدوث صدامات داخلية بين القوتين الوطنيتين، وفشلت الاتصالات لتحقيق وحدة الأمة الصينية فى مواجهة الغزو اليابانى وذلك فى عامى ١٩٤٣، ١٩٤٤، وطوال فترة الحرب العالمية ظل هذا الصراع الداخلى دون حل. إلا أن الشيوعيين حققوا توسعا كبيرا فى قواتهم العسكرية، وفى أبريل ١٩٤٥ وصلت قوة الجيش الأحمر الشيوعى الصينى إلى ٩١٠,٠٠٠ جندى وهذا الرقم لايشمل فرق الدفاع الشعبى التى تزيد عن مليونى رجل. وفى نهاية تلك السنة وصل عدد أعضاء الحزب الشيوعى إلى بضعة ملايين من الصينيين ويرجع السبب الرئيسى لهذا النجاح الشيوعى إلى قدرة الحزب الشيوعى الصينى على كسب مساندة وتأييد جماهير الفلاحين فى شمال الصين، وذلك بتقديم بعض الاصلاحات الثورية لصالحهم. وبهذه الطريقة كسب الشيوعيون ثقة الفلاحين، وزادوا بالتالى من قوة الحزب الشيوعى فى الصين.

الصين والحرب العالمية الثانية

لقد كان للصين دور مهم فى الحرب العالمية الثانية، فقد أثر الهجوم اليابانى على بيرل هاربر على الحرب فى الصين بشكل واضـح، فـالاعلان البريطـانى الأميركى بالحرب ضد اليابان حول الحرب فى آسيا إلى جزء من الحرب العالميـة الثانية، وابتداء من عام ١٩٤٢ إلى نهاية الحرب ازدادت المساعدات الأمريكيـة للصين خاصة المساعدات الحربية.

والصين ، ورغم أن النصف الشرقى من أراضيها كان تحـت الاحـتلال اليابانى، فأنها بسبب استمرارها فى الحرب، لعبت دورا مهما فى دبلوماسية الحرب وقد تجلى هذا الدور بحضور تشانج كاى تشيك لمؤتمر القاهرة (١٩٤٣) الـذى شارك فيه الرئيس الأميركى روزفلت ورئيس الوزراء البريطانى ونستون تشرشل. وقد توصل المؤتمر إلى اتفاق حول استعادة الصين لكل أراضيها المحتلة. وفى عـام ١٩٤٣ أيضا اتفقت الولايات المتحدة وبريطانيا على إلغاء الامتيازات الأجنبية فى الصين.

وباستسلام اليابان فى ١٩٤٥/٨/١٤ ، وبعد ثمانى سنوات مـن الحـرب اليابانية الصينية، قاد تشانج بلاده إلى النصر النهائى، وعمـت الـبلاد مظـاهر الابتهاج بنهاية الحرب... ولكن داخليا كانت هناك مشكلة لم تحل بعد، وهـى الحزب الشيوعى، ومحاولته إعداد الموقف جيدا للاستيلاء على السلطة، والحقيقة أن ماوتسى تونج انتظر طيلة الحرب، وليعد نفسه وحزبه الشيوعى للسيطرة على البلاد. (٥٠)

الحرب الأهلية (١٩٤٥ – ١٩٤٩)

جاء انهيار اليابان فى عام ١٩٤٥ فى وقت أسرع مما كان متوقعا. وبعـد عام ١٩٤٥ بدأ تنافس شرس بين الحزب الوطنى الصينى والحزب الشيوعى الصينى

فى سبيل السيطرة على الأراضى المحتلة، والحصول على كميات كبيرة من أسلحة العدو اليابانى.

وكانت منشوريا تمثل وضعا متفجـــرا، فالتقـــدم الســـوفيتى لم يتوقـــف بالاستسلام اليابانى فى ١٩٤٥/٨/١٤، كما أنه لم يتوقف عند الحدود الجغرافية لمنشوريا، كما تم تسليم كميات كبيرة من أسلحة وعتاد اليابـــانيين إلى قـــوات الحزب الشيوعى الصينى. وحاول تشانج كاى تشيك - زعيم الحزب الـــوطنى الصينى - ثلاث مرات دعوة ماو تسى تونج - زعيم الحزب الشيوعى الصينى - إلى اجتماع بينهما لحسم القضايا الخاصة بالوطن، وفى النهاية وافق مـــاو علـــى الاجتماع بتشانج. وقد تناول الأجتماع الذى عقد بين الزعيمين قضـــايا مثـــل الدعوة إلى مؤتمر لمناقشة المسائل الوطنية، ومحاولة تشكيل حكومة ائتلافيه، ووضع دستور للبلاد. إلا أن الأمر انتهى بفشل هذا الاجتماع لتبـــاين المواقـــف بـــين الطرفين.

وفى مايو ١٩٤٦، وبعد انسحاب الروس من منشوريا، وقعت منشـــوريا كلها تحت سيطرة القوات الشيوعية الصينية، مما أدى إلى الحرب الأهلية فى الصين بين الوطنيين والشيوعيين.

وفى المرحلة المبكرة من الحرب الأهلية ، أحرزت القوات الصينية الحكومية العديد من الانتصارات ، وفى مارس ١٩٤٧ سقطت ينان العاصمة الشيوعية تحت سيطرة القوات الحكومية. ولكن فى النصف الثانى من عام ١٩٤٧ بدأ الشيوعيون هجومهم الشامل، وسجلوا العديد من الإنتصارات فى هونان وشمـــال هـــوبى، ووقعت خسائر فادحة لدى القوات الحكومية، ومع ذلك قرر تشانج مواصـــلة الحرب حتى النهاية.

ثم شرعت القوات الشيوعية تتقدم نحو بكين فى ديسمبر ١٩٤٨، وسرعان ما استسلمت الحاميات العسكرية فى بكين فى ١٥، ٢٣ ينـــاير ١٩٤٩. وقـــد

فقدت الحكومة الوطنية ما بين سبتمبر ١٩٤٨ ويناير ١٩٤٩ حوالى مليون ونصف مليون رجل، وهكذا انهارت القوات الحكومية. وفى ٢١ اكتوبر ١٩٤٩ اضطر تشانج كاى تشيك إلى الاستقالة، وأصبح تشونج جن رئيسا مؤقتا للدولة المنهارة، وقد دخل تشونج فى مفاوضات مع الشيوعيين دون جدوى، لأن النصر النهائى الشيوعى قد أصبح مؤكدا. وهكذا وفى ٢١ أبريل ١٩٤٩ عبرت القوات الشيوعية نهر البانجتسى، وبعد ثلاثة أيام احتلت نانكنج، ولجأت الحكومة الوطنية إلى كانتون، ولكن التقدم الشيوعى فى كل الجهات أدى إلى اعلان ماوتسى تونج تأسيس جمهورية الصين الشيوعية فى أول أكتوبر ١٩٤٩. (٤١)

وسارت الصين قدما فى طريق الشيوعية ، وليس هنا مجال لسرد أحداث التطور الشيوعى فى الصين، ولكن وبعد البيريسترويكا التى قدمها ميخائيل جورباتشوف لاصلاح الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٨٥، وبعد التحول التاريخى للاتحاد السوفيتى من جمهورية مترامية الأطراف تضم فى داخلها العديد من القوميات الأخرى، إلى العديد من الجمهوريات المستقلة، وبعد ظهور روسيا الاتحادية التى تحاول الانتقال مرة أخرى من عالم الاحتكارات والقطاع العام إلى عالم الخصخصة واقتصاديات السوق، فإن الصين أيضا وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى وسقوط الشيوعية اعتبارا من عام ١٩٩١ تسير على نفس المنوال، أى تحاول التحول الهادىء من العالم الاشتراكى إلى العالم الرأسمالى، وتبذل الحكومات الصينية المتعاقبة جهودا جبارة على طريق التنمية الشاملة، حتى يمكن تعويض السنوات التى عاشتها الصين فى ظل الشيوعية، والقفز وبثبات إلى الأمام، حتى تكون ضمن الدول الكبرى المتطورة فى عالمنا المعاصر.

الفصل الرابع

تطور تاريخ اليابان الحديث والمعاصر

تمهيد

ينتمى اليابانيون إلى العنصر المغولى، وتوضح الدراسات الآثارية أن المغوليين القدماء جاءوا إلى الجزر اليابانية عن طريق كوريا، وعند مجيء المغول كانت المنطقة مأهولة من قبل جماعات الأينو الذين يعتبرهم بعض الباحثين مجموعة ترجع فى أصولها إلى جذور قوقازية ويبدو أن الجنس اليابانى مزيج من ثلاثة عناصر.. الأينو والمغول الآتين من كوريا، وعنصر قادم من جنوب شرق آسيا، تسرب إلى البلاد من جزر الجنوب.

ومع بداية القرن السادس م استطاعت أسرة ياماتو الامبراطورية أن تتدخل فى الخلافات الكورية الداخلية، مما أدى إلى الاتصال بالمهارات والأفكار الصينية التى كانت سائدة فى كوريا، وأدى هذا إلى تحول عميق فى الحياة اليابانية، فقد دخلت البوذية والكنفوشيوسية، والطب وعلم الفلك وهندسة البناء الصين فى القرنين السادس والسابع م، وخاصة أثناء عصر أسرة تانج الصينية (٦١٨-٩٠٧)م.

ومن أهم أحداث تلك الفترة هي ظهور الاصلاحات التى تعرف باصلاحات تايكا فى سنة ٦٤٦م، والتى نصت على فرض الضرائب، والتوسع فى الجهاز الحكومى، ومع هذا ظلت سلطات حكام الأقاليم قائمة، وعلى أية حال لابد أن نشير إلى أن تلك الاصلاحات قد تمت فى عهد أسرة نكاتومى، والتى جعلت مدينة نارا عاصمة لها.

وبعد فترة من الهدوء النسبى، ظهرت مخاطر جديدة، هددت السلطة الامبراطورية، فأفراد أسرة فوجيوارا، استطاعوا عن طريق مصاهرة الأباطرة أن يسيطروا على البلاد، وفى عام ٨٥٧م أصبح فبوجيوارا يوشيفوسا كبيرا للوزراء، وفى السنة التالية استطاع أن يضع حفيدة الطفل سيوا على العرش، وتولى هو نفسه منصب الوصى على العرش.[٥٢] أما العاصمة فقد نقلت إلى مدينة هيان

كيو، والتى اتخذت اسم كيوتو سنة ٧٩٤، وظلت عاصمة طيلة أربعة قرون (٧٩٤-١١٩٢) حتى نقلت من جديد إلى مدينة إيدو التى تعرف اليوم باسم طوكيو.

وقد تميز المجتمع اليابانى فى هذه الفترة بأنه مجتمع إقطاعى، وقد تطور نظام الإقطاع من خلال ممارسة رؤساء العشائر لملكية الأرض، وللمحافظة على هذه الامتيازات شكل زعماء العشائر حرسا مسلحا لحماية ممتلكاتهم، واستطاع هذا الحرس أن يؤسس فئة المحاربين (الساموراى) التى تعد فئة متميزة فى مجتمع اليابان الاقطاعى. وقد ترتب على ذلك حرمان الحكومة المركزية من ايرادات الاقطاعيات وفى القرن الحادى عشر م أدركت حاشية الامبراطور مدى سطوة الاقطاعيين، فاستعانت ببعض الأسر الكبيرة ضد باقى رجال الاقطاع، مما أدى إلى حرب أهلية بالبلاد، واستيلاء أسرة ميناموتو على السلطة (١١٨٥- ١٣٩٢) وأصبح مركز الحاكم العسكرى أو الشوجن فى كماكورا فى إقليم كانتو على بعد ٢٥٠ ميلا شرق كيوتو. وهكذا تحولت السلطة إلى أمراء الإقطاع، فى حين غدا حكم الامبراطور إسميا فقط.

وفى سنة ١٣٣٣ حاول الامبراطور جو - دايجو (١٣١٨-١٣٣٩) استعادة السلطة الامبراطورية، ولكن وحدات من قواته المسلحة انشقت عليه ونصبت على العرش فى كيوتو عضوا آخر من العائلة الامبراطورية، ومنح نفسه لقب الشوجن.

أما مجموعات الاقطاعيين، فقد دخلت فى صراعات بين بعضها البعض، وتمزقت البلاد تماما فى حروب غير نظامية، واستمر الحال هكذا حتى القرن السادس عشر.[٥٢]

اليابان وبدايات التاريخ الحديث

أشرفت اليابان في الفترة المحصورة بين عامي ١٥٥٠ و ١٦٠٠ على حال تضارع الفوضى الاقطاعية. وتمخضت تلك الفوضى عن زعيم أوتي عبقرية عسكرية هو أودا نوبيوناجا ١٥٣٤-١٥٨٢، فاستطاع في الوقت المناسب ان يكبح جماح الديميونات (نبلاء الاقطاع باليابان) وأن يتولى السلطة العليا باليابان.

وفي تلك الفترة الحرجة من تاريخ اليابان، وصل البرتغاليون ومعهم أسلحتهم المتطورة، ورحب ديميونات الغرب الذين كانوا يقاتلون من أجل استقلالهم المحلي بهؤلاء الدخلاء ، وكان الأمل يداعب كثيرين من الرؤساء الاقطاعيين على الساحل الغربي في أن يعظم شأنهم بمساعدة البرتغاليين.

ومن حسن حظ اليابان أن البرتغال لم يعد لها عند منتصف القرن المكانة ولا المركز الذى يتيح لها أن تمارس نفوذا سياسيا فعالا في المنطقة، اما الخطر الحقيقي فكان مصدره البعثات التنصيرية، وكاد التشجيع الذى لقيته هذه البعثات في عهد نوبيوناجا أن يجلب على الدولة الكوارث، لولا أن قيض الله للبلاد زعيما عسكريا خلفا له، جمع إلى الحكمة بعد النظر، فلم يكن هيديوشي بالقائد العادى، بل كان وطنيا عظيما وسياسيا مقتدرا، فحرص في البداية شأن نبيوناجا على المحافظة على حسن العلاقة بينه وبين البرتغاليين ومنصريهم، بيد أنه كان يرقب الأموربصيرة شاحذة، فلاحظ أن البرتغاليين انزلوا المدفعية الى البر لحماية المنطقة التي كان يعيش فيها من أدخلهم المنصرون إلى المسيحية. وعندما زار احدى السفن البرتغالية ليقابل أحد رجال التنصير لاحظ أن السفينة كانت ثقيلة التسليح وان كانت صغيرة الحجم. وكان متنبها تماما إلى اهتمام ديميونات الغرب بأسلحة البرتغاليين وعتادهم الحربي. فضلا عن محاولتهم تقوية أنفسهم بعقد أواصر الصداقة مع الأجانب، وتصرف هيديوشي بحزم حتى إذا وافت سنة ١٥٨٧ حظر على المنصرين القيام بأى نشاط في كل أرجاء اليابان. (٥٤)

وبعد هيديوشي تولى القيادة أياسو توكوجاوا في سنة ١٦٠٠، وبعد ثلاث سنوات قلد وظيفة شيتاى شوجن أى (القائد العظيم قاهر البرابرة) واستمر هذا المنصب فى أسرة توكوجاوا مائتين وخمسة وستين عاما، وهى تمارس بالأمر الواقع السلطة العامة على الامبراطورية اليابانية بأكملها ولكنها كانت تحافظ على شكليات اللقب الامبراطورى وهيبته على حين كان الشوجن هو الحاكم الفعلى للبلاد. وكان على الديميونات أن يقسموا يمين الولاء لكل شوجن جديد.

ومع أن شوجنية أسرة توكوجاوا قد استطاعت بهذه الوسيلة أن تسترد السلطة المركزية وتؤسس دكتاتورية دامت أكثر من قرنين ونصف من الزمان، فإن طابع حكمها الاقطاعى وعدم تمكنها من اخضاع كافة النبلاء جعل اليابان عرضة للتآمر الخارجى. وكانت عائلة الشوجن وهى اليقظة والحذرة فى كل ما يتصل بدوام حكمها ونظامها، تدرك الخطر المخيف بالنظام الذى أسسته، وكانت النتيجة المنطقية لذلك هى صدور قرار يمنع جميع أنواع الاتصال بالأجانب، مالم يكن تحت الرقابة الرسمية. لذلك نجد أن سياسة الاعتزال التى فرضتها أسرة الشوجن منذ عام ١٦٣٧ كان لها ناحيتان داخلية وخارجية، وكان المقصود بها ضمان أمن النظام القائم من ثورات النبلاء الأقوياء الذين قد يجرأون لولا تلك السياسة على عقد المحالفات مع الدول الأجنبية، أو يحصلون على الأقل على أسلحة وعتاد أقوى وأفعل. وكانت النية متجهة من وجهة نظر السياسة الخارجية إلى منع كل اتصال مباشر بين الأجانب والشعب، والى تحديد جميع العلاقات التى لايمكن تجنبها بقصرها على الممثل المفوض عن الشوجن بميناء معين. لقد كان اليابانيون على علم تام بنشاط البرتغاليين والهولنديين والأسبان والانجليز بجزائر المحيط الهادى، ولقد لقنتهم تلك الخطوب بضرورة معالجة أمر الأجانب بحزم، وحرمانهم من كل فرصة تمكنهم من الحصول على موطىء قدم بالأراضى اليابانية.

وفى عام ١٦١٥ أرسل اليابانيون جاسوسا إلى المناطق الجنوبية لكى يقدم التقارير عن نشاط الأوربيين هناك. وقد ازداد اهتمامهم بأمر هذا التجسس لما سمعوه من أخبار فى عام ١٦٢٢ عن خطة اسبانية لغزو اليابان ذاتها، ذلك أن اسبانيا دعمت من قوتها بالفلبين وخصصت هناك قوة بحرية ضخمة، وكانت اليابان هى المنطقة الوحيدة فى المحيط الهادى التى تستطيع اسبانيا مهاجمتها دون الاحتكاك بادعاءات البرتغال أو توزيع البابا لأراضى العالم، ذلك التوزيع الذى كانت مصلحتها تقتضيها ان تدعمه وتحافظ عليه. ولكن رد الفعل الذى قامت به الحكومة اليابانية كان قويا وحاسما، فأمرت بابعاد الأسبان جميعا من بلاد اليابان، ثم وضعت السياسة الحازمة المتعلقة بالقضاء على اليابانيين المسيحيين موضع التنفيذ و لم تلبث البلاد حتى أغلقت أبوابها فى بضع سنين فى وجه جميع الأمم الأوربية على السواء[٥٥].

اليابان وحضارة الغرب فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر

أدى ضم كاليفورنيا فى سنة ١٨٤٤ إلى إدخال الولايات المتحدة إلى شاطىء الباسفيكى، وهناك تقرير للجنة الشئون البحرية بالكونجرس يحتوى على ما نصه: "إن ضم كاليفورنيا يتيح تسهيلات للتجارة مع الصين لايجوز إهمالها" وعند منتصف القرن رأت السلطات الأمريكية أنه قد آن الأوان لفتح الباب قسرا، ذلك الباب الذى ظل زمنا طويلا جدا مغلقا فى وجه الغربيين، وكانت اليابان دون غيرها من الدول الشرقية أعلم بنوايا الدول الغربية، كما كانت أصح تقديرا لقوى تلك الدول وكانت هزيمة الصين أمام بريطانيا حافزا عظيما فتح أعينهم بوجه خاص على ذلك الخطر. فقاموا فى المدة التى اعقبت معاهدة نانكنج (١٨٤٣) بتقوية دفاع الجزر وضمان سلامة الاستقلال القومى. وكان اليابانيون يعرفون أنه لابد أن يأتى يوم تبذل فيه الجهود لفتح باب العلاقات معهم. والواقع

أن ملك هولنده لم يأل جهدا فى رسائل عديدة شخصية بعث بها إلى الشوجن: يحاول أن يقنعه فيها بصواب فتح أبواب البلاد للتجارة الأجنبية.

وفى ٨ يوليو ١٨٥٣ وصل الأميرال الأمريكى برى إلى ميناء يوارجا على رأس أربع بوارج حربية، وكان برى يحمل معه خطابا من الرئيس فيلمور. وكانت الرسالة موجهة إلى الشوجن تحمل فى ثناياها كل تعبير عن النيات الودية ولكنها كانت تحمل تهديدا مقنعا بأن الأميرال سيعود فى العام التالى مع قوة أعظم. وكان للتهديد أثر قوى جدا، ذلك أن اليابانيين، كانوا يعرفون ضعفهم، كما أنهم تعلموا أيضا دروس الحرب الصينية، لذلك فانه عندما عاد برى بقوة أعظم حصل على الرد الموافق الذى توقعه، وعقدت معاهدة فى ٣١ مارس ١٨٥٤ فتحت بمقتضاها ميناءان أبوابهما أمام التجارة الأمريكية، كما صرح فيها أيضا بقيام التمثيل القنصلى. وسارعت بريطانيا والروسيا وهولنده إلى تعقب خطوات الولايات المتحدة على عجل، ووقعت معاهدات مماثلة، وحصلت على امتيازات مماثلة.

ولكن الشوجن أضعف مركزه بهذه الإتفاقية، ذلك أن النبلاء كانوا يعارضون فى فتح أبواب البلاد للأجنبى. وكان بلاط الامبراطور معارضا فيها أيضا، وفى ذلك الوقت الحرج مات الشوجن الذى تمت مفوضات المعاهدات باسمه واسم سلطته دون أن يعقب وريثا ذكر. ولكن قبل أن يتم حل الورطة التى سببتها وفاة الشوجن، وصل المبعوث الأمريكى الأول إلى اليابان، وطالب بتوسيع المعاهدة التى عقدها برى. ولم تكن الشوجنية فى مركز يسمح لها بالمقاومة، ولذا فإن المعاهدة التى عقدت فى نجازاكى احتوت على شروط التعهد باسكان الأمريكيين بميناءى المعاهدة، وقبول مبدأ تقاضى الأمريكيين أمام محاكمهم. ووصل البريطانيون والفرنسيون إلى المسرح فور ذلك، وطالبوا بعقد معاهدات مماثلة لتلك التى حصلت بها هاتان الدولتان والدول الأخرى التى حذت حذوها

على الحق فى إنشاء التمثيل الدبلوماسى والقنصلى، فضلا عن حق التقاضى امام المحاكم الأجنبية.

وعند ذلك الحد وضعت الشوجنية فى مركز حرج جدا، وذلك أن الشعور ضد الاجانب وضد الشوجن كان يزداد شدة فى عاصمة البلاد. وأظهر الامبراطور عنادا غير متوقع فى الامتناع عن الموافقة، وترددت فى كل أرجاء اليابان صيحة "توقير العرش وطرد الأجنبى" و لم يوافق الامبراطور على التصديق على المعاهدات. وبلغ التهيج بالرأى العام بين عامى ١٨٥٧ و ١٨٦٣ ان كثر الاعتداء على الأجانب، وعندئذ انهار النظام الشوجنى، تاركا الطريق مفتوحا أمام إعادة السلطة للعرش. والواقع أن ما حدث كان أقرب شىء إلى انقلاب سياسى استطاع باعادته السلطان للامبراطور أن يمنح القوى الجديدة قدرا أكبر من حرية العمل ومصدرا للسلطة لا سبيل إلى مهاجمته، يمكن من ورائه لمن كانوا يخططون خطة اليابان الجديدة أن يتصرفوا تصرفا حاسم الأثر. وكان زعماء العشائر الذين حلوا محل الشوجن يتصفون بتلك المزايا، فقد استطاعوا باتخاذ خطوات رائدها الحذر والتخطيط المقترن بالعناية أن يحطموا السلاسل التى وضعت فى عنق اليابان.

و لم يكن الموقف باليابان مختلفا من الناحية النظرية عن نظيره بالصين بعد معاهدة نانكنج. فقد أسست المستعمرات الأجنبية بالمدن، كما عينت بعض الموانى بحكم المعاهدات لتكون مفتوحة للتجارة الأجنبية. كما أنه حدث فى نجازاكى أن البريطانيين استخدموا القوة للحصول على تسهيلات ضرورية للملاحة، وإدخال السفن أحواض الإصلاح فى الداخل. كما أن الجاليات الأجنبية أخذت تمنى النفس بأن الحرب الأهلية التى بدأت فى الاشتعال آنذاك باليابان، وأن انهيار قوة الشوجن لابد أن توقع اليابان فى نفس النموذج العام الذى آلت اليه الدول الآسيوية.

ولكن عودة سلطان الامبراطور، والسياسات التى اتبعها زعماء اليابان فى السنوات الخمس والعشرين من ١٨٦٨ – ١٨٩٣ أثمرت مع ذلك نتيجة غير متوقعة هى تحطيم أغلال اليابان تحطيما تاما. فبعد استرداد الامبراطور سلطانه بفترة قصيرة، أصدر مرسوما فى ٢٦ مارس ١٨٦٨ أعلن فيه لشعبه أنه قد تقرر إنشاء العلاقات مع الدول الأجنبية وأن البلاط الامبراطورى سيتولى توجيه تلك العلاقات. وحذر الامبراطور من أن كل "من يقدم مستقبلا على قتل الأجانب أو ارتكاب أى عمل من أعمال العنف معهم لن يكون عاصيا فى تصرفه لأوامر جلالته الخاصة فحسب، بل يكون سببا فى جلب الويلات القومية، وسيكون أيضا مرتكبا لجرم ذريع، هو إنزال الأذى بالكرامة القومية والاستقامة القومية فى نظر دول المعاهدات التى صرح جلالته بأنه مرتبط بها بروابط الصداقة".

وواضح أن اليابان تعمدت قصدا أن تخطو خطوة المحافظة على العلاقات الودية مع الأجانب، وأنها كانت منذ البداية مشغولة الخاطر قلقا على الكرامة الوطنية. وقد لاحظ كثير من المراقبين الأجانب حتى فى ذلك الزمان الفرق بين طريقة تصرف الصين ازاء الغرب وتصرف اليابان.. كتب اللورد إيجلن يقول: "لاشك أن هناك نتيجة واحد للفرق بين عادات الصينيين وطرائق إحساسهم وبين ما لليابانيين من عادات وطرائق، هى أنه بينما الصينيون يتأخرون باطراد سيظلون فى أغلب الظن يفعلون ذلك حتى تتمزق امبراطوريتهم إربا، فإن اليابانيين إذا لم يكونو فى حالة تقدم مطرد بالفعل، فهم فى حال تسمح لهم بالاستفادة من تلك التحسينات والاختراعات التى ينظر إليها الصينيون نظرة الاحتقار والسخرية، والتى سيتمكن بها اليابانيون عندما يعرفونها معرفة أحسن أن يقتبسوا من هذه التحسينات ويستخدموها".

وليس ثمة شك فى أن اليابانيين كانوا يقظين كل اليقظة، كما كانوا أكثر دراية بأحوال أوربا من الصينيين مدة طويلة من الزمان، وكانوا يقدرون ضعفهم

العسكرى حق قدره. وكذا أنهم حللوا منذ زمن مبكر أسباب ذلك الضعف، ونسبوه إلى التأخر فى المهارة العلمية، وضعف تأثير التنظيم السياسى، فنصبوا أنفسهم لاصلاح هذين العيبين، ولهذه العناية رحبوا بالمساعدات الغربية وأقبلوا بكل أفئدتهم مكرسين أنفسهم لإحراز المعلومات والتطبيقات الفنية الغربية، بل لتفهم الأساس العلمى الضرورى للتقدم المادى أيضا، وبغض النظر عن هذا الموقف، فإن من الأخطاء التى وقع فيها الكتاب الغربيون ، وبخاصة الفترة السابقة على عام ١٩٣٠ زعمهم بأن اليابان راعتها حضارة الغرب، فالواقع أنه بينما كان زعماء اليابان يقتبسون بجد وحمية شديدة جميع التنظيمات البحرية وغيرها، وينشئون دولة على أسس عصرية بحتة، فإنهم كانوا فى الحين نفسه يتخذون كل احتياط للتحقق من عدم تغلغل الأخطار الغربية ببلاد اليابان.

ومع ذلك فإن اليابان عندما اعتزمت نهائيا أن تربط امبراطوريتها بالدول الأخرى، فإنها ارتضت لنفسها إلى حين القيود والحدود المفروضة على سيادتها، وبدأت مسيرة جديدة فى الإصلاح هدفها فى المقام الأول إقناع الدول أن اليابانيين لايقلون جودة معدن عن الغربيين، وأنهم لم يعودوا متأخرين، كما أقبلوا من الناحية الثانية على تشكيل قوات مسلحة قادرة عند أول فرصة على اظهار فعاليتها. واهتم بالأمر الأول مصلحو حقبة "الميجى" الذين كانوا يعملون مسترشدين بالمبعوثين الذين تعلموا فى بلاد الغرب ثم عادوا إلى اليابان. ومعلوم أن الذى عرف خطورة الناحية الثانية (تشكيل القوات المسلحة القادرة) هم الشواجن أنفسهم الذين شرعوا بمشورة الأمريكيين والهولنديين فى تنظيم البحرية، وشرعوا بمشورة الفرنسيين فى تنظيم جيشهم. وهكذا حدث فى ١٨ أبريل ١٨٦٨، أى بعد عودة سلطة الملكية ببضعة أشهر أن الامبراطور ميجى استطاع أن يستعرض البحرية اليابانية التى كانت تتكون آنذاك من ست سفن يقودها الأميرال سبيون نوميا.

وكانت باليابان رغبة اصيلة فى الحصول على معارف الغرب وعلومه. وأن الجهود المخلصة التى بذلتها جمعية الرنجاكوشا — وهى جماعة من العلماء الـذين درسوا فى هولندا وظلوا محافظين بمثابرة فائقة وجهد خارق على الاهتمام بالعلوم الغربية — والمجموعة الضخمة من المعلومات التى جمعوها ونشروها على النـاس، لتظهر بأجلى بيان أنه كان بين الباحثين اليابانيين شطر كبير لايحمل فى نفسه — على عكس الصينيين — أى كره أو تحزب ضد العلم الأوربى. كما أنهم أنتـهوا منذ زمن مبكر إلى الايمان بأن الحرص على كيانهم القومى، كان يستلزم استثمار العلوم الأوربية، وتجميع المصادر التاريخية الموثوق بها. على أن جمعية الرنجاكوشا استطاعت فى ميادين رسم الخرائط والجغرافيا والفنون العسكرية والطب وعلـم النبات والفلك أن تجمع وتشيع بين الناس طائفة جمة من المعلومات (٥٦).

مرسوم القسم:

لذا فإن الامبراطور عندما أمر رعاياه فى مرسوم القسم أن يطلبوا المعرفـة من كل مكان، تدفقت فى البلاد حماسة لتحصيل المعارف الغربية كانت جديرة بالاعجاب حقا. وكان مرسوم القسم فى عام ١٨٦٨ بداية تغيير عظيم، وهـو وثيقة قصيرة من خمس فقرات نصها كما يلى:

١- تشكيل مجلس موسع تأكيدا لأهمية الرأى العام.

٢- تقوم كل طبقات الشعب ببذل جهود دائمة لصالح الأمة كلها.

٣- سيبذل كل الأفراد قصارى جهدهم للوصول إلى غاياتهم المشروعة.

٤ — وجوب التخلى عن الأعراف والعادات السخيفة.

٥ — طلب المعرفة من كل صقع من أصقاع العالم. وبذلك يتقوى أساس دولتنا الامبراطورية.

وواضح من العبارة الختامية "تقوية أساس النظام الإمبراطورى انها تقـدم مفتاح كل هذا التطور التاريخى البارز. ونصب رجال حقبة الميجى أنفسهم لأداء

تلك المهمة بحكمة وحذر تسترعى الاعجاب حقا. فدعى الخبراء الفنيون من كل نوع ووضعوا موضع الإكرام والترحاب، ودعى الممتازون من الرجال فى ميادين كثيرة للعلم ليعملوا مستشارين أو معلمين أو موظفين بالمصالح والادارات. وكان بالحكومة أكثر من خمسة آلاف موظف أجنبى، والشىء الذى كانت اليابان تحاول جادة أن تتعلمه من هؤلاء الخبراء ذوى الجنسيات المختلفة هو كيف تصبح أمة قوية قادرة على أن تدعى لنفسها المساواة مع أقوى الأمم فى العالم، لذا فإن الأصول التربوية والتنظيمات الاجتماعية لم تكن تقل بحال عن الفنون العسكرية ولا التنظيمات الفنية فى العلوم. ثم أن الانتاج الصناعى وتحسين وسائل الزراعة، والأسس الآلية التى تقوم عليها التجارة الدولية والمواصلات وصناعة السفن العصرية كانت كلها فى غاية الأهمية. على أن اليابانيين ادركوا أيضا أنه لابد لهم من قوانين عصرية ومحاكم حديثة ونظام سياسى يتمشى مع الظروف العصرية، فجردوا أنفسهم لخلق ذلك كله، ولم ينقض جيل واحد حتى اصطبغت اليابان بالطابع العصرى فى ظاهرها. وكان الغرض الأول هو اقناع الدول الغربية أن اليابان تقترب من مستوياتهم، وان اليابانيين أصبحوا أوربيين فى كل شىء عدا لون البشرة.

وضع الدستور:

وللحصول على تعديل المعاهدات، كان اليابانيون مستعدين فى قرارة أنفسهم أن يكابدوا الشىء الكثير، وبلغ بهم الأمر أن صاغوا دستورا يحاول أن يوفق بين الامبراطور المقدس الذى لايمكن المساس به وبين نظام برلمانى حديث. حتى إذا أعلن الدستور فى ١٨٨٩ شعروا بأنه قد صار لهم الحق فى أن يعدوا فى مصاف الأمم المتقدمة. وكانت لاتزال لديهم بعض الشكوك تجاه النصرانية، ولكن إذا كان ثمن تعديل المعاهدات — كما قرر ذلك المبعوثون اليابانيون فى الخارج — هو إباحة الحرية لنشاط البعثات التنصيرية المسيحية فإن الامبراطورية

كان يسرها أن تدخل فى صلب الدستور فقرة تنص على أن قانون اليابان يسمح بالتسامح الديني التام.

والواقع أن النظام السياسى لليابان بدأ هو أيضا يتخذ شكلا مغايرا، ذلك أن القضاء على ثورة ساتسوما (١٨٧٧) قد أزال من الوجود نهائيا حكومات العشائر الاقطاعية، كما اتخذت الخطوات فى سبيل النظم التمثيلية. ففى عام ١٨٨١ أصدر الامبراطور مرسوما يعد بتأسيس برلمان على النمط الغربى من شأنه أن يكون حجر الاساس فى النظام الجديد. فبعد أن درس إيتوهيروبومى النظم السياسية فى أهم الدول دراسة مقارنة، اقترح الخطوات التى يمكن بها على مراحل تدريجية تأسيس جهاز الحكومة البرلمانية فى ظل الملكية باليابان. وكانت أولى الخطوات فى هذا الاتجاه فى عام ١٨٨٥ يوم تشكلت وزارة لتولى إدارة الحكم فى البلاد. وعقب ذلك إنشاء مجلس للبلاط مكون من الشخصيات الممتازة والسياسيين ذوى الخبرة قائم على غرار المجلس البريطانى، وأخيرا أعلن دستور فى عام ١٨٨٩ وسط مظاهر الاحتفال اللائقة، وهو يعلن أن اليابان قد اتخذت مقعدها بين الدول المتحضرة.

ولم يتخذ هذا الدستور من أى دستور آخر معين نموذجا له، وإن كان تأثير انجلترا والمانيا ظاهرا فى كثير من مواده. ولكن هناك اعتبارين تسلطا على إيتو ومستشاريه، وكان أول هذين الاعتبارين الاحتفاظ بسلطة العرش سليمة غير منقوصة، وكان الثانى هو غرضهم المباشر الذى يرمون من ورائه إلى اقناع العالم بأن على رأس اليابان حكومة عصرية متحررة ودستورية حقة. ولم تكن الديمقراطية مسألة ذات أهمية حيوية فى سنة ١٨٨٩. وكانت أقوى دول أوربا فى ذلك الوقت الامبراطورية الألمانية برئاسة بسمارك، وهى دولة لم تدع قط أن لها دستورا ديمقراطيا، كما أنها كانت تقوم قبل كل شىء على الحكم الاستبدادى بل كان حق التصويت مقيدا فى إنجلترا نفسها وهى موطن الديمقراطية، فالشىء

الذى كان يلزم اليابان آنذاك كان بناء دستور لاتخف موازينه عند مقارنته بدساتير الدول الملكية الكبرى بأوربا.

على أن التوفيق بين مركز الامبراطور وبين نظام الحكم البرلمانى كان أمرا أصعب، ولكن إيتو ومن عملوا معه لم يجدوا فى ذلك الوضع تناقضا. وكانت أولى مواد الدستور تنص على أن "الإمبراطورية يليها ويحكمها سلسلة من الأباطرة لاتنقطع إلى أبد الآبدين "وتنص المادة الثانية على أن "الامبراطور مقدس ولايجوز المساس به". وعلق أيتو نفسه على تلك الفقرات بما نصه " ان العرش المقدس تأسس يوم شق الله السموات عن الأرض والامبراطور سليل السموات وهو إلهى ومقدس ويسمو فوق كل رعاياه".

وبديهى أن امبراطورا إلهيا، لايلى ويحكم فقط، بل لايمكن أن تقوم إلى جواره مسئولية برلمانية. ولذا وجب أن تكون الوزارة مسئولة أمام العرش. وكان المقصود من الدايت أن يمكن الامبراطور من تحقيق رغبات شعبه ليس إلا. اما من حيث تشكيل الدايت فإن إيتو اتبع النظام البريطانى، فكون مجلسا للوردات ومجلسا للعموم.

تنقيح المعاهدات:

واستخدمت الحكومة الامبراطورية المهابة والمكانة المتزايدة التى تمخضت عنها تلك الأعمال فى تذكية غرضها المباشر وهو الحصول على تنقيح المعاهدات غير المتساوية الأطراف، وجاءت المعارضة الرئيسية من بريطانيا، وتعمد اليابانيون تملق بريطانيا واسترضاءها ولذا انتشرت فى تلك الأيام بدعة جديدة هى أن يشير اليابانيون إلى أنفسهم بأنهم بريطانيو الشرق. وتم تشجيع دراسة اللغة الانجليزية تشجيعا خاصا ، بل لقد بذلت فى الواقع محاولات لحمل الدنيا على الانطباع بفكرة أن اليابانيين أكبر المعجبين بالبريطانيين، وأشد الناس توقا أن يغدوا تلاميذهم.

من أجل ذلك وان جرت مفاوضات لاتنقطع على يد وزراء خارجية متعاقبين وبخاصة على يد الكونت اينوبى (١٨٧٩ - ١٨٨٧) فإن تلك المفاوضات لم تتمخض عن شيء ذى بال. ولكن ما قام به اليابانيون فى بريطانيا من دعاية تجمع بين تملق البريطانيين تملقا خفيا، وبين عرض وجهة النظر اليابانية فى أبهج الألوان كان له النتيجة المرغوبة، فإن اللورد جرانفيل أعرب فى شيء من الحذر موافقته على مطالب اليابان. وفى عام ١٨٨٦ افتتح فى طوكيو مؤتمر لتعديل المعاهدات إلا أن المؤتمر لم يسفر عن شيء جوهرى نظرا لتعنت الدول، إلا أنه بعد أن أعلن الدستور واجتمع الدايت، لم يعد من سبيل لمقاومة حركة تعديل المعاهدات ، ذلك لان الدايت لم يكن ليتساهل قط فى مطالبه، ونبذت اليابان سياسة المفاوضات الجماعية، وعزمت على تركيز اهتمامها على إنجلترا. وفى ١٨٩٤ وقعت مع بريطانيا معاهدة اشترط فيها على إلغاء الامتيازات القضائية فى مدى خمس سنوات وإعادة الاستقلال لليابان وحريتها فى التصرف فى التعريفة الجمركية، وحذت الدول الأخرى حذو بريطانيا، حتى إذا انتصرت اليابان فى الحرب فى كوريا، وخرجت منها دولة عسكرية، لم يعد هناك أى أساس لمعاملتها كدولة أدنى مرتبة، ولا كدولة يمكن أن تدعى فيها أية امتيازات. وقد حطمت اليابان ما يغلها من سلاسل، إذ عقدت المحالفة اليابانية الانجليزية ١٩٠٢ فخطت على ظهر المسرح الدولى كدولة لها بعض الشأن (٥٧).

اليابان والحرب العالمية الأولى

فى سنة ١٩١٢ توفى امبراطور الميج، الذى شهد خروج اليابان من العزلة الاقطاعية إلى مركز من السلطان والقوة لم يسبق له مثيل وراحت بريطانيا تشجع حليفتها فى الشرق على بناء مركزها القوى، وكان الأصل فى ذلك أن توازن الروسيا بها، كما أنها وافقت على ما ضمت من كوريا اليها، واستيلاء اليابان على حقوق الروسيا بمنشوريا. ومع أن خطوات التفاهم التى تمت فى عام ١٩٠٧

قد أضعفت الغرض الأصلى المقصود من المحالفة، فإن انهيار الموقف الدولى الذى عقب ارتفاع شأن القوة البحرية الألمانية قد زاد ولم ينقص من قيمة المحالفة الأنجلو يابانية لدى بريطانيا. وكانت ألمانيا قد أسست لنفسها مركزا قويا فى كياوتشاو، وكانت لها أيضا مجاميع من الجزر فى المحيط الهادى. وهكذا من أجل الدفاع عن مصالح بريطانيا فى الشرق الأقصى فى حالة شبوب نار حرب أوربية، صار للمعاهدة الأنجلو يابانية أهمية خاصة.

وعندما نشبت الحرب أدركت اليابان بسرعة خاطفة الفرصة السانحة لها التى أتاحتها لها شروط المعاهدة فى أن تقف موقف المؤيد للسلام وأن تأخذ على عاتقها قيادة جميع الشئون فى الشرق الأقصى، ثم أعلنت الحرب على ألمانيا برضا من بريطانيا، ولكن الحكومة البريطانية لم تشعر بأى سرور حول مجال الأعمال اليابانية ومداها.

ولم تكن بريطانيا فى أثناء تلك المرحلة ترغب الا فى شىء واحد، أن تزيل اليابان من الطريق كل قوة بحرية أو عسكرية لألمانيا ببلاد الصين، وأن لاتمد عملياتها الحربية جنوبا بحجة شن الحرب على ألمانيا. ورغبة فى تهدئة الروع الذى أحست به الدول الأخرى أصدرت وزارة الخارجية البريطانية بيانا صرحت فيه بأن: "المفهوم ان تصرف اليابان لم يمتد إلى المحيط الباسيفيكى وراء بحار الصين، إلا بقدر ماهو ضرورى لوقاية خطوط الملاحة اليابانية فى المحيط الهادى، ولا فى أية أرض عدا الأرض الواقعة تحت الاحتلال الألمانى على قارة آسيا الشرقية" بيد أن اليابانيين لم يعدوا ذلك التصريح الصادر من جانب واحد ملزما لهم، ومن ثم ظهرت عمارة بحرية يابانية أمام مجاميع الجزر الألمانية فى المحيط الباسيفيكى الجنوبى، مدعية انها تطارد الأسطول الألمانى فى الشرق الأقصى بقيادة الأميرال مكسميليان فون اسبى.

وبعد حملة شانتونج التى أدت إلى الاستيلاء على تسنج تاو وإزالة كل أثر للنفوذ الألمانى ببلاد الصين، ركزت اليابان جهودها كلها — كما رأينا — على الحصول على مركز سيادة ممتاز لنفسها فى الصين. وسرعان ما أدركت أن الدول الأوربية وان اشتبكت فى صراع قتال فى الغرب، إلا أنها متحدة جميعا فى معارضتها لعملها. وأنه حتى حليفتها نفسها لم تكن تنظر اليها بملء الارتياح، وإن لم تكن بريطانيا بأى حال فى موقف يسمح لها بأن تعترض على سياسة اليابان. ومن ثم شرعت اليابان تقوم بحملة ديبلوماسية محمومة فى كل العواصم الأوربية لتحصل من الدول فرادى على الموافقة على سياستها فى الصين أى تحصل على تأييد الدول لأطماعها واحدة بعد أخرى. وزاد الموقف فى الحرب سوءا على سوء ، فلم تقتصر بريطانيا على الموافقة على المركز الخاص لليابان فى الشرق، بل بلغت حد تقديم النصح للصين بقبول المطالب الاحدى والعشرين. فكأنها نطقت بذلك بالحكم بالقضاء على مصالحها بالصين. ووافقت كل من فرنسا وإيطاليا أيضا، أما الروسيا، فإن اليابان عقدت معها آنفا ميثاقا (٣ يوليو ١٩١٦) وفى ٥ مارس ١٩١٧ وافقت الروسيا على مناصرة مدعيات اليابان فى شانتونج. حتى إذا بلغت اليابان أربها من الاتفاق مع الدول حولت وجهتها نحو الولايات المتحدة. فأرسلت اليها بعثة خاصة برياسة الفيكونت إيشى، واستطاعت البعثة تحقيق اتفاق تم بمقتضاه إعادة تأكيد تمسك كل من الجانبين بسياسة الباب المفتوح ومعارضتهما لاجتياز الحقوق أو الامتيازات الخاصة التى تؤثر فى استقلال الصين أو سلامة أراضيها، واعترف أيضا "بأن الجوار الإقليمى يخلق علاقات خاصة بين الأقطار، وبناء عليه تعترف حكومة الولايات المتحدة أن لليابان مصالح خاصة بالصين، وبخاصة فى ذلك الجزء الذى تجاوره ممتلكاتها". ولاشك أن المفارقات التى ينطوى عليها هذا الاتفاق كانت تحتوى على بذور العداوة الشديدة التى نشأت وترعرعت بين أمريكا واليابان فى السنوات التى

أعقبت الحرب العظمى. وفهمت اليابان أن الولايات المتحدة اعترفت — بهذه المعاهدة — بمصالحها الخاصة فى منشوريا ومنغوليا الداخلية. وكانت الولايات المتحدة تعتبر أن اليابان قد وافقت دون مواربة على عدم المطالبة بحقوق أو امتيازات تؤثر فى استقلال الصين. وكانت اليابان ترى أن سيادتها العليا فى شمال الصين على الأقل، قد تم الاعتراف بها بمقتضى هذه المعاهدة. أما الولايات المتحدة فلم تكن ترى إلا أنها قد اعترفت فقط بالمصالح التى لاتضار بها سيادة الصين ولا تؤثر فى مبدأ الباب المفتوح الذى كانت أمريكا نصيرته والآخذه بيده.

حتى إذا رضيت اليابان عن نفسها لاقتناعها بأنها حصلت على موافقة الدول المختصة فيما يتعلق بالحقوق التى كانت تدعيها بمقتضى الاتفاقات التى عقدتها مع يوان شيه كاى، أصبحت مستعدة للقيام بدور رئيسى فى الحرب. وكان البريطانيون والفرنسيون يلحون فى طلب المعونة البحرية فى البحر المتوسط للعمل على القضاء على حملة الغواصات الخطرة التى بدأها الألمان بعد فبراير ١٩١٧، ولما كانت بريطانيا العظمى قد أظهرت عند بداية الحرب شيئا من التمنع فى إظهار موافقتها على أعمال اليابان العسكرية خارج الصين. بل لقد ألقت فى روع العالم فعلا أن اليابان قد وافقت على هذا القيد، فقد كان محرجا لها أن تطلب منها أن ترسل قواتها إلى البحر المتوسط نفسه. ومع ذلك، فإن اليابان وافقت على إتيان ذلك بشرط: هو أن تؤيد بريطانيا وفرنسا مطالبها الخاصة بالجزر الألمانية جنوبى خط الأستواء. فلما صدرت هذه الموافقة دخل البحر المتوسط أسطول يابانى بقيادة الاميرال ساتو متخذا علم القيادة على الطراد أكاشى ومعه ثلاث فصائل من المدمرات، وهو فى الواقع حدث تاريخى عظيم ينبغى لنا أن نطيل الحديث قليلا فى أهميته.

وعلى حين كانت السفن الحربية الأوربية تسيطر على البحار الآسيوية منذ بداية القرن السادس عشر، لم تدخل سفن حربية قط من آسيا مياه أوربا. ذلك

أن البحرية التركية العظيمة التى كانت تتسلط بقيادة خير الدين بربروسا على البحر المتوسط حينا من الدهر، كانت فى الحقيقة عمارة من الشرق الأدنى وليست عمارة آسيوية. فالتفوق البحرى للغرب فى المحيطين الهندى والهادى، وهو التفوق الذى بدأ بظهور أفونسو ألبكرك فى ١٥١٠، قد وجد اليوم لأول مرة من يتحداه تحديا فعال الأثر فى معركة مضيق تسوشيما . وكانت الخطوة التالية هى مطاردة أسطول الألمان فى المحيط الهادى، والآن حدث بعد سنتين أن أسطولا آسيويا قد سافر إلى سويداء المياه الأوربية ليقوم بالعمليات البحرية.

فلما وضعت الحرب أوزارها، جلست اليابان بوصفها إحدى الدول العظمى المشتركة فى النصر، بمجلس الند من أمريكا وبريطانيا وفرنسا وايطاليا بمؤتمر فرساى. بيد أن أوهام اليابان وآمالها ذهبت فى ذلك المؤتمر بددا. فقد أظهر الرئيس ولسون الذى كان متسلطا على المؤتمر عداء لاتلين قناته إزاء مطالب اليابان. ومع أن بريطانيا وفرنسا قد تهيأتا لتجرع الغصص كما أيدتا مطالبها تأييد المكره، فإن الرئيس الأمريكى أوضح بجلاء أنه يعد مطالب اليابان خاطئة خلقيا وجائرة سياسيا. واستطاعت اليابان بمساعدة حليفتها أن تحصل على مطالبها إسميا ولكن رفضت الصين بتشجيع من أمريكا التوقيع على المعاهدة وكان جليا أن الرواية لم تتم فصولا وأن أمريكا ستثير المسألة فى أقرب فرصة ممكنة. (٥٨)

وتمت الخطوة التالية فى واشنطون. وكانت الحرب قد أنتجت أول حركة انتقال للأهمية السياسية من أوربا إلى أمريكا. فبعد الحرب أخذ أهل الرأى بأمريكا يوجهون يوما فى أثر يوم سهام النقد إلى المحالفة الأنجلويابانية، وذلك لأن واشنطون شرعت تتنبأ بحدوث صرع فى المحيط الهادى. فلما عمدت اليابان إلى بسط سلطانها على مجاميع الجزر الواقعة إلى الجنوب من خط الاستواء زاد ذلك من الشك وعدم الثقة فى السياسة اليابانية اللذين شرعت بوادرهما تدب فى صدر

أمريكا منذ شن احرب. وشعرت أمريكا أن المحالفة الأنجلويابانية هى التى كانت تحرس الجناح الدبلوماسى لادعاءات اليابان بشمال الصين، كما أنها هى العامل الذى أحبط محاولاتها فى الحد من مصالح اليابان. وكان آخر أجل لانتهاء المعاهدة التى أبرمت فى ١٩١١ هو ١٩٢١. وقد بدأ يتحرك فى صدر بريطانيا نفسها شعور بأنه مادام التهديد الألمانى قد زال فلا معنى للاستمرار فى تحالف مع دولة آسيوية تحد من حرية بريطانيا فى التصرف ببلاد الشرق. وفوق هذا كانت كندا تعارض أشد المعارضة فى تجديد المحالفة، وكانت تعكس بذلك مشاعر واشنطون إلى حد ما. وأظهر آرثر ميجى رئيس الوزراء الكندية اصرارا شديدا على إلغاء المحالفة الأنجلويابانية، وتمكن فى المؤتمر الإمبراطورى من الحصول على قدر كبير من التأييد لآرائه، برغم معارضة لويد جورج وتشرشل وغيرهما، ممن كانوا يخافون مغبة إثارة حقد اليابان وعدوانها على المصالح البريطانية فى الشرق. وكان القصد الظاهرى من المؤتمر هو تحديد السلاح فى الباسيفيكى. وكان جليا من توسع اليابان جنوبا أنها مقدمة على زيادة بحريتها حتى تستطيع صيانة مصالحها القاصية. ولم يكن فى المستطاع فى تلك الظروف تجنب التنافس فى بناء القوة البحرية الا بعقد المحالفات الدورية.

من أجل ذلك دعا الرئيس الامريكى هاردنج الدول ذات الاختصاص المباشر فى ذلك الأمر إلى عقد مؤتمر لبحث مشاكل الباسيفيكى. وأدركت اليابان أن هذا كان محاولة لعزلها ، ومحاولة لعرض مسألة علاقاتها بالصين بحذافيرها على بساط البحث، وخاصة تسوية شانتونج، ومحاولة أيضا للحد من نشاطها. لذلك لم تقبل دعوة أمريكا إلا بعد أن أوضحت كل الأيضاح أن المسائل التى تهم دولا معينة أو أن الأمور التى يجب أن تعتبر من الحقائق المقررة والأمور الواقعة ينبغى ألا تثار فى المؤتمر. وبهذه الصيغة حاولت أن تصون حقوقها فى شانتونج ، تلك

الحقوق التى أصبحت تستند الآن إلى معاهدة فرساى، وأن تحافظ على مركزهـا فى منشوريا.

وقد أوضحت أمريكا أهدافها بطريقة صريحة أو تكاد على لسان هيـوز وزير خارجيتها فى جلسة المؤتمر الافتتاحية، ولم يعد الاستمرار فى مهاجمة المحالفة الأنجلويابانية ضروريا، وذلك لان حماسة بريطانيا لها قد فتـرت ووجـدت فى اقتراح عمل معاهدة رباعية حجة تتذرع بها للتخلى عن تجديد المحالفة، وبمقتضى المعاهدة الرباعية وافقت كل من بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا واليابان على احترام حقوق بعضها البعض ومراكزها بمنطقة المحيط الهادى وأن تسوى خلافاتها عن طريق المفاوضات. وعلى أساس هذه المعاهدة تنتهى المحالفة الانجلويابانيـة. وأقرت معاهدة الدول الخمس البحرية نسبة عالمية هى ٥ إلى ٥ إلى ٣ لبريطانيـا وأمريكا واليابان على التعاقب، كما نصت على ألا يقوم أحد بإنشاء التحصينات البحرية بعد ذلك فى المحيط الهادى عدا منطقة قناة بنما وجزائر هواى وألاسكا.

اليابان بين الحربين العالميتين

وفى هاته الظروف العسيرة عولت اليابان على اتباع السياسة الوحيدة التى كانت تستطيع ان تنتهجها، وهى أن تطور قوتها الداخلية بطريقة تمكنـها مـن صيانة مركزها، حتى يحدث تحول جديد فى الموقف الدولى يجلب لها حلفاء جددا. فبذلت كل جهد فى مقدورها لتصبح دولة صناعية عظمى، ولتنـهض بقواتهـا الجوية والبحرية دون اعتماد على الغير، ولتزيد من انتاجها فى الأغذية ولترفع من حجم تجارتها. ولجأت الحكومة إلى خطة الاقتصاد المخطط، الذى يهـدف إلى تقوية الشعب من جميع نواحيه، نفذتها بنجاح تام، وكلما انقضى يوم، اتضح أمام أعين زعماء اليابان أنه ما لم تكن لديها موارد كافية من الحديد والفحم، ومـا لم يصبح لديها مورد للطعام مضمون الاستمرار فإن مركزها سيظل ضعيفا غير منيع ولم يكن الحصول على هذه الأمور يتيسر إلا فى منشوريا، وهى إقلـيم ضـخم

رسخت اليابان فيه من قبل قدميها وادعت لنفسها فيه مركزا خاصا. ومـــن ثم اتجهت بجماعها إلى منشوريا، وقد صممت على أن تتخـــذ منـــها مخزنـــا ودار صناعــــــة — أى ترسانة.

وفى أثناء الفترة التى أعقبت الثورة، كانت المنطقة المترامية الواقعـــة إلى الشمال من السور العظيم فى الصين تحت هيمنة الماريشال تشانج تسولن، وكان ذلك الجنرال يدرك منذ البداية أن مركزه المستقل فى مكدن كان يتوقف علـــى تأييد السلطات اليابانية له وعلى جيش كوانتونج. وطالما كان الجنرال تشـــانج تسولن وزيرا للحربية بمنشوريا لم تكن اليابان ترى أن التدخل ضرورى لتنفيـــذ خطط نيبون الاستراتيجية والاقتصادية. ولم يحدث فى الوضع أى مشكل خطـــير حتى ظهر الكومنتانج. وقد تحولت منشوريا ومنغوليا الداخلية فعلا إلى محميـــات يابانية. حتى إذا تأسست الحكومة المركزية فى نانكنج، وحاولـــت الحكومـــة أن تدخل فى نطاقها تشانج هويه ليانج، وهو ابن تشانج تسولن وخليفته نشأ موقف جديد أوشك أن يزعزع من أساسه الصرح الذى رفعته اليابان فى ربـــع القـــرن الذى عقب معاهدة بورتسموث. وقد بدأ الصينيون منذ ١٩٢٩ فى إنشاء ثلاثة خطوط حديدية مونتها من الموارد الصينية البحتة، وافتتحت ميناءين جديدين هما ينكاو وهووتاو بقصد منافسة ميناء دايرن فى الاتصال بالداخل، وبذلك قلـــت قيمة الخط الحديدى الذى تحت هيمنة اليابان. وأخيرا ادركت اليابان عندما ضم تشانج هسويه يانج فى ١٩٣٠ مقدراتـــه الى مصـــائر تشـــانج كـــاى شـــك والكومنتانج، أنها مخيرة بين أمرين فإما أن تتخلى عن مركزها صاغرة أو تحارب دفاعا عن حقوقها(*).

وحدث انفجار فى الطريق الحديدى الجديد الجنوبى بمنشـــوريا فأمـــدها بالذريعة التى تتخذها تكأة لذلك. وفى مساء ١٨ سبتمبر ١٩٣١ احتل اليابانيون

(*) انظر الفصل الثالث من الكتاب.

مكدن. و لم تنقض بضعة أيام حتى احتلت جميع المراكز الاستراتيجية بمنشوريا والتجأت الصين بشكواها إلى عصبة الأمم، وعندئذ عادت العلاقات الصينية اليابانية فاحتلت مكان الصدارة الدولية. وكان رد اليابان على ذلك أن المسألة مسألة محلية بحتة وفى الامكان تماما تسويتها بالمفاوضات المباشرة. وتواصل الكفاح الديبلوماسى فى عصبة الأمم دون أن يبلغ أية نتيجة. وكانت الثمرة الهامة الوحيدة فى المرحلة الأولى للمناقشات هو اشتداد اقبال الولايات المتحدة على الاشتراك فى مباحثات العصبة، وإن لم تكن عضوا فيها، وبهذا أكدت مرة أخرى تماسك الأمم الغربية جميعا ضد اليابان.

ولاتهمنا العلاقات بين الصين واليابان إلا فيما يتعلق بمدى تأثيرها فى العلاقات بين أوربا وبين كل منهما. ومع ذلك فاننا سنقتصر على ذكر الحقائق المجردة حتى تكون الأساس اللازم لتفهم الموضوع. و لم تكد السنة تنتهى حتى كانت اليابان قد احتلت معظم منشوريا وشرعت تنظم جماعات من الصينيين لمناصرتها. وفى ٢٠ مايو ١٩٣٢ ادعت اليابان الرغبة فى حماية الوطنيين اليابانيين النازلين بشنغهاى، وادعت كذلك أنها سترد على المقاطعة التى كانت الحكومة الصينية توعز بها فنزل البحارة اليابانيون بشنغهاى وهاجموا الجنود الصينيين النازلين فى تشاياى، وأدى ذلك بطبيعة الحال إلى تدهور العلاقات مع الدول الغربية التى أحست أن اليابان قد وجهت هجومها إلى نقطة كانوا منذ زمن بعيد يعدونها ملكا خالصا لهم. وعلى الرغم من احتجاجات الدول، اشتبكت قوات اليابان البرية والجوية فى الصراع. وعندئذ طلب ستمسون وزير الخارجية الأمريكية ان تدعى رسميا هيئة حلف الدول التسع للعمل ضد اليابان.

والواقع أن السياسة الأمريكية تحولت فعلا تحولا جديدا. أما فيما يتعلق بمنشوريا، فإن ستمسون أثار فيها مبدأ عدم الاعتراف، وبذلك وضع أمام الأعين فكرة أن الولايات المتحدة لم تكن لتستطيع أن تقبل إسباغ الصيغة القانونية على

أى موقف بحكم الأمر الواقع، ولا هى كانت تنوى أن تعترف "بأية معاهـــدة أو اتفاق تضعه تلك الحكومات أو وكلاؤها، ويتم به الاعتداء على الحقوق الـــتى نصت عليها المعاهدة بالنسبة للولايات المتحدة ومواطنيها، ورعاياها ببلاد الصين، بما فى ذلك كل ما يتصل بسبب إلى سيادة الجمهورية الصينية أو اســتقلالها أو سلامة أراضيها أو اقتصادها" وأنها "لاتنوى الاعتراف بأى موقف ولا معاهـــدة ولا اتفاق يمكن الوصول إليه بوسائل متناقضة مع ميثاق حلف باريس والتزاماته". وما أن بدىء بالعملية بشنغهاى ، حتى بادرت الحكومة الأمريكية بإرسال سفينة القيادة البحرية هوستون ومعها المدمرات وفرقة من الجنـــد المشـــاه "كـــاجراء تحفظى". ولما فشلت محاولة استثارة أعضاء معاهدة الدول التسع، تجمع الأسطول الأمريكى فى هواى تجمعا ينذر بالثبور.

وتزايد عداء ستمسون لليابان شدة، فأدى إلى الشطط حيث حاول تعبئة الرأى العام بالطريقة الأمريكية المألوفة وهى إصدار التصريحات العلنيـــة. وقـــد أوضح ستمسون فى خطاب وجهه إلى السناتور بوراه فى ٢٣ فبرايـــر ١٩٣٢ ان اقتراحه المتعلق بإصدار الدول جميعا بيانا فى وقت واحد، ذلك الاقتراح الـــذى رفضه السيرجون سيمون كان "إشارة إلى الدول أنه يمكنها القيام بعمل مشـــترك فى المستقبل" وستجتمع فى الجمعية العامة لعصبة الأمم، كما كان المقصود منه أن يكون" تشجيعا للصين وتهديدا لليابان". وبتشجيع أمريكا شرعت عصبة الأمـــم تتخذ موقفا يزداد فى عدائه لليابان يوما بعد يوم. وأقرت قرارا يتضمن قبول مبدأ عدم الأعتراف بما حدث، وعينت لجنة لتقدم تقريرها عن ايقاف العمليات الحربية بشنغهاى لاقتراح أية اجراءات سريعة قد تراها ضرورية".

لقد حققت أمريكا للمرة الثانية تماسكا قويا ورائعا بين الدول الغربية على اليابان. ولما كان موقف اليابان من مسألة شنهاى هو أنها عمـــل دفـــاعى ولا ينطوى على احداث أى تغيير فى السياسة، فإنها سحبت قواتها فى ٤ مارس بعـــد

أن تم بصورة مرضية توقيع جميع شروط الهدنة وتنفيذها. ولكن موقفها من منشوريا كان مختلفا، فإنها بعد أن احتلت البلاد راحت تعمل جاهدة على تنظيم حركة تطالب باستقلال منشوريا. وقد كانت اليابان تعتقد أن موقفها من منشوريا مشروع وأن لها من الأسانيد القانونية ما يؤيد حقوقها، إذ لم تكن منشوريا فى الأصل جزءا من الامبراطورية الصينية إلا بمقدار ما كانت نورمنديا قسما من إنجلترا. ذلك أن أسرة المانشو هى التى فتحت الصين لا العكس، وبناء على ذلك فإنه لما انقطعت من إمبراطورية المانشو أسبب الحياة، لم يكن هناك أى "أساس قانونى" للادعاء بوحدة منشوريا مع سائر الصين، كما أن الواقع أن حكومة نائب الملكة بمنشوريا ظلت منذ الثورة حتى ١٩٣١ مستقلة إلى حد ما عن بكين. وكانت سياسة اليابان هى إحياء مطالبة المانشو بالمنطقة وهى دعوى المطالبة والاحتفاظ بالمصلحة الشرعية القائمة على الحق الوراثى للامبراطور بويى الذى احتفظ بلقب امبراطور المانشو حتى عند تنازله عن عرش الصين.

وكان وزير الخارجية ستمسون عدو اليابان اللدود يدعو عصبة الأمم إلى اتخاذ عمل قوى ضد اليابان، ولم تكن دولته عضوا بتلك المؤسسة ولكنه كان يرجو بذلك أن يؤلب على "ذلك الشعب المتمرد" كل قوة الرأى العام. وكان الرأى العام البريطانى أكثر أخذا بالحيطة، كما أن الحكومة القومية التى يغلب عليها آنذاك عنصر المحافظين، كانت ترى أن قضية اليابان بمنشوريا قوية. وبينما رحى المناقشات تدور فى جنيف اقتحمت القوات اليابانية ممر شانهايكوان، وبذلك هددت ولاية جيهول ومناطق أخرى داخل السور الأعظم. لقد أصبحت اليابان هى وعصبة الأمم عند مفترق الطرق. وأصدرت العصبة قرارا تطالب فيه اليابان بالانسحاب إلى منطقة السكة الحديدية وإلى فتح باب المفاوضة لتسوية الخلافات بينها وبين الصين تحت رعاية لجنة تندبها العصبة. فطلبت من الصين أن تقيم دولة منشورية ذات استقلال ذاتى تحت سيادة الصين، ثم أوصت بعد ذلك

بالا يعترف أعضاء العصبة بمنشوكو. وقد ظفرت السياسة الأمريكية بنصر عظيم نجحت به فى عزل اليابان. فأجابت اليابان على ذلك بأنها تنوى الانسحاب من العصبة ولا تعد نفسها ملزمة بقراراتها.

لقد انفصلت اليابان عن أوربا وأصبحت آنذاك مصرة على الوصول بالأمر إلى نتيجة حاسمة فى الصين نفسها. فأخذت تتحرك صوب الجنوب ببطء وعلى مراحل، ومع أن تصرفات اليابان لم تجد إلا قدرا ضئيلا من المعارضة الرسمية من الدولة الصينية نظرا لاشتباك أيدى الكومنتانج فى ذلك الحين فى صراع حزبى مرير، فإن الشعور الوطنى فى الصين كان يواصل تكوين جبهة متحدة على المعتدى. ولكن اليابان شرعت تقيم فى قاعدتها فى جيهول علاقات ود وصداقة مع أمراء المغول وتخترق مناطق التخوم. وظهرت بين المغول حركة تدعو إلى الاستقلال وفى بكين نفسها، وفى أثناء هذه الفترة من النشاط الديبلوماسى يوم كان تشانج كاى تشيك لايزال مترددا بين اقدام واحجام اقيم ضرب مخفف من السيادة اليابانية تطبيقا لما كان يسمى باسم اتفاقات هو يومى تجلو التى ينبغى بمقتضاها ان يطرد من ولاية هوباى (التى تقع فيها بيكين) كل موظف تعترض السلطات اليابانية عليه وان تجلو عن تلك الولاية جند الكومنتانج جميعا ووكالات الحكومة المركزية. وبذلك أصبح الجزء الشمالى من الصين يعامل معاملة منطقة مستقلة، وأقيمت فى شرق هوباى تحت رعاية اليابانيين حكومة مضادة للشيوعية — بل ان تشانج وحكومة نانكنج نفسها وافقت على انشاء مجلس تشاهار السياسى فى هوباى".

وعندئذ لاحت اليابان كأنما هى تطأ بنجاح نفس السبيل الذى مهدته بريطانيا فى الهند، وهو طريق تم لها فيه على مراحل اقامة ملوك ودول اعترفت هى بهم وأصبحوا الاعيب بين يديها. ولكن الوطنية الصينية هبت شاكية السلاح. وتمكن انقلاب سيان من ارغام تشانج كاى تشيك على الموافقة على

إقامة جبهة موحدة ضد اليابان. وبعد ذلك القرار وبعد الاتفــاق مــع زعمــاء الشيوعيين، أجمعت الصين رأيها على السياسة المقاومة لليابان. بينما قررت اليابان أيضا توجيه ضربتها قبل أن تتم الوحدة الوطنية وتجمع القوة التي تمت اقامتها بعد تصريح سيان. وكانت نتيجة ذلك "حادثة" كــوبرى مــاركوبولو (٨ يوليــو ١٩٣٧)، وهى حادثة بدأت دورا من المقاومة الصينية ترامــت فى النهايــة إلى اشتعال نار الحرب بين اليابان والصين، وهى الحرب التى اندمجت بعد ١٩٤١ فى أحداث الحرب العالمية الثانية. (٥٩)

اليابان والحرب العالمية الثانية

بعد العدوان الجوى اليابانى على الأسطول الأمريكى فى بيرل هاربر، اندفع اليابانيون يهاجمون فى المحيط كل المواقع التى وضعوا خطتهم للاستيلاء عليهــا، وظل هذا الاندفاع السريع لمدة ستة أشهر (نوفمبر ١٩٤١ — مــارس ١٩٤٢) هاجموا أثناءها القواعد البحرية التى تمتلكها الدول الغربية، وسقطت فى أيــديهم جزر ماليزيا وبورما وجاوه، وأصبحت كل من استراليا والهند والصين مهــددة بالغزو أيضا. ولكن قوات الحلفاء الجوية والبحرية قضت فى شهر مــايو ١٩٤٢ على أمل اليابانيين فى غزو استراليا بعد انتصارهم فى معركة بحر كــورال. وفى شهر يونيو انهزمت قوة بحرية يابانية أخرى بالقرب من جزيرة ميدواى.

وكانت سيام (تايلند) قد عقدت معاهدة تحالف مع اليابــان (ديســمبر ١٩٤١). ولكن الشعار الذى أطلقه اليابانيون (آسيا للآسيويين) لم ينطل علــى أحد، فلم تقم ثورة فى الهند، ولم يتجاوب الصينيون مع اليابان، بــل عــرف الآسيويون أن الخطة اليابانية هى استعمار تلك المناطق من آسيا. ومع ذلك فقد استطاعت اليابان فى مدة قصيرة أن تحكم أمبراطورية تضم نحو ربع عدد سكان العالم. ونجح اليابانيون لبعض الوقت فى السيطرة على تلك الأنحــاء لانشــغال الحلفاء فى ميادين أخرى أثناء الحرب العالمية الثانية.

ولكن إعتبارا من أغسطس ١٩٤٢ استطاعت القوات البحرية الأمريكية النزول فى مناطق بريطانيا الجديدة وغينيا الجديدة، وبذلك زال الخطر عن أستراليا، وبعد نوفمبر ١٩٤٢ خسر اليابانيون ٢٨ سفينة حربية وعددا كبيرا من ناقلات الجنود والطائرات فى دفاعهم عن وجودهم فى تلك المناطق.

وكانت الخطة التى وضعها الحلفاء لطرد اليابانيين من مستعمراتهم المبعثرة فى المحيط تقضى بقطع الخطوط التى تربط اليابان بهذه المستعمرات.(٦٠)

ومع أواخر عام ١٩٤٢، أصبح غرب المحيط الهادى من أستراليا إلى ألاسكا عبارة عن سلسلة من المناطق المتداخلة موزعة بين القوات الأمريكية واليابانية، حيث أحاطت غواصات الطرفين بخطوط المواصلات، وتبادلت الطائرات الإغارة على الخطوط البحرية للخصمين. أما القطع البحرية الكبرى فظلت بالقرب من قواعدها تحميها مظلة من الطائرات. وقد نجح الأميركيون بفضل تفوقهم الجوى فى الاستيلاء على بعض الجزر، وحولتها إلى قواعد جوية، ثم كررت هذه الخطة بالتقدم حثيثا نحو جزر أخرى. ولكن ظل اليابانيون مسيطرين على معظم الجزر ذات الأهمية الإستراتيجية، مما جعل مهمة أعدائهم فى القفز من جزيرة إلى أخرى بطيئة ومكلفة. ولكن نمو القوة الأمريكية المطرد جعل تلك العملية تزداد سرعة وجسارة، وانعزل آلاف اليابانيين فى الجزر المبعثرة فى المحيط، بينما كانت القوات الأمريكية تقتحم القواعد اليابانية، وتقترب من السواحل اليابانية.

وفى الوقت الذى اندحرت فيه قوى المحور فى الميادين الأوربية فى أواخر سنة ١٩٤٣، تحول الموقف أيضا فى المحيط الهادى، ففى نوفمبر ١٩٤٣ استولت القوات الأمريكية على جزر جلبرت، وفى يناير ١٩٤٤ هاجمت جزر مارشال، وفى ٦ فبراير ١٩٤٤ دخلت جزر كواجالين وغيرها. وكانت الخسائر فادحة لدى الفريقين المتحاربين فى تلك العمليات.

وفى شهر اكتوبر ١٩٤٤ استعد الأمريكيون للاستيلاء على الفلبين، وتمكن الجنرال دوجلاس آرثر من النزول فى جزيرة ليتى (٢٠ أكتوبر ١٩٤٤) واندحر أسطول يابانى حاول التدخل لمنع نزول اليابانيين إلى الجزيرة.

وهكذ بدأ سلاح الجو الأمريكى يشن غاراته المتوالية من قواعده الجديدة على اليابان نفسها. ومع ذلك كان اليابانيون مصممين على الاستماته فى القتال، معتمدين على أن انتصار الحلفاء عليهم بعيد الاحتمال، لأن بلادهم كالجزر البريطانية التى استعصت على ألمانيا فى بداية الحرب العالمية الثانية.

إلا أن اليابانيين عانوا كثيرا من الحصار الذى ضرب عليهم، وأعاق خطوط الملاحة التى تصلهم بالعالم الخارجى، وحرمهم من الواردات الكثيرة التى لاغنى عنها للمجهود الحربى، ومن نقل المعدات الحربية اللازمة لقواتهم فى الصين والمحيط الهادى، فوقعوا فى أزمة اقتصادية وحربية بسبب تلك الأزمة البحرية الناتجة عن إغارات القوت الجوية الأمريكية والغواصات التى كلفت اليابانيين خسائر فادحة فى سفنهم التجارية والحربية. وما وافى عام ١٩٤٥ حتى تحطمت قوة اليابان البحرية التى كانت ثالث قوة بحرية فى العالم بعد بريطانيا والولايات المتحدة، حتى أن السفن البحرية الأمريكية استطاعت قبيل انتهاء الحرب الاقتراب يوميا من السواحل اليابانية وقصف المصانع والمنشآت البحرية، ثم العودة دون أن تواجه مقاومة تذكر. وتجلى عجز اليابانيين عن المقاومة فى كل مكان بسبب فقدهم السيطرة على خطوط المواصلات البحرية التى تربطهم بالوطن.

اليابان والقنبلة الذرية

كان اليابانيون يفتخرون دائما بأن بلادهم لم تشهد غزوا خارجيا منذ فجر التاريخ، وأن غزو الجزر اليابانية أمر يعجز عنه الغزاة، ولذلك كان على الحلفاء أن يستعدوا استعدادا خارقا لتنجح عملية الغزو، وعلى هذا الأساس خططت قيادة الحلفاء لتعبئة ثلاث آلاف سفينة، ومليون مقاتل وآلاف من

قاذفات القنابل لعملية الغزو... ولكن لم يكتب لهذا المشروع أن يخرج إلى حيز التنفيذ، فمنذ أن استسلمت المانيا، كان اليابانيون قد أنهكت قواهم، كما كان ينقصهم البترول، وتحطمت مصانعهم واحترقت، بينما كانت قدرة الحلفاء على الانتاج الحربي تزيد وتتضاعف.

وكان الرئيس الأمريكي ترومان يشعر بأن الحرب مع اليابانيين قد تطول، وتكلف غاليا، لذلك أمر باستخدام القنبلة الذرية، التي كان العلماء قد توصلوا إلى صنعها. وفي ٦ أغسطس ١٩٤٥ ألقت القاذفات الأمريكية أول قنبلة ذرية على هيروشيما، وأدى ذلك إلى أفدح كارثة في تاريخ الحروب، فقد دمرت ثلاثة أرباع المدينة، وتسبب عنها مصرع ٧٨١٥٠ من سكانها، وتشويه عشرات الألوف الآخرين.

وفي ٩ أغسطس ١٩٤٥ ألقيت القنبلة الذرية الثانية على مدينة نجازاكي، وسقط عشرات الألوف من القتلى والمشوهين، وعلى أثر ذلك اتضح للحكومة اليابانية أن المقاومة أصبحت عديمة الجدو، وأن كل تأخير في الاستسلام ستكون نتيجته ملايين الضحايا، وهكذا قرر مجلس الوزراء الياباني في ١٠ أغسطس ١٩٤٥ الاستسلام بدون قيد أو شرط. ووقعت الحكومة اليابانية شروط الحلفاء في طوكيو في ١٤ أغسطس ١٩٤٥، وكان توقيعها على ظهر السفينة الأميريكية ميسوري الراسية في خليج طوكيو في ٢ سبتمبر، وذلك بعد أن نزلت القوات الأمريكية لاحتلال البلاد.

ولم تجد القوات اليابانية في الصين بدا من التسليم للجنرال تشانج كي تشيك، وتحررت كوريا كذلك من الاحتلال الياباني، واستسلمت القوات اليابانية في سنغافوره وبورما وجزر الهند الشرقية الهولندية للقائد الأعلى للقوات المتحالفة في جنوب شرق آسيا.

وسارع الحلفاء إلى تسريح الجيش اليابانى، وحل قيادته العامة، ووقف صناعة الأسلحة، مع الابقاء على الامبراطور هيروهيتو على عرشه، وإن كان قد تنازل طواعية عن مظاهر التقديس التى كان يحيطه بها رعاياه. (٦١)

اليابان بعد الحرب العالمية الثانية

منذ بداية عام ١٩٤٢، بدأ الأميريكيون فى إعداد إدارة عسكرية لليابان، وتنطلق الخطة الأصلية للاحتلال من فرض تهميش مباشر للعقلية اليابانية العسكرية، وقبل توقيع اليابان لوثيقة الإستسلام فى ٢ سبتمبر ١٩٤٥ دون قيد أو شرط، وكانت الولايات المتحدة قد اقترحت فى ٢٢ أغسطس ١٩٤٥ لجنة استشارية لشرق آسيا تتكون من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى والصين وبريطانيا وفرنسا واستراليا وكندا ونيوزيلندا والفلبين وهولندا. وفى مؤتمر لندن الذى عقد وزراء خارجية الدول الكبرى فى سبتمبر ١٩٤٥ تمت الموافقة على تأسيس هذه اللجنة، على أن تعقد اجتماعاتها فى كل من واشنطن وطوكيو، وتشترك فيها الهند.

وبالرغم من أن الاحتلال الأمريكى لليابان - من الناحية النظرية — مسئولية جماعية لقوى متحالفة، إلا أنه فعليا كان عملية أميريكية واسعة النطاق. و لم تسمح الولايات المتحدة لأى قوة أخرى أن تكون لها نفوذ فى اليابان، وبالتالى كان الاحتلال احتلالا أمريكيا كاملا. وتم تحديد أهداف الولايات المتحدة من احتلالها لليابان فى:

أولاً: ضمان عدم عودة اليابان لتهديد الولايات المتحدة والسلام العالمى مرة ثانية.

ثانياً: بناء حكومة ديموقراطية مسالمة ومسئولة عن كبح جماح طموحات اليابان التوسعية.

ومن أجل تحقيق الهدف الأول تم اتخاذ الخطوات التالية:

١ — تحطيم الامكانيات العسكرية اليابانية.

٢ — إلغاء التوسع الياباني.

٣ — إلغاء وظائف وزارتي البحرية والجيش.

٤ — نزع أسلحة القوات المسلحة اليابانية.

٥ — إقامة محاكم عسكرية لمحاكمة مجرمي الحرب.

٦ — تحديد السيادة اليابانية لتشمل الجزر اليابانية الأربع فقط.

أما بالنسبة للهدف الثاني فقد تم اتخاذ الخطوات التالية:

١ — تشجيع النمو الديموقراطي وإزالة العقبات التي تعترضه.

٢ — تحديد سلطات الأجهزة الحكومية.

وأدى انفراد الولايات المتحدة بالسيطرة على اليابان، إلى مهاجمة الإتحاد السوفيتي لهذه السياسة، ولم تنجح المؤتمرات التالية في تحقيق التفاهم السوفيتي الأمريكي بالنسبة للانفراد الأمريكي باحتلال اليابان.

ومن أهم مظاهر السياسة الجديدة موافقة اليابانيين على وضع دستور جديد، وسن القوانين التي تسانده وتعززه. وقد أقر تنفيذ الدستور الجديد في ٣ مايو ١٩٤٧، وركز هذا الدستور على أن الإمبراطور هو رمز لوحدة الأمة اليابانية، ولكن بدون سلطات، وهو الوضع الذي كان عليه الإمبراطور عمليا منذ فترة طويلة. كما حدد الدستور سلطة البرلمان بوصفه أعلى سلطة في البلاد، وأصبحت الحكومة اليابانية مسئولة أمامه، وأصبح انتخاب رئيس الوزراء مهمة مجلس النواب، كما تم تشكيل مجلس منتخب للمستشارين حل محل مجلس الشيوخ السابق. كما أقر الدستور حقوق الإنسان والحريات السياسية، وحصلت المرأة على المساواة الكاملة مع الرجل، وأصبح النظام القضائي مستقلا عن تدخل السلطات التنفيذية، كما تأسست محكمة عليا تختص بمراجعة دستورية للقوانين، ومنحت للحكومات المحلية مزيد من السلطات.

كما شجعت سلطات الاحتلال إنشاء الشركات الكبرى الاقتصادية وكذلك تحسين الأحوال فى الريف، وتنظيم أتحاد للعمال. وقد استمر الاحتلال الأمريكى لليابان حتى ١٩٥٢/٤/٢٨ حين تم توقيع اتفاقية السلام التى أعادت السيادة الوطنية للشعب اليابانى على أرضه. (٦٢)

اتفاقية الصلح ونهاية الاحتلال الأمريكي

فى الفترة من ١٩٤٥ — ١٩٤٧ مرت اليابان بمرحلة تحول ديمقراطى، وذلك عن طريق إطلاق حرية المعتقدات والصحافة، وفى هذه الفترة عملت سلطات الاحتلال الأمريكي على إقصاء العناصر المحافظة السابقة عن المراكز المهمة فى الحكومة، وترتب على ذلك ظهور أحزاب يسارية، وأستطاع الحزب الشيوعى اليابانى أن يعمل بصورة شرعية لأول مرة، وفى سنة ١٩٥١ سمحت سلطات الاحتلال لبعض القوى اليمينية المحافظة السابقة بالعودة لممارسة قوتها السياسية لمواجهة الشيوعيين فى اليابان، ويمكن تحديد الأسباب التى أدت إلى تغير سياسة واشنطن وبالتالى تغيير سياستها فى اليابان على النحو الآتى:

١ — استفحال الخطر الشيوعى بعد عام ١٩٤٩، أى بعد نجاح الثورة الشيوعية فى الصين، والذى اقترن بالخطر السوفيتى فى الشرق الأقصى.

٢ — دور الشركات الأمريكية الخاصة التى توقعت تحقيق مكاسب خاصة فى اليابان بعد تقلص دور الحزب الشيوعى اليابانى.

٣ — دور وسائل الإعلام فى تمهيد الطريق للتوصل إلى اتفاقية مع اليابان.

وهكذا رأت الولايات المتحدة أن تطور علاقاتها مع اليابان، وتوثق الصلات، وبالتالى إنهاء الاحتلال، ووضع اتفاقية الصلح. ولتحقيق ذلك سعت الولايات المتحدة لمساعدة اليابان للنهوض من كبوتها. وجاءت الخطوة الأولى من جانب اليابان التى أعلنت فى يونيو ١٩٥٠ عن رغبتها فى توقيع اتفاقية صلح مع الولايات المتحدة، واقترحت أن تؤمن الولايات المتحدة اليابان من أى ثورة

شيوعية داخلية محتملة، ومن أى اعتداء سوفيتى محتمل. وبعد أن تطورت الحرب الكورية فى غير صالح الولايات المتحدة، اضطرت الأخيرة إلى سحب بعض قواتها من اليابان، وإرسالها إلى كوريا. وتم عقد مؤتمر سان فرنسيسكو فى الفترة من ٤-٧ سبتمبر ١٩٥١، وترتب عليه توقيع اتفاقية الصلح مع اليابان من قبل ٤٩ دولة.

وفى ٨ سبتمبر ١٩٥١ تم توقيع اتفاقية الصلح مع اليابان، وفى اليوم التالى وقعت الولايات المتحدة مع اليابان على معاهدة أمن، تعهدت اليابان بموجبها بالسماح للقوات الأمريكية بالبقاء فى البلاد حتى تتمكن اليابان من الدفاع عن نفسها بقواتها الخاصة ، وبالتالى أصبحت اليابان محمية أمريكية، بعد أن حدث الانقلاب الكبير فى سياسة الولايات المتحدة فى آسيا بعد نجاح الثورة الشيوعية فى الصين.

وفى ٢٨ أبريل ١٩٥٢ وضعت اتفاقية الصلح موضع التنفيذ، وانتهى الاحتلال الأمريكى لليابان رسميا، وتم الأعتراف باليابان كدولة مستقلة ذات سيادة. وبموجب هذه الاتفاقية تنازلت اليابان نهائيا عن كل الأراضى التى كانت قد احتلتها من الصين. كما نصت الاتفاقية على استقلال كوريا، كما سيطرت الولايات المتحدة على بعض الجزر التى كانت تابعة لليابان فى المحيط الهادى، وبذلك أعيدت حدود اليابان إلى ما كانت عليه سنة ١٨٥٤.

وبعد أن كانت الولايات المتحدة تنزع إلى محاباة الصين على حساب اليابان، صارت سياستها الجديدة تنزع إلى دعم علاقاتها باليابان على حساب الصين.

ومع بداية عام ١٩٥٤، بدأت اليابان عملية تسوية التعويضات التى التزمت بدفعها. وفى عام ١٩٥٦ بدأت المفاوضات بين اليابان والاتحاد السوفيتى، بعد أن سحبت موسكو اعتراضها على انضمام اليابان لعضوية الأمم المتحدة،

وبالتالى انتهت حالة العداء بين الدولتين، ولكن دون عقد معاهدة سلام كاملة وفى عام ١٩٦٥ عادت العلاقات بين اليابان وكوريا الجنوبية إلى وضعها الطبيعى، بعد أن دفعت اليابان لها تعويضات المالية كبيرة وظلت علاقات اليابان مع الصين متوترة حتى عام ١٩٧٢ عندما عادت العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين الطرفين، وبعد حدوث التقارب الصينى الأمريكى إثر زيارة الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون لجمهورية الصين الشعبية فى عام ١٩٧٢، وترتب على ذلك بداية التعاون الصينى اليابانى على الصعيد الاقتصادى .

وتعد أزمة عام ١٩٦٠ حول تجديد معاهدة الأمن مع الولايات المتحدة من أكبر الأزمات التى شهدتها اليابان فى فترة ما بعد الحرب، وقد نشأت هذه الأزمة من الثقة المتزايدة لليابان بنفسها، والتطور العلمى والتكنولوجى الذى حققته بين دول العالم، فالمفاوضات التى استؤنفت فى ذلك العام حول المعاهدة الأمنية أثارت جدلا عنيفا على مستوى البلاد، وأدت إلى حدوث اضطرابات على نطاق واسع. كما أدى تورط الولايات المتحدة فى حرب فيتنام إلى مشكلات فى العلاقات الأمريكية اليابانية، على أساس أن التدخل الأمريكى فى فيتنام قد يجر اليابان إلى هذه الحرب، ولكن الولايات المتحدة قامت بإعادة بعض جزر المحيط الهادى إلى اليابان فى الفترة بين عام ١٩٦٩ و ١٩٧٢، مما أدى إلى هدوء الأحوال بين الطرفين، واستمرار المعاهدة الأمنية بين الطرفين، أى استمرار الوجود العسكرى الأمريكى فى اليابان. (٦٣)

ورغم كل شيء فقد أثبت الشعب اليابانى وجوده، وذلك بالتفوق الصناعى والعلمى والتكنولوجى، وأصبحت الصناعات اليابانية رمزا للجودة على المستوى العالمى ، بل تحولت اليابان إلى غول اقتصادى مؤثر على كل السياسات الاقتصادية العالمية.

الفصل الخامس

في

تطور تاريخ كوريا الحديث والمعاصر

تطور تاريخ كوريا الحديث:

تقع شبه جزيرة كوريا فى شرق آسيا، ويبلغ متوسط طولها من الشمال إلى الجنوب نحو ٩٦٠ كم، واتساعها بين الشرق والغرب نحو ٢٨٠كـم. وتبلـغ مساحتها الاجمالية حوالى ٢١٩,٠٠٠ كم٢. وقد ظلت شبه جزيـرة كوريـا والجزر التى حولها جسرا ومعبرا طبيعيا مهما يصل بين جزر اليابان وأراضى القارة الآسيوية. وتدين الحضارة اليابانية بالكثير إلى كوريا، التى من خلالها اسـتطاعت المؤثرات الحضارية الصينية أن تصل إلى اليابان، وإثراء ما بها من حضارة أصيلة. وأدركت كل من اليابان والصين منذ القدم أهمية الموقع الجغرافى والاسـتراتيجى لشبه جزيرة كوريا، وقيمته الكبرى لكل منهما، وبذلت الدولتان جهودا كـبيرة فى سبيل السيطرة على كوريا.

والمدونات عن التاريخ الكورى تشير إلى أنه منذ نحو خمسة آلاف سـنة جاءت هجرات بشرية من شمال الصين ومنشوريا إلى كوريـا. وكانـت أولى الممالك التى نشأت فى كوريا هى مملكة وايمان التى حكمت البلاد ابتداء من عام ١٩٤ ق.م، ثم تلتها أسرة ألهان، إلى أن أصبحت كوريا تابعة للصين حتى القرن الرابع م. وفى حوالى منتصف القرن ٧م استطاعت أسرة كيم توحيد الـبلاد فى دولة مستقلة. وفى هذه الفترة أيضا دخلت البوذية كوريا، واعتنقها عدد كبير من السكان، وتمكن كهنتها من السيطرة على مقدرات البلاد.

وفى أوائل القرن العاشر م انتقلت مقاليد الحكم إلى أسرة كوريو (٩١٨-١٣٩٢) . وقد كثرت فى فترة حكم هذه الأسرة الاضـطرابات الداخليـة، ثم عادت كوريا إلى الاستقرار بعد تولى أسرة يى. واستطاع الكوريون أن يؤسسوا حضارة راقية، وابتدعوا أبجدية بسيطة للغتهم.

ولكن بسبب تعرض كوريا لغزوات جيرانها المتكررة أخذت بسياسة العزلة ابتداء من القرن السادس عشر. واستطاع الكوريون صد الغزو اليابانى بين عامى

١٥٩٢ و ١٥٩٨، وكان هذا الغزو خطوة أولى لغزو الصين. وتمكنت القوات الصينية أن توقف تقدم القوات اليابانية عند شمال كوريا، وبعد أن أخفقت فى محاولة تقدمها نحو الصين، اضطرت القوات اليابانية إلى الانسحاب من كوريا فى سنة ١٥٩٨.

كما تعرضت كوريا للغزو الصينى فى عامى ١٦٢٧ ، ١٦٣٧. إلا أنها استطاعت أن تحافظ على عزلتها، ونجحت فى إبعاد الطامعين عنها حتى أواخر القرن التاسع عشر، حين أرغمت على فتح أبوابها للتجارة الدولية. فتم عقد معاهدات تجارية بين كوريا وكل من الولايات المتحدة وفرنسا. وفى عام ١٨٦٧ وقعت معاهدة أخرى مع اليابان، فتحت بموجبها كل الموانىء الكورية للتجارة مع اليابان، مقابل اعتراف الأخيرة باستقلال كوريا.

الصراع اليابانى الصينى حول كوريا:

تطلعت أسرة المنج فى الصين (١٣٦٨-١٦٤٤) إلى السيطرة على كوريا، وقدم الصينيون معاونات فعالة لكوريا لمواجهة الغزوات اليابانية فى أواخر القرن السادسة عشر. وكان الكوريون يكنون كل الاحترام والعرفان بالجميل للصين. ومنذ عام ١٦٣٧ لجأ الكوريون إلى العزلة.

ولكن منذ عام ١٨٦٧ بدأت المنافسة بين الصين واليابان على كوريا، إلى أن قدم الكوريون أنفسهم السبب المباشر للتدخل فى شئونهم ولاندلاع الحرب بين الصين واليابان. ففى عام ١٨٩٤ قامت فتنة داخلية فى كوريا، لم يستطع حاكمها القضاء عيها، فاستعان بالحكومة الصينية، التى أرسلت قواتها التى أعادت الأمن والنظام فى البلاد.

وأدى تدخل الصين فى الشئون الكورية إلى نشوب الحرب بين الصين واليابان (١٨٩٤، ١٨٩٥) ، وقد انتهت هذه الحرب بهزيمة الصين فى سنة ١٨٩٥ وتوقيع معاهدة شمونسكى فى ١٧ أبريل ١٨٩٥، ونصت المعاهدة على

الاعتراف باستقلال كوريا، ودفع تعويضات لليابان، وتنازلت الصين لليابان عن تايوان وشبه جزيرة لياوتونج، وحق الرعايا اليابانيين فى إقامة المصانع ، والانخراط فى الأنشطة الاقتصادية فى الصين [٦٤].

الاحتلال الياباني لكوريا:

منذ الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٥) فان الأوساط الحكومية الأمريكية وافقت على الاستعمار اليابانى لكوريا، وبعد ذلك وافقت على مشروعية الاحتلال اليابانى لكوريا طبقا للاتفاقية الموقعة سنة ١٩٠٥، فيما سمى باتفاقية Kastura - Taft ، وتأكد ذلك فى اتفاقية ١٩٠٨ بين السفير اليابانى فى الولايات المتحدة ووزير الخارجية الأمريكية فيما سمى باتفاقية Takashira – Root .

أما البريطانيين فقد اعترفوا بالسيطرة اليابانية التجارية والصناعية على كوريا، منذ عقد الوفاق الأنجلو يابانى فى يناير ١٩٠٢ ، وتأكد ذلك فى موافقتهم على الحماية اليابانية على كوريا فى أغسطس سنة ١٩٠٥.

وبتدعيم الاحتلال اليابانى لكوريا سنة ١٩١٠ ، وبالمعاونة الكاملة من الأمريكيين والانجليز، بدأ اليابانيون سياستهم الاستعمارية ثقيلة الوطأة، فقد حول اليابانيون كوريا إلى مصدر للمواد الخام، وإلى قوة للعمل، وكذلك إلى سوق لمنتجاتهم ، وقاعدة للعدوان فى القارة الأسيوية . [٦٥]

وأقام اليابانيون حكومة عامة مركزية لكوريا، وخصصوا القوات اليابانية اللازمة لتنفيذ أحكامها. وكان أول حاكم يابانى لكوريا هو Teruchi الذى أعلن أن على الكوريين تنفيذ القانون اليابانى أو التعرض للحكم بالاعدام، الأمر الذى أدى إلى الانتفاضة الكورية ضد الاحتلال اليابانى سنة ١٩١٩، وبالتالى ازداد الحكم اليابانى قسوة وقمعا، وتحولت كوريا إلى أراض تملؤها ثكنات القوات اليابانية والشرطة والسجون.

وكانت الأحكام القاسية تصدر على الأفراد لاتجاهاتهم الوطنية، وقد رصد اليابانيون أنفسهم هذه الأحكام، فطبقا للوثائق اليابانية، فانه بين عامى ١٩١١، ١٩١٨، فإن حالات الأحكام بالسجن بتهمة مناهضة الاحتلال وصلت إلى ٤٦١٤٤٢ شخصا، كما وصل عدد المعتقلين السياسيين بدون محاكمة ٧٩٣٤٣ سنة ١٩١٩، ووصل عددهم سنة ١٩٢٩ إلى ١٣٨٠٠٠ شخص [٦٦].

كما أقام اليابانيون نظاما تعليميا فى كوريا يقضى باهمال العملية التعليمية، وبلغت نسبة الأمية أكثر من ٨٠٪ حتى مع بداية الثلاثينات.

كما سيطر اليابانيون على الحياة الثقافية، ونهبوا التراث الآثارى للشعب الكورى، فنهبوا محتويات المقابر الملكية القديمة فى بيونج يانج وكيسونج وكيونجيو، كما استولوا على الأعمال الفنية الثمينة، وحملوا الوثائق ومئات الألوف من الملفات إلى طوكيو... لقد حاول اليابانيون طمس معالم التاريخ الكورى، من أجل تحقيق مصالح حكمهم الاستعمارى.

كما سيطر اليابانيون على الاقتصاد الكورى، وأدت السياسة الاستعمارية القاسية إلى وقف التقدم الصناعى فى كوريا، وبالتالى فإنه مع منتصف العشرينات، فإن الرأسمال اليابانى فى كوريا شكل أكثر من ٩٠٪ من الرأسمال الصناعى فى كوريا. وأكثر من ذلك فإنه خطط للصناعة الكورية كى تكون أساسا لتقديم المواد الخام، والمواد نصف المصنوعة للمصانع اليابانية، أى أن الصناعة الكورية لم تكن أكثر من ذيل للصناعات اليابانية.

وأجبر العمال الكوريون على العمل أكثر من إثنى عشر ساعة يوميا، وكانوا يتقاضون أجورا ضئيلة لقاء عملهم، أو أقل من ثلث ما كان يتقاضاه العامل اليابانى. هذا بالإضافة إلى أنه لم تكن هناك هيئة لرعاية العمال، ولا تعويضات عند العجز أو الشيخوخة.

أما بالنسبة للأراضى الزراعية، فإن اليابانيين استولوا على مساحات شاسعة منها، فبين عامى ١٩١٠، ١٩١٩، وبعد تأسيس الشركة اليابانية للتنمية الزراعية، فإن الهدف الأساسى كان الاستيلاء على الأراضى الزراعية، مما أدى إلى ملكية اليابان لأكثر من ٢٠% من الأراضى الزراعية الكورية. كما عمد اليابانيون إلى استغلال الانتاج الزراعى، فهم كانوا ينقلون منذ عام ١٩٢٧ نحو ٦,٦٠٠,٠٠٠ سوك Sok من الأرز سنويا وحتى عام ١٩٣١ بما يساوى ٤٢% من إنتاج الأرز فى كوريا.(٦٧)

الحركة الوطنية فى كوريا حتى قيام الحرب العالمية الثانية:

تعود الحركة الوطنية الكورية إلى بداية الاستعمار اليابانى لكوريا، ولكن الفورة الوطنية كانت واضحة ومؤكدة فى ثورة أول مارس ١٩١٩. وقد ظلت الانتفاضة مستمرة نحو عشرة أشهر، واشترك فيها نحو ٢ مليون كورى، ووصل الحال بالحركة الوطنية الكورية إلى إعلان الاستقلال فى أول مارس ١٩١٩ فى سول، ولكن سرعان ماهبط المد الوطنى، وقامت الشرطة اليابانية باعتقال زعماء الثورة.

وفى عام ١٩٢٤ تشكل اتحاد العمال والفلاحين، والذى انقسم بعد ذلك إلى اتحادين أحدهما للعمال والثانى للفلاحين، ثم تشكل بعد ذلك اتحاد الشباب الكورى، وكل هذه الاتحادات كانت مناوئة للاحتلال اليابانى للبلاد.

وبين عامى ١٩٢٠، ١٩٢٥ وقع ٣٣٠ إضرابا للعمال فى كوريا باشتراك ٢٧٠٠٠ عامل، كما قام الفلاحون بنحو ٥٧٠ إضرابا باشتراك ٣٠٠٠٠ فلاح، كما وقعت مظاهرات طلابية عديدة.

وفى أبريل ١٩٢٥ تشكل الحزب الشيوعى الكورى، ولكن اقتضى الأمر الانتظار بضع سنوات حتى يتمكن من تدعيم موقفه. وقد واجهت الحركة الشيوعية الكورية العنف اليابانى الشديد، كما كان هناك العديد من نضال

الضعف فى الكوادر الشيوعية، وعدم استطاعتها الانتشار بين الجماهير، وذلك لصعوبة فهم النظرية الماركسية، وعدم مسايرة الحزب الشيوعى الكورى لظروف الدولة الكورية [٦٨].

وتعتبر المرحلة بين أواخر العشرينات وبداية الثلاثينات مرحلة الاعداد للثورة الكورية المسلحة، وفى ٦ يوليو ١٩٣٠ تشكلت أول وحدة عسكرية فى جيش التحرير الكورى، وأمكن الحصول على السلاح بعدة وسائل منها الاستيلاء عليه من العدو اليابانى، والشراء من قنوات مختلفة.

واستلزم الأمر البحث عن قاعدة عسكرية رئيسية لجيش الثورة، وكان ذلك مستحيلا داخل كوريا بسبب قسوة الاحتلال اليابانى، وهكذا أنشئت القاعدة العسكرية لجيش الثورة فى منطقة الغابات على طول نهر تومان Tuman فى شرق منشوريا، وهى منطقة جبلية وعرة، كما أن ٨٠٪ من السكان (حوالى ٤٠٠,٠٠٠) كانوا من الكوريين المهاجرين من الغزو اليابانى، وتحلى جيش الثورة الوليد بروح عالية، واستخدم التضاريس بمهارة.

واعتبارا من عام ١٩٣١ بدأت العمليات الحزبية للثوار، ولكن القاعدة الثورية الكورية تعرضت لهجوم يابانى ثقيل الوطأة فى سبتمبر ١٩٣١، ووقعت هناك مذبحة قاسية بين صفوف الفرق الثورية الكورية فى شرق منشوريا، وتم إحراق القرى، مع قتل الرجال والنساء والأطفال، فى محاولة للقضاء على جيش الثوار.

وفى مارس ١٩٣٢ تم تشكيل قوة من الثوار الكوريين على شكل جماعات حرب العصابات، وذلك لتجنب المواجهة العسكرية المباشرة مع قوات متفوقة عددا وعدة. وأمكن الانتهاء من تشكيل هذه القوة فى ٢٥ ابريل ١٩٣٢. واتخذت القوات الثورية قواعدها على طول نهر تومان، وبدأت المواجهات الدموية اليومية بين الطرفين.

وفى عامى ١٩٣٤، ١٩٣٥ ازدادت العمليات الناجحة لحرب العصابات، وأمكن للقوات الثورية الكورية توجيه ضربات موجة للقوت اليابانية. وفى عـــام ١٩٣٧ بدأت العمليات المركزة لقوات التحرير الكورية ضد القوات اليابانية فى داخل كوريا.

وكان الزعيم الكورى الشيوعى كيم إيل سونج من أبرز القيادات الـــتى أخذت على عاتقها اعداد قوات التحرير، واستغل كيم فترة الحـــرب الصـــينية اليابانية فى يوليو ١٩٣٧، ومحاولة اليابان احتلال الصين فى تصعيد هجمات الثوار على القوات اليابانية فى كوريا، بحيث اجتاحت عمليات الثوار كـــل مكـــان فى كوريا، حتى جاء شهر مارس عام ١٩٣٨ عندما ألقت القوات اليابانية القـــبض على العديد من رموز الثورة الكورية. (٦٩)

تقسيم كوريا:

عاشت كوريا ظروفا صعبة إبان الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) وتعرضت لحركات قمع عنيفة من حكومة الاحتلال اليابانى، وقيدت الحريـــات، وتم اعتقال عشرات الألوف من المواطنين.

ومنذ عام ١٩٤٣ — أى أثناء الحرب العالمية الثانية — بدأ الحلفاء يفكرون فى المصير الذى ستؤول إليه كوريا بعد تحريرها من الاستعمار اليابانى. وكان أول مؤتمر دولى درس مصير كوريا هو مؤتمر يالتا Yalta (فى شبه جزيرة القرم) فى ٤ نوفمبر ١٩٤٥، حيث اتفق المؤتمرون (روزفلت وستالين وتشرشل) على تقسيمها إلى منطقتى احتلال: تحتل القوات الأمريكية القسم الجنوبى، وتحتـــل القـــوات السوفيتية القسم الشمالى. ثم عين مؤتمر بوتسدام (قرب برلين) فى الفترة من ١٦ يوليو إلى ٢ أغسطس ١٩٤٥ الحد الفاصل بين المنطقتين الجنوبية والشمالية بخط العرض ٣٨°. ولم يقصد المؤتمرون بهذا الخط المصطنع تقسيم كوريا، وإنما الفصل بين القوات السوفيتية التى دخلت شـــمال كوريـــا فى ١٢ أغســـطس ١٩٤٥،

والأمريكية التي احتلت القسم الجنوبي في سبتمبر من نفس السنة. وهــذا الحــل الذى قرره مؤتمر يالتا، وشرح تفاصيله مؤتمر بوتسدام لم يكــن يمثــل في نظــر المؤتمرين الحل النهائي والدائم للمسألة الكورية، وإنما كان حــلا مؤقتــا يجــب تعديله، خاصة أن الولايات المتحدة كانت تريد منذ عام ١٩٤٣ أن توضع كوريا كلها تحت نظام الوصاية الدولية. وفي الاجتماع الذى عقــده وزراء خارجيــة الدول الأربع الكبرى في موسكو في أواخر عام ١٩٤٥ ناقش المؤتمرون موضوع الوصاية، وأقروه من حيث المبدأ.

ولكن رد الفعل لدى القوى الثورية في كوريا، بمــا في ذلــك الحــزب الشيوعى الكورى المعارض لنظام الوصاية كان قويا وعنيفا، فقررت رفضــه. إلا أن الحزب الشيوعى الكورى سرعان ما غير موقفه المعارض لنظام الوصــاية إلى موقف المؤيد. وبدأت الخلافات في وجهات النظر الأمريكية والسوفيتية حــول التفاوض مع كوريا، ومن هى الجبهة التي تمثل الشعب الكورى، وبالتــالى بــدأ الخلاف على مستقبل كوريا برمته.

ثم عرضت القضية الكورية على الجمعية العامة للأمم المتحــدة ، ولكــن عندما فشل الأمريكيون والسوفيت في التوصل إلى صيغة مقبولة لإقامة حكومــة موحدة، تم في عام ١٩٤٨ إعلان قيام دولتين كوريتين إحــداهما شــيوعية في الشمال وعاصمتها بيونج يانج والأخرى رأسمالية تدعمها الولايات المتحــدة في الجنوب وعاصمتها سيول. واعترف الاتحاد السوفيتى ودول المعسكر الاشتراكى- في ذلك الوقت — بحكومة كوريا الشعبية في الشمال، واعترفت الولايات المتحدة وبعض حلفائها بحكومة كوريا الجنوبية . ومن ناحية أخرى قرر الاتحاد السوفيتى سحب قواته من كوريا الشمالية، مما دفع الولايات المتحدة إلى اتخــاذ موقــف مماثل. إلا أن جلاء القوات السوفيتية والأمريكية عن كوريا لم يحل المشــكلة، إذ قامت على طرفي خط العرض ٣٨ ° حكومتان الأولى تعتمــد علــى الــدعم

السوفيتي في الشمال، والأخرى في الجنوب تدعمها وتؤيدها الولايات المتحدة. وهكذا بعد أن تحررت كوريا من الحكم الياباني سنة ١٩٤٥، وبعد ٣٥ عاما من الاحتلال، انقسمت إلى دولتين.

الحرب الكورية ١٩٥٠ - ١٩٥٣:

تعتبر الحرب الكورية أول نزاع عالمي مباشر أدت إليه الحرب الباردة، فبعد انسحاب القوات الأجنبية من الشمال والجنوب، وقعت اشتباكات بين قوات كل من كوريا الجنوبية وكوريا الشمالية في عام ١٩٤٩، حتى أن خط العرض ٣٨° أصبح مسرحا لمعارك عسكرية دائمة بين الطرفين، ولم يتمكن أحد من تحديد المسئول عنها. وجاءت الامدادات السوفيتية إلى كوريا الشمالية (الشيوعية) وانهالت الامدادات العسكرية الأمريكية على كوريا الجنوبية (الرأسمالية).

وإزاء هذا الموقف، أقدمت الولايات المتحدة على دعوة مجلس الأمن للانعقاد والنظر في المسألة الكورية.

وفي ٢٥ يونيو ١٩٥٠، انعقد مجلس الأمن في غياب مندوب الاتحاد السوفيتي، الذي أعلن أن بلاده لن تشارك في جلسات المجلس، طالما أن الصين الشعبية لم تمثل المركز الدائم الذي تحتله الصين الوطنية في مجلس الأمن، وأن بلاده لن تعترف بشرعية أي قرار يتخذ بمشاركة ممثل الصين الوطنية. وأدى غياب الاتحاد السوفيتي عن جلسة مجلس الأمن إلى نجاح الولايات المتحدة في الحصول على ماتريد من المجلس دون الاصطدام بحق النقض (الفيتو) السوفيتي. وهكذا صدر قرار مجلس الأمن بإدانة هجوم كوريا الشمالية على كوريا الجنوبية، وسحب القوات الشمالية إلى شمال خط عرض ٣٨°.

وفي ٢٧ يونيو ١٩٥٠ أمر الرئيس الأمريكي هاري ترومان القوات الأمريكية بمعاونة قوت كوريا الجنوبية، بل ومهاجمة كوريا الشمالية ذاتها. وقد

اتخذ مجلس الأمن قرارا آخر يطلب فيه إلى الولايات المتحدة اختيار القائد العام للقوات الدولية، وأعطى هذه القوات الحق فى استخدام علم الأمم المتحدة، أى أن التدخل الأمريكى فى كوريا كان ولو شكليا تحت مظلة التنظيم الدولى (٧٠).

ولكن هذا التدخل الأمريكى فى الضراع الدائر بين الكوريتين أدى إلى التدخل السوفيتى، وكذلك التدخل الصينى إلى جانب كوريا الشمالية، واستطاعت القوات الشيوعية أن تحرز انتصارات عديدة، مما اضطر قوات الأمم المتحدة إلى التقهقر بغير نظام نحو الجنوب. (٧١)

وقد ظهرت نداءات فى الولايات المتحدة نفسها تطالب بإيقاف هذه الحرب، ففى ربيع عام ١٩٥٢ قام دعاة السلام بمظاهرة كبرى ضد إنغماس الولايات المتحدة فى الحرب الكورية، واستخدامها للأسلحة المحظورة دوليا، كما اندلعت مظاهرات فى دول العالم الاشتراكى ضد الممارسات القمعية فى الحرب الكورية (٧٢).

ولم يكن فى الإمكان الاستمرار فى هذه الحرب إلى ما لانهاية، وهكذا بدأت المفاوضات فى ١٠ يوليو ١٩٥١ للتوصل إلى الهدنة، ولكنها لم تصل إلى نتيجة حاسمة بشأن وقف القتال إلا فى أواخر يوليو ١٩٥٣، وقد أدى الاختلاف فى وجهات النظر إلى قطع المفاوضات أكثر من مرة. ولكن بعد جهود كبيرة تم التغلب على كل المصاعب، وهكذا وفى ٢٧ يوليو ١٩٥٣ تم توقيع الاتفاق الأخير الذى حدد المنطقة المجردة من السلاح بامتداد ٢ كم على كل جانب، وبالتالى تم التوصل إلى اتفاق الهدنة وبذلك انتهت الحرب الكورية. وفى هذه الحرب تكبد الأمريكيون ١٤٢,٠٠٠ قتيل، وكوريا الجنوبية حوالى ٣٠٠,٠٠٠، وكوريا الشمالية ٥٢٠,٠٠٠ والصين الشعبية حوالى ٩٠٠,٠٠٠ (٧٣) أما خسائر الولايات المتحدة العسكرية والمادية فكانت عبارة عن تدمير ١٢,٢٢٤ طائرة حربية، ٥٦٤ سفينة حربية من أنواع مختلفة، ٣٢٥٥ دبابة وعربة مصفحة،

٧٦٩٥ من قطع المدفعية الثقيلة، وتكلفت الولايات المتحدة ١٦٥ مليـــار دولار من تكاليف الحرب (٧٤).

وبالرغم من نشوب الحرب الكورية، فإن الوضع فى شبه الجزيرة ظل كما كان عليه دون تغيير، وتمكنت هيئة الأمم المتحدة من الحصول علـــى موافقـــة الطرفين على تثبيت الوضع الراهن، وهذا يعنى أن الحرب الكورية قـــد انتـــهت بلاغالب أو مغلوب، وبقيت كوريا الشمالية تدور فى فلك الاتحـــاد الســـوفيتى والصين الشيوعية، وان كان الموقف قد تغير الآن بعد انهيار الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٩١، أما كوريا الجنوبية فبقيت فى دائرة فلك الولايات المتحدة.

لقد أكدت الحرب الكورية تقسيم البلاد، وأرست قواعده، وزادت مـــن حدة الخلاف بين الجنوب والشمال، و لم يكن التقسيم على امتداد خط عـــرض ٣٨° شمالا فى صالح البلاد على كافة المستويات، فالشعب فى كـــلا القســـمين شعب كورى واحد، واقتصاد القسمين واحد ومتكامل، والفصل بينهما قد أضر بالتأكيد بالاقتصاد الكورى كثيرا، لأن الثروة المعدنية تتركز فى كوريا الشـــمالية الجبلية، بينما تتميز كوريا الجنوبية بالثروة الزراعية لسهولها الواســـعة الخصـــبة، وأدى التقسيم إلى نقص فى المواد الخام اللازمة للصناعة فى الجنوب وإلى نقص فى المواد الغذائية فى الشمال (٧٥).

وقد تحطمت كل محاولات تحقيق الوحدة لكورية على صخرة الوجـــود العسكرى الأمريكى فى كوريا الجنوبية (حوالى ٤٠,٠٠ جندى) هذا بالإضـــافة إلى اختلاف نظام الحكم فى الكوريتين، إذ تتبع كوريا الشمالية النظام الاشتراكى حتى الآن، بينما تتبع كوريا الجنوبية النظام الرأسمالى، وتحاول كوريا الشـــمالية التمسك بامكانية تحقيق الوحدة الكورية على النظام الكونفدرالى، ولكن بشرط انسحاب القوات الأمريكية من كوريا الجنوبية. ولكن كوريا الجنوبية لها شروطها أيضا والمتعارضة مع آراء كوريا الشمالية. ولكن مع انهيار الاتحـــاد الســـوفيتى،

وإحلال الخصخصة واقتصاديات السوق فى الصين، وانهيار الشيوعية فى شـــرق أوربا، فإن كوريا الشمالية بقيت حتى الأن محافظة على النظام الشيوعى، وكأنها تمثل متحفا للحياة الشيوعية المنقرضة فى العقد الأول من القرن الحادى والعشرين. وعلى أية حال فإنه من المتوقع بعد تشابه نظام الحكم فى الكوريتين، أن يتم وضع الأسس الحقيقية اللازمة لتحقيق الوحدة الكورية.

الفصل السادس

تطور تاريخ إندونيسيا الحديث والمعاصر

تتكون اندونيسيا من ١٧٠٠٠ جزيرة تمتد على مسافة ٥٠٠٠ ميل، ومع امتداد خط الاستواء. وتقع شبه جزيرة الملايو والهند الصينية إلى الشمال والغرب، كما تقع القارة الأسترالية فى الجنوب، وتقدم الجزر حياة فريدة مليئة بـــالبراكين والجبال والحياة البرية. وغالبية الجزر صغيرة وبلا أهمية، ولكن هناك جزر كـــبيرة مثل سومطره وكاليمانتان (بورنيو سابقا) وجافا التى تعتبر أكثر الجزر ســكانا، وهى تضم العاصمة جاكرتا، وهناك جزر مثل بالى ولومباك وغيرها (٧٦).

أندونيسيا فى بداية العصور الحديثة:

قام التجار المسلمون من فارس والهند بزيارات تجارية إلى إندونيسيا منـــذ القرن الثالث عشر، وأسسوا علاقات تجارية بين إندونيسيا والهند وفارس. وقـــد أدى هذا إلى انتشار الإسلام فى هذه المنطقة وخاصة على السواحل.

وفى مرحلة تالية أمكن لهؤلاء التجار نشر الإسلام فى داخل الـــبلاد، وفى داخل القصور الملكية، وكان من أوائل من أعتنقوا الإسلام من ملـــوك جـــزر إندونيسيا سلطان ديماك، وقد نشر هذا الملك الإسلام على طول الساحل الشمالى لخليج جافا غربا إلى بانتن، وشرقا إلى مملكة جريسك. وأمكن لـــه فى النهايـــة إسقاط مملكة ماجا باهت القوية (١٢٩٣ — ١٥٢٠).

وبعد سقوط ماجا باهت انتشر الإسلام فى سلطنات بون وجوا وترنـــات وتيودوز ومالوكو.

وانتشرت العقيدة الإسلامية شمالى جافا، فى بورنيو وغربا إلى ســومطره وباساى وبرلاك وغيرها.

وكانت عاصمة مملكة غرب جافا (مملكة باجاجاران) هى سوندا كلابـــا (منذ عام ١٣٠٠) ولكن حلت محلها العاصمة الحديثة جاكرتا. وفى عام ١٥٢٧ تمكن سلطان ديماك من فتح سوندا كلابا، والتى سميت بعد ذلك باسم جايا كارتا بمعنى المدينة الكبيرة، وهذا هو أصل الاسم الحديث جاكرتا.

البرتغاليون فى إندونيسيا:

وصل البرتغاليين إلى إندونيسيا سنة ١٥١١، بعد أن هزموا السلطنة الإسلامية فى ملقا فى شبه جزيرة الملايو، وحاولوا نشر المسيحية فى تلك الانحاء(*).

وقد توحد سلاطين أكه فى سومطره، وسلطان ديماك فى جافا وسلطان ترنات فى جزر مالوكو فى محاولة للتصدى للقوات البرتغالية، وفى غضون ذلك الوقت اعترفت نحو ٧٢ جزيرة اندونيسية بسلطة سلطنة ترنات، وتضمن ذلك جزيرة تيمور. وفى عام ١٥٧٠ نجح البرتغاليون فى قتل سلطان ترنات السلطان خيرون، وقد تمكن خلفه السلطان باب الله من حصار القلعة البرتغالية فى ترنات، ثم تحالف باب الله مع الهولنديين لمواجهة البرتغاليين.

وفى عام ١٦٥١ هاجم الهولنديون كوبانج فى تيمور الغربية. وعلى الرغم من تواجد الهولنديين فى تيمور ، فإن التحديد الرسمى للحدود بين القوتين الاستعماريتين لم يتم إلا بعد قرنين من الانتصار الهولندى فى كوبانج، فقد تم ذلك فى ٢٠ أبريل ١٨٥٩، حين وقعت هولندا معاهدة مع البرتغال لتقسيم تيمور إلى منطقتى نفوذ هولندية وبرتغالية، حيث احتل الهولنديون الجزء الغربى، واحتل البرتغاليون الجزء الشرقى من الجزيرة، وظلت البرتغال مسيطرة على شرقى تيمور إلى ان انسحبت منها فى عام ١٩٧٥.

بداية الاستعمار الهولندى:

حاول الهولنديون المشاركة فى تجارة التوابل مع بداية القرن السابع عشر، وأسسوا لهذا الغرض شركة الهند الشرقية الهولندية سنة ١٦٠٢ ، وخصصوا لسفن شحن التوابل سفنا حربية مسلحة لحمايتها.

(*) أنظر الفصل الأول من الكتاب

وفى غضون ذلك الوقت كان سلطان ماتارام السلطان أجونج هانيو كروزومو قد اعتنق الإسلام، وتم نشر الإسلام فى السلطنة، وتقدمت الثقافات والفنون، واعتبارا من عام ١٦٣٣ ، نظم هذا السلطان سلطنته طبقا للنهج الإسلامى.

وكان السلطان أجونج عدوا صعب المراس للهولنديين، فقد أرسل قواته فى عام ١٦٢٩ لمهاجمة باتافيا، ولكن أمكن للحاكم العام الهولندى الجنرال جان بيترززون كوين ردها على أعقابها.

وكان الهولنديون منذ الإستيلاء على أمبون فى ملقا سنة ١٦٠٥ ، وجزيرة باندا فى عام ١٦٢٣ ، قد تمكنوا من احتكار التجارة فى جزر التوابل.

كما قام السلطان حسن الدين فى جوا بحرب ضد الهولنديين فى عام ١٦٦٦، ولكنه هزم، وأصبحت جوا كدولة تابعة لهولندا طبقا لمعاهدة بونجايو سنة ١٦٦٧. كما هاجم أمير مادورا القوات الهولندية أيضا، ولكنه هزم وقتل فى عام ١٦٨٠.

وفى عام ١٧٤٠ قضى الهولنديون على ثورة فى جاكرتا، والتى قام بها الصينيون، والذين انضم إليهم بعد ذلك الإندونيسيون، وقد قتل فى هذه الثورة عشرة آلاف من الصينيين.

أما مملكة ماتارام، فقد بدأت فى الاضمحلال بعد أن تم تقسيمها إلى ولايتى يوجيا كارتا، وسورا كارتا، وأدى ذلك إلى السيطرة الهولندية الإدارية منذ تسعينات القرن الثامن عشر على كل باتافيا (٧٧).

وكانت السفن الدنماركية والأمريكية كثيرا ما تأتى فى هذه الفترة إلى هذه المناطق. على أن الثورة الفرنسية وحروب نابليون زادت فى المتاعب، فإن فرنسا احتلت البلاد الهولندية فى سنة ١٧٩٥ وقلبت الهيئة الحاكمة القديمة وألغيت الشركة الهولندية الشرقية بعد سنوات قليلة، وقامت الحكومة الجديدة فى هولندة

بإدارة أعمالها، وحتى قبل ذلك كان البريطانيون قد تغلبوا على الأسطول الحربي للشركة في مياه جزر الهند الشرقية.

اندونيسيا بين هولندا وبريطانيا:

في سنة ١٧٩٦ كانت كل الأراضي الهولندية هنالك فيما عدا جاوة والجزر الشرقية قد استولى عليها البريطانيون، ثم أعيدت في معاهدة اميان، ولكن لم تمض سنة حتى قامت حرب أخرى وخسر الهولنديون أكثر الجزر. ونصبت نابليون أخاه لويس بونابرت ملكا على هولندة، وفي سنة ١٨١٠ ضم هذه الدولة رسميا فصارت جزر الهند أرضا فرنسية لبعض الزمن ولو أن الرجل العادى في إندونيسيا لم يكن يعلم بمجريات الأمور في مسرح العالم وكأن إندونيسيا كرة تقذف وترد من دولة إلى دولة.

كان البريطانيون يعرفون أن الدفاع عن المستعمرة ضعيف وأن نابليون لا يستطيع أن يرسل قوة تساعد هذا الجانب البعيد من امبراطوريته، لذلك تحركوا في قوة كبيرة واستولوا هذه المرة حتى على جاوة.

وكان مدير هذا الهجوم البريطاني لورد منتو الحاكم العام في الهند، وكان رجلا مستعمرا بعيد النظر ولكن لاتقوم شهرته في الشرق الأقصى على أعماله، بل على مساعدة البارز توماس س. رافلز الذى عرف فيما بعد بمنشىء سنغافوره الحديثة.

حكم رافلز جزر الهند أكثر من أربع سنوات إبتداء من ١٨١١، وكانت فكرته الجديدة عن الحكم الاستعمارى واهتمامه العميق بحياة الإندونيسيين وتثقيفهم لهما أثر كبير في تاريخ البلاد فيما بعد، ولم يتم فعلا الكثير في أيام حكم رافلز، ولكن عندما ننظر إلى آرائه نرى أنها غرست للمستقبل.

كان المستعمرون الهولنديون يتعاملون عادة مع الأمراء وعليه القوم ويتجاهلون عادة ثقافة الشعب وديانته وطريقة حياته مع أن مكاسب الأوربيين

تتوقف على مجهود الشعب. أما رافلز ورئيسه لورد منتو فكانا ينظران إلى الجانب العملى كما ينظران إلى الجانب الإنسانى الذى يقضى بالتفكير فيما ينفع الناس، وكانا فضلا عن ذلك عندهما اهتمام حقيقى بتاريخ وطرق معيشة أولئك الناس. فكانا يحيطان نفسيهما بالخبراء الدارسين لحضارة الإندونيسيين وأمورهم، وكتب رافلز نفسه فيما بعد كتابا قيما فى تاريخ جاوة.

كان رافلز طموحا مغرورا شديد المراس ، وفيما بعد كان يقوم بدسائس ليقاوم الصلح بين الهولنديين والبريطانيين، ويشعر بعض الناس أنه كاد يقـــع فى الخيانة فى سبيل مقاومة حكومته. ولكن الواقع مع ذلك أن رافلز كان أول أوربى فى مركز عال وضع أهل إندونيسيا فى المكان الجدير بهم ، ولهذا فهو جدير بـــأن يشغل مكانا محترما فى تاريخ الدولة ولو أنه لم يعمل كثيرا إلا أن يقطع الصـــلة بالماضى فى الوقت الذى عادت فيه إندونيسيا إلى الهولنديين فى سنة ١٨١٦ بعد مؤتمر فينا.

ربما أن رافلز كان يعلم بمدى الظلم الواقع على الاندونيسيين، وكان يشعر أن النظام السابق الذى يقضى على الأهالى بتسليم المنتجات قسرا عـــن طريـــق الأمراء لايمكن أن يدوم طويلا، فإن الموظفين الهولنديين كانوا يطلبـــون كميـــة محددة من الأرز أو الفلفل أو البن بأثمان محددة، فكان ذلك يـــؤدى إلى ضـــغط الأمراء وطحنهم للفلاح. وليس لهؤلاء الذين يعملون العمل الحقيقى أى صالح فى العمل أو فائدة ملحة لتحسين الزرع. وكانت نظرية رافلز قائمة على أن جـــزءا كبيرا من الأرض ملك للأوربيين فى بتافيا ويمكن تأجيرهـــا للفلاحـــين الـــذين يتعاملون مباشرة مع أصحاب الأرض فى بتافيا بدلا من أولئك الاقطاعيين.

ولكن زعماء القرية كان يعقدون اتفاقاتهم تحت نظام الايجار للفلاحـــين، وكثيرا ما كانوا يسيئون استعمال سلطاتهم بقدر إســـاءة الأمـــراء فى الماضـــى، وكانت هنالك أخطاء أخرى فى النظرية ولكنها كانت تشير للطريق إلى نظـــام

اجتماعى أحدث، وفى بضع سنوات يقضى على النظام الإقطاعى نهائيا، وهى لاتساعد على رخاء الناس فى التطبيق العملى إلا قليلا، وفى رأى النقاد الكثيرين لنظريته عن الهولنديين أن لا علاقة لها بأية آراء إنسانية ولكنها فى الواقع تفتح أفقا جديدا، فقد أعلنت فعلا على الأقل أن الإدارة الاستعمارية يجب أن يكون مرماها الأول رخاء العامة من السكان.

وبعد اثنى عشر عاما من عودة المستعمرة إلى الهولنديين بعد إنتزاعها من رافلز حدث تغير من أهم التغييرات فى الحياة الأقتصادية، ذلك هو اتباع "نظام الانتاج الزراعى" فقد أدى إلى تعديلات واسعة النطاق، وبهذه السياسة صارت جزر الهند فى الواقع مزرعة هولندية عظيمة تنظمها وتشرف عليها حكومة بتافيا، فلم يعد الإشراف على الفرد الإندونيسى مباشرا فقط، بل صار الهولنديون أكثر نشاطا فى مجرى الأمور العملية، فهم يتولون انتخاب الحاصلات وتقرير طريقة إنتاجها وهم الذين يقومون بالبحوث الواسعة وينشئون الأعمال الهندسية كالتنظيم الواسع للرى.

وقبل ذلك كان الهولنديون مجرد تجار يشترون الحاصلات، والإندونيسيون مجبرين على تسليمها لهم، ولكنهم أصبحوا مزارعين ناشطين يتولون أكبر مزرعة فى العالم، وفى زمن سابق حاولوا فى جزر ملوكو أن يتولوا انتاج القرنفل وجوز الطيب ولكنهم فى غيرها ولاسيما فى بتافيا قبل نظام الانتاج الزراعى، كان للهولنديين مراكز تجارية لحد ما كالمراكز التى أنشأتها شركة خليج هدسون فى كندا أو مثل حصن بنت وغيره من المواقع التى أقامها تجار الفرو الأمريكيون فى الغرب الأمريكى.

ظلت الطريقة الجديدة فى التنظيم والإدارة تزيد المكاسب بعض الوقت، ثم كان لها تأثير كبير فى تقدم الزراعة فى إندونيسيا. على أن الفلاح الذى قاسى طويلا لم يستفد إلا مجرد استبدال الحكم القديم للأمراء بحكم دولة أجنبية.

والواقع أنه صار أسوأ حالا لأن السيطرة الهولندية على حياته كمزارع لم تنه أنواع السيطرة الأخرى التي يتألم منها، فقد ظلت للملك ورؤساء القرى سيطرتهم الكبيرة يؤيدها الهولنديون ما دامت لاتتعارض مع أعمالهم.

وقد أصيبت "المجالس القروية" المحلية بضرر حقيقي، وكانت نوعا من الديمقراطية الأساسية، وكانت هذه المجالس لابد أن تتخذ قراراتها بالإجماع، ويؤجل التنفيذ حتى يتفق الأعضاء جميعا، وكان زعيم القرية مجرد متحدث عن الجماعة لا حاكم القرية، ولكنه بموجب نظام الانتاج الزراعى صار الحاكم المستبد الفعلى بحكم القوة الاقتصادية التي منحها له الهولنديون.

زاد النظام الزراعى الهولندى مساحة الأرض التي صارت تحت سيطرة الهولنديين زيادة كبيرة أو على الأصح صارت سيطرتهم على مساحة فعلية بعد أن كانت لهم مراكز متفرقة فى الماضى وكانت الزيادة نتيجة للفكرة الجديدة عن التوسع فى زراعة الحاصلات فى الداخل بدلا من الاعتماد على مواقع التجارة والمساحات القريبة من الموانىء.

وقامت أيضا حركة يراد بها مقاومة مغامر جرىء بريطانى هو جيمس بروك الذى سمى فيما بعد الراجا الأبيض لساراواك ، ففى سنة ١٨٤٠ وضع يده على الطرف الشمالى لجزيرة بورنيو حيث لاتزال ثلاثة أقسام من أرضها بريطانية وهى: ساراواك ، وبرونى، وشمال بورنيو.

فإن الطريقة التي هى أشبه بما يجرى فى أفلام هوليوود السينمائية والتى بنى بها بروك إمبراطورية على إحدى الجزر التي تنتمى إلى هولندة جعلت الهولنديين يفكرون فى أن الوقت حان لتثبيت حقوقهم، لذلك عملوا فى الخمس عشرة سنة التالية لمقاومة التهديد البريطانى ووجدوا فرصة للإستفادة من حاصلات جديدة بزيادة رقعة الأرض التي تحت سيطرتهم إلى نحو حجم الجمهورية الاندونيسية الحاضرة.

وفى أثناء منتصف القرن التاسع عشر أخذ الإصلاحيون الهولنديون يحتجون على المعاملة غير العادلة بل الوحشية التى يعامل بها الإندونيسيون لا سيما ما يسمى "التهدئة" الإجبارية فى المساحات التى يضعون اليد عليها، وصارت الحكومة منذ ذاك الزمن تهاجم دائما على الأقل من جانب الرأى فيتهم الموظفون بنقض المعاهدات والسماح بالرق وتشجيع تجارة الأفيون وتجريد الجزر من مواردها دون أن تكون لإندونيسيا فوائد فى مقابل ذلك. ومعاملة الأهالى كمواطنين من الدرجة الثانية فى نفس موطنهم، وكان النقد يوجه بصفة خاصة إلى إهمال الضروريات، لاسيما التعليم، مع أن الأهالى هم تحت وصاية هولندة.

وكما أن كتاب "كوخ العم توم" أثار قلوب الأمريكان على الرق فى تلك البلاد، كذلك أثار كتاب هولندى شهير اسمه "ماكس هافيلار" الرأى العام على سياسة هولندة فى جزر الهند وكان مؤلفة داووس ديكر الذى نشره تحت اسم "ملتاتولى" موظفا استعماريا سابقا. وقد رأى الأمور رأى العين وكذلك شأن و.ر. فإن هيفل القس الذى صار مدافعا قويا عن الكرامة والمعاملة الإنسانية بعد أن طرد من جزر الهند للتصريح بمثل هذه الأقوال فيها.

وكان الرجال من أمثال ديكر وفان هيفل وغيرهما يجدون تأييدا فى تيار التحرر الأوربى الناشيء، وكان من نتيجة هذا الضغط أن أجريت إصلاحات كثيرة عندئذ أو بعد قليل فمنع الرق سنة ١٨٦٠ أى قبل أن يعلن لنكولن فى أمريكا إلغاء الرق بسنتين وأجريت تحسينات فى المحاكم والقضاء وحرمت وسائل الغش الصارخ للإندونيسيين فى المعاملات نظريا وانتهت لحد ما عمليا، على أن الإصلاح الذى كان له أثر ثابت باق فهو قانون منع غير الإندونيسيين من شراء الأراضى.

وما يناسب الآرء التحررية فى ذاك الزمن كانت هنالك حركة كبيرة لذهاب الأفراد للعمل فى جزر الهند وهجرة متسعة من الوطن الهولندى الأصلى،

وحاول الموظفون بمدينة بتافيا فى بادىء الأمر أن يستفيدوا ماليا ببيع الأراضى، وكان هنالك خطر حقيقى فى أنه لو استمرت هذه السياسة لسيطر أصحاب الأموال الأجانب لا على موارد أعمال الجزر وحدها، بل على كل أراضيها، ولتملك الأرض عدد أقل واقل من الأيدى فتنشأ طبقة من أصحاب الأراضى وتقوم مشكلة ملاك الأرض التى لاتزال مثار المتاعب فى جهات أخرى من آسيا.

ومن مواطن ضعف الدعوة الشيوعية فى إندونيسيا أن أصحاب هذه الدعوة لايستطيعون التوسع فى الكلام عن مشكلة ملاك الأرض وهى نقطة ارتكاز لدعوتهم فى غيرها من البلاد، فإن فى إندونيسيا مشاكل قد تدعو لليأس ولكن فيها أساس متين هو الاتساع فى توزيع الأراضى. وهذا الإتجاه زاد فى سنة ١٩٦١ حين صار من برنامج الرئيس سوكارنو تحديد الأرض التى يمكن أن يمتلكها أحد الأفراد.

وفى تاريخ إندونيسيا كثير من التحولات فيما إذا كانت الحكومة تشترك فى المعاملات التجارية أو تمتنع عنها، ولم يكن نظام الانتاج الزراعى إلا أهم خطوة اتخذتها الحكومة. أما السيطرة على إنتاج التوابل فى جزر ملوكو فانتهت بعد رافلز بقليل، وأما نظام الانتاج الزراعى فقد أعاد الموظفين ببتافيا إلى المعاملات التجارية ثانية، وأخذوا يتاجرون فى كثرة لاسيما فى البن والسكر، وظل الحال على ذلك إلى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر حين ابتدأ الأفراد من الهولنديين يتدخلون ويزيحون الموظفين. وركزوا على نوع من المنتجات وهو البن.

وكان آخر تغير كبير فى العلاقات الهولندية مع المستعمرة فى بدء القرن الحالى وهو ما عرف باسم "السياسة الأخلاقية" وهذه السياسة تظهر فى آن واحد الأثر الإنسانى للإصلاح وازدياد الشعور بين رجال الأعمال الهولنديين بأن رخاء جزر الهند سيجعل منها سوقا عجيبة لمبيعاتهم. وفكروا أيضا فى أن الضرائب على

عمل الأفراد فى الجزر تساهم فى نفقات إدارة المستعمرة، فقد صارت هذه النفقات عبئا ثقيلا على الوطن (٧٨).

هولندا والاستغلال الزراعي:

من العسير على المرء أن يتحدث فى شىء من ضبط النفس عن النظام الهولندى بإندونيسيا، وبحسبنا أن ننقل الفاظ مؤرخ هولندى بحذافيرها، إذ قال: (أن التدمير والمقاومة والانتقامات كانت هى القصة المتكررة الرتيبة بجزر ملكا).

وقد وضع كوين مؤسس باتافيا الذى يقول عنه الكتاب الهولنديون فى عصره (انه واصل تنفيذ سياسته بطريقة فيها من الاجرام وسفك الدماء والقتل مايجعل دم الفقراء الواقع على أم رأسه يصبح مطالبا بالثأر والانتقام) وهو الذى وضع المبدأ الذى أقيمت على أسسه السياسة الهولندية فيما بعد، فلقد تساءل قائلا (افلا يستطيع أى رجل فى أوربا أن يفعل مايشاء بما شيته؟ هكذا يفعل السيد هنا برجاله، ذلك لأن هؤلاء بكل ما يملكون إنما هم فى كل مكان ملك للسيد بالمثل، شأنهم فى ذلك شأن البهائم بالأراضى المنخفضة. والقانون بهذه البلاد هو إرادة الملك، والملك هنا هو من يكون أقوى الناس) وقديما ادعى ملوك أوربا أيضا أن القانون هو مشيئتهم، وبعد عهد كوين بزمن قصير، ادعى لويس الرابع عشر أنه هو الدولة. ولم يحدث قط، لا فى نظرية الحكم عند الهند أو والمسلمين، أن ادعى أحد أن الحاكم يملك الشعب ولكن مذهب كوين السياسى أصبح أساسا لمعاملات الهولنديين وممارستهم، والدعامة النظرية التى تقوم عليهاعلاقة المستعمر الهولندى بالكولى الإندونيسى ، تلك العلاقة التى سادت بإندونيسيا مدة مائة سنة.

والآن وقد تسلح الهولنديون بنظرية مناسبة من هذا الطراز لم يعد لديهم أية فرصة يدعون بها أن عليهم أى التزام خلقى نحو سكان جاوة. بل الواقع أنه ينبغى ان يقال إنصافا لهم أن الغرض الصريح المعترف به من وجودهم بجزر الهند

الشرقية هو الحصول على أقصى ما يمكن الحصول عليه من الأرباح بكل وسيلة تتهيأ لهم خلقية كانت أو غير خلقية. كما أن الهولنديين أنفهسم لم يكونوا ينظرون البتة فى مطالب السكان حتى ترغمهم الأحداث الدولية فى مختلف العصور على فعل ذلك كارهين.[٧٩]

كانت تجارة التوابل قد عادت على الهولنديين حتى بداية القرن الثامن عشر بأعظم الأرباح، وكانت أرباحهم طائلة جدا فى تجارة القرنفل إبان القرنين السادس عشر والسابع عشر. ولا أدل على ذلك من أن السفينة فكتوريا سفينة ماجلان، أخذت شحنة من القرنفل من ملكا، وباعتها بمكسب مقداره ٢٥٠٠ فى المائة. على أن هذه الأرباح أخذت تضمحل عند ابتداء القرن الثامن عشر وذلك لان احتكار الهولنديين اضطر دولا أخرى إلى تشجيع زراعة القرنفل ببلاد الهند وبأماكن أخرى. ثم تبين للقوم أن للبن سوقا ضخمة بأوربا، وأنه سيكون سلعة تجارية موفورة الأرباح جدا. وفى قريب من ١٦٠٠م أصبح استخدام القهوة شائعا بأوربا، وسرعان ما أصبحت شرابا شعبيا. وظهر أن الطلب عليها لاينتهى عند حد. وقد أدخلت شجرة البن إلى جاوة من ساحل ملبار بجنوب الهند عند ابتداء القرن. و لم تنقض بضع سنين حتى أصبحت محصولا من أكبر محصولات الجزيرة. ولما كان البن يتطلب أسعارا عالية من أسواق العالم، فلعله كان من المأمل أن يعيد هذا المحصول الرغد إلى فلاحى الجزر، ولكن الشركة لم تكن ترغب فى ذلك، وكان الخوف الذى يكثرون من ترداد التعبير عنه فى وثائق تلك المدة هو: (أن سكان جاوة قد يشتد ثراؤهم) ، وذلك على حين أن الحيلولة دون تمتع أهل جاوة بأى رغد، وجمع الهولنديين أقصى ما يستطيعون سلبه من ثورة الجزيرة فى خزائنهم هما أبسط أهداف الهولنديين التى يعبرون عنها على الملأ.

من أجل ذلك اتبعت الشركة سياسة ذات ثلاث شعب، أولها تخفيض جبرى فى أسعار البن بباتافيا، وتحديد للزراعة ونظام صريح للغش كان المنتجون

يضطرون بمقتضاه أن يسلموا ٢٤٠ رطلا إلى ٢٧٠ مقابل ثمن ١٢٥ رطلا فقط يقبضونه، وبعد ذلك كله، وبعد إجراء تخفيضات لأسباب وذرائع مختلفة لايصل إلى جيب المزراع الاندونيسى الاثمن ١٤ رطلا. وبذلك كان الجاويون يخادعون فى ارباحهم نهبا وغشا ويحرمون وينكر عليهم حتى الحصول على سعر معتدل لمحصولهم، فلا عجب إذن أن يرغب الفلاحون عن زراعة البن. وفوق هذا لم يبد "الاقيال" الذين كانوا الوكلاء الإندونيسيين للشركة أية حماسة فى هذا الصدد. ولذلك قرر الهولنديون أن يرغمو كلا من الأقيال والفلاحين على زراعة البن وتقديمه اليهم بسر محدد. وكانت نظرية الشركة فى ذلك بسيطة... ذلك أنهم ورثوا حقوق السيادة التى كانت للسلاطين، وكان لهم من أجل ذلك الحق فى الملكية المطلقة للأرض، وكان حق الاستثمار ملكهم بكليته. وكان الأقيال والفلاحون مجرد وكلاء لهم فى العملية. بل الحق أن جاوة كانت فى نظر الشركة قد أصبحت مزرعة ضخمة للبن يملكها الهولنديون. و لم يكن المقصود من حق السيادة الذى كانوا يمارسونه إلا أن يعطوا صاحب الزراعة (وهو الشركة فى هذه الحالة) الحق على أساس بعض الذرائع القانونية، فى حرمان الإندونيسى حتى من الحصول على أجور معقولة لقاء عمله.

ومن قبل ذلك جعل البن من السلع المحتكرة، وقرابة عام ١٧٦٠ جعل الأقيال مسئولين عن الزراعة، ووضعوا تحت إشراف موظف هولندى، وعين عدد من ضباط الصف يعرفون باسم جاويشية البن، للتأكد من أن الأقيال والفلاحين لايهملون زراعة البن. والواقع أن خطة المسألة دبرت بنظام محكم كما لو كانت تتم فى مزرعة عادية، كما أن البن الذى كان يزرع بتلك الطريقة كانت الشركة تتولى جمعه وبيعه.

كان ما أدخله نظام الضياع الكبيرة فى علاقة الهولنديين بالإندونيسيين ثورة صامتة ولكنها بعيدة المدى. وقبل ذلك لم يكن الهولنديون إلاتجارا يشترون

التوابل والأرز اللذين كانت البلاد تنتجهما ويبيعونهما بالأرباح. أجـل أنهـم استخدموا فى ذلك سلطانهم لإنشاء احتكار، ولكن نشاط الشركة التجـارى لم يكن يتجاوز هذا الحد إلى التدخل فى حياة الأهلين. على أن التحول إلى اقتصاد يقوم على نظام الضياع الكبرى كان لاينطوى فقط على الاسـتغلال الفعلـى للعمال، والتحكم الوثيق فى اقتصاد الأهلين والاشراف الفعال عليهم، بل ينطوى فى الواقع على تطبيق "نظام إدارة الضياع الكبرى" على قطر بأكملـه. فلقـد أصبحت جزيرة جاوة مزرعة كبيرة للشركة، كما أن العلاقة بين الحاكم صاحب الحق فى السيادة، وهى الشخصية التى ادعتها الشركة آنـذاك لنفسـها، وبـين رعاياها لم تكن فى صميمها إلا علاقة صاحب ضيعة بعماله الكولية، و لم يكـن فيها الطرف الأول صاحب العمل الذى يستخدم العامل فحسب، بل كان أيضا السلطة التى تملك بيمينها حقوق الحياة والموت، وصاحبة وسائل الظلم الشـامل الذى لايستطيع أن يستنبطه إلا نظام قانون تعززه سـلطة الحـاكم، و لم يكـن الطرف الثانى كوليا فقط، بل كان كوليا ليست له حتى حقـوق اسميـة علـى مستخدمه صاحب العمل، الذى لم يكن يستطيع أن يلجأ حياله إلى جهة قضائية ولا جهة تنفيذية. وليس هناك نظير فى التاريخ لتلك الحالة التى حولـت فيهـا ممارسة حق السيادة شعبا بأكمله إلى أمة من كولية الضياع الكبرى، مع الـنزول بالطبقة الأرستقراطية الأصلية بينهم إلى مركز رؤساء عمال ومشرفين، يفرض عن طريقهم العمل قهرا وينفذ الظلم جورا. ولا ريب ان جماعة "الإنكـا" فى بـيرو كانت على هذا النحو من انعدام الرحمة فى إستغلالهم المطرد المـنظم للاهـالى ولكنهم كانوا على الأقل يعيشون فى البلاد كما كانت جميع مكاسبهم تنفق بها. فأما هنا، فكانت المكاسب ترسل إلى بلاد بعيدة ليتمكن بها السادة من الاستمتاع بأسباب الترف العيش بعيدا عن مناظر الكدح والشقاء.

وكان الأقيال هم آلات التعذيب التي تمكن الهولنديون بواسطتها من تنفيذ هذه السياسة القاسية المجردة من كل رحمة، وكان يعينهم المدير العام، وان كان المنصب يعد وراثيا، وكان الهولنديون يضعون في اعتبارهم المدعيات الوراثية ويحترمونها على وجه الجملة. ومع أن الهولنديين كانوا يعينونهم في وظائفهم فانهم كانوا يعدون الفلاّح والأرض نفسهما ملكا خاصا لهم، ويفرضون على الناس جميعا العمل بالسخرة في مزارع البن. فأما أن الاقيال أنفسهم لم يكن مسموحا لهم أن يثروا، فأمر يتجلى في أن قوميسير الشئون الوطنية، وهو السيد الذى كان الأقيال يعملون بإرشاداته كان يضطر عادة إلى اعطائهم قروضا بأسعار الربا الفاحش، لكي يردوها إليه أيام تسليم محصول البن. وكانت الديون تصبح من الفداحة بحيث أنه لم تكن تنقضي فترة قصيرة إلا ويصبح البن المسلم غير كاف لتغطية الفائدة . ولذلك لم يكن أى من الإندونيسيين الفقراء الذين كانوا يضطرون إلى العمل في الحقول بنظام "السخرة" الجارى استخدامه ولا الاقيال الذين يشرفون على العمال يحصلون على أية أرباح، وكانت سياسة منع الإندونيسيين من جمع الثروات تنفذ بأقصى دقة (٨٠).

الحاصلات الزراعية الأخرى:

كان البن هو المحصول الجديد الوحيد قبل أن يؤدى نظام الانتاج الزراعى إلى التفات الجميع للبحث والتجربة، فلما حدث ذلك كانت النتائج المثيرة الواحدة تلو الأخرى. وصارت الحدائق النباتية في بوجور على مقربة من بتافيا مركز البحوث الزراعية وصار العلماء في أجزاء كثيرة من الجزر لا يكلون من البحث عن نباتات جديدة وطرق جديدة لانمائها.

وبعد الفشل عدة مرات ظهر أن الشاى من ولاية اسام الهندية قابل للزراعة في جاوة، فحديقة الشاى تحتاج إلى أن يكون الجو ملائما تماما، يجمع بين الدفء في الحرارة والمطر الغزير والارتفاع المناسب، وهذه الشروط تتوافر على

سفوح الجبال فى جاوة، وقد صارت حدائق الشاي من أجمل المناظر الجذابة فى البلاد وصارت إندونيسيا الدولة الثالثة فى انتاج الشاى فى العالم.

وجاء التبغ من أمريكا عن طريق الإسبان فى القرن السابع عشر وصار يزرع القليل منه منذ ذلك العهد، ولكن كان الفضل لشركة خاصة فى القرن التاسع عشر فى أن عرفت كيف ينمو النبات وينتشر فى أراض أخليت من الادغال فى شمال سومطرة وكيف يستجيب النبات للطريقة العلمية التى اتبعت وتنمو أنواع خاصة منه فى سومطرة وجاوة ومدورا وكل منها له صفات خاصة لا توجد فى أنواع التبغ الأخرى.

واستورد نخيل الزيت من غرب أفريقيا إلى إندونيسيا فى منتصف القرن التاسع عشر ونجح من البداية تقريبا ويخرج من ثماره نوعان من الزيت: زيت النخيل من اللباب. وزيت حبة النخيل من الداخل. والأخير أصلح للطعام ومنه يعمل الزبد الصناعى.

أما أهم استعمال لزيت النخيل فهو فى صناعة الصابون والشموع.

ومن النباتات الجميلة المستوردة شجرة الكنكونا التى جىء بها من جنوب أمريكا واعتادت الشجرة الجديدة حياة إندونيسيا وتأقلمت حتى ان جاوة صارت تكسب أكثر وأكثر من السوق فى العالم إلى أن صار نحو تسعين فى المائة من الكينين الطبى (الذى يستعمل فى علاج الحمى) يرد إلى العالم من قشر الأشجار الاندونيسية. على أن المبيعات هبطت فى السنوات الأخيرة إذ تستعمل الآن مواد أخرى كيماوية بدلا من هذه المادة.

والكابوك التى يطلقون عليها شجرة القطن الحريرى هى أيضا من الأشجار المهاجرة، والغالب أنها جاءت من جنوب أمريكا، والقطن الذى يستخرج من البذرة مفيد جدا لأنه خفيف فى وزنه ويقاوم الماء كذلك، وهذا يجعل الإقبال

عليه كبيرا للحشو والمخدات وأكياس النوم، وليس ذلك فقط، بل لملابس الوقاية من الغرق.

وقد نجحت الشجرة في جهات أخرى من آسيا ولكن ليس بمثل النجاح الذى لاقته في إندونيسيا حيث صارت أهم البلاد التي تمون بها العالم.

وكانت أشجار المطاط هي أهم الحاصلات التي أدخلت في البلاد حسب نظام الانتاج الزراعى، وجنت البلاد من ورائها أموالا، على أن النتائج منها تأخرت طويلا، حتى أنها لم تظهر إلا زمن الحرب العالمية الأولى حين تبينت نتيجة زراعة المطاط في إندونيسيا، إذ قبل ذلك كان العصير يجمع بمحض المصادفة من أشجار المطاط البرية في سومطرة، ولكن بعد أن جاءت الأنواع البرازيلية عن طريق الحدائق النباتية في بوجور، وبعد تطور طريقة الزراعة للإنتاج شغلت إندونيسيا مكانها كأكبر منتجة للمطاط الطبيعي في العالم. غير أنها في سنة ١٩٥٩ جاءت بعد الملايو للمرة الأولى. على أنه إذا تحسنت الأحوال العامة في إندونيسيا فإنه يمكن للبلاد أن تعود إلى المركز الأول في إنتاج تلك المادة.

أما السكر فهو في البلاد من زمن قديم، ولكن باتباع طرق الزراعة الجديدة زاد محصوله كثيرا وزادت مكاسبه. وغير المطاط والسكر توجد حاصلات أخرى هي أكثر ما تنتجه الزارعات، نذكر من أهمها البن والشاى والتبغ ونخيل الزيت والكنكونا والكاكاو (الذى من بذوره يعمل الكاكاو والشيكولاته، والذى كان من شأن وجوده في إندونيسيا الهولندية أن اشتهرت الشيكولاته الهولندية المعسلة) والسيسال الذى تصنع منه الحبال، والأربطة.

وقد ظلت بعض الحاصلات الهامة التي تدر مكاسب في أيدى صغار المزارعين من البداية إلى اليوم، فحدائق الفلفل التي توجد بصفة خاصة في سومطرة هي عادة صغيرة، وكثيرا ما تكون عملا إضافيا لغيرها من الأنواع، مثل

بذور عباد الشمس. وكانت إندونيسيا إلى الحرب العالمية الثانية أكبر مورد للفلفل، على أن الهند احتلت الآن المكان الأول.

وانتاج جوز الهند يكاد يكون بأكمله فى أيدى صغار الملاك، ويستعمل لأغراض جديدة فى البلاد، ويصدر لأغراض متعددة فى جهات أخرى من العالم، ويكون التصدير على هيئة زيت جوز الهند أو على هيئة الكوبرا (وهى لحم جوز الهند المجفف) وكما حدث فى حاصلات كثيرة هبط المحصول كثيرا فى أثناء الحرب العالمية الثانية وفيما بعدها. على أن إندونيسيا لاتزال أكبر مصدر فى العالم لزيت جوز الهند الذى يستعمل فى الصابون والمسلى الصناعى والجليسرين دون ذكر المنتجات الفرعية الأخرى للشجرة، ومنها كعكة الزيت وهى طعام للمواشى يستعمل من اللحم بعد استخراج الزيت منه و "الكوير" وهو خليط يستخلص من ألياف القشرة ويستعمل حبالا أو حصيرا أو أشرطة جوز الهند، ومنها الكعك الأمريكى وأسلاك جوز الهند المعسل.

حتى الحاصلات التى تستعمل للاستهلاك المنزلى لا للبيع الخارجى، والتى تنتجها العائلات لا الشركات الزراعية، استفادت من التقدم العلمى، وأكبر مثل لذلك "الكسافا" وهو نبات جذرى أغزر انتاجا من البطاطس، ومنه ينتج النشا.

وقد أدخل الإسبان والبرتغاليون هذا النبات فى القرن السابع عشر، ولكن أفضل الأنواع جاء بها العلماء من أمريكا اللاتينية فى القرن التاسع عشر، وصارت الكسافا فيما بعد من أكبر مصادر الطعام بعد الأرز والحنطة لتقيم أود الإندونيسيين فى حياتهم.

واعتبر الباحثون فى بادىء الأمر الغابات من أعدائهم، فقد كانوا يبحثون عن الأراضى التى تنتج حاصلات، وصار العمل على التخلص من الغابات من الأعمال المرهقة التى تقصم الظهر، ولكن بعد قليل صاروا يهتمون كثيرا بما يجدونه من ثروة فى الغابات لاسيما أن ثلثى مساحة الأرض فى إندونيسيا مغطاة

بالغابات. ويستعمل الكثير من أخشاب اندونيسيا وغاباتها محليا، ولكن يصدر منها الساج والراتان (وهو نخيل متسلق يقطع شرائط فيصبح من أهم مصادر مقاعد الجلوس والأنسجة الخشبية) والبامبو والكافور وأخشاب صباغة الجلود، ومنها أخشاب ذات رائحة عطرية من زيتها تستخرج العطور، وكانت من أهم الصادرات التي يقدرها الأوروبيون في الأيام الخالية. (٨١)

الاستقلال:

إن انتصار اليابانيين في الحرب بين روسيا واليابان سنة ١٩٠٥ أثبت أن الآسيويين يستطيعون هزيمة الغربيين، وكانت ثورة الصين سنة ١٩١١ التي هزت أرجاء العالم تثبت أن الشعوب الآسيوية تستطيع أن تسيطر على أقدارها وتلقي بعيدا بنظام عتيق عفى عليه الزمن.

وجاءت أنواء قوية كثيرة من الخارج، والواقع أن حركة الاستقلال الحقيقية انتشرت بأكثر قوة في تلك الأجزاء من البلاد التي لها أكبر اتصال بالعالم الخارجي، وكانت أقوى المؤثرات الثلاثة الآتية من الخارج، ودخلت عليها تعديلات كبيرة في إندونيسيا كما هو الحال دائما، هي الفكرة الأوربية عن العدالة الإجتماعية، والحركة الجديدة في الإسلام التي حاولت الجمع بين الإصلاح الإجتماعي والسياسي وبين الدين، ثم فكرة الشيوعية الدولية.

ومن أوائل الجمعيات التي عملت على خلق حركة وطنية على نسق إندونيسي بحت كانت جمعية "بودي إيتومو" (أي رفعة المقاصد) التي ألفها ثلاثة من طلبة الطب في سنة ١٩٠٨ لتشجيع الاهتمام بالحضارة الاندونيسية، وصار أحد الثلاثة وهو "سوتومو" فيما بعد من أهم زعماء حركة التحرير. أما الجمعية نفسها فكانت نزعتها ثقافية بحيث لم تجد تأييدا من جمهور العامة ولكنها كانت ذات فائدة في وضع جذور محلية للحركة التي تبنت في الكثير آراء من الخارج.

وقد جذبت الديمقراطية الاشتراكية من النوع المعروف فى أوربا أولا الهولنديين المتذمرين والآسيويين المتأثرين بأوربا والصينيين، ومنهم انتقلت الآراء الاجتماعية الراديكالية إلى جزر الهند الشرقية. وكنت أهم المسائل فى حركة الاستقلال هى: هل يمكن بلوغ الحرية والديمقراطية دون الوقوع فى مصيدة الشيوعية.

كان الدين هو القوة الأساسية التى تمنع الشيوعيين من تحقيق غرضهم وهو السيطرة على الحركة الوطنية . وكانت أهم المنظمات الإسلامية الجماعة المسماة "سريكات إسلام" وهى جماعة تأثر أفرادها كثيرا بالتعاليم الإسلامية "الحديثة" فى الشرق الأدنى، وكانت لهم حيوية جديدة فى نزعتهم الإسلامية، وفى الوقت ذاته يعملون فى سبيل الإصلاح السياسى والإجتماعى، وكانت سريكات إسلام، هى الجانب الشرقى المتطرف فى هذه الحركة وكانوا عازمين على أن يظلوا مسلمين وإندونيسيين وغير شيوعيين.

وكان أحد زعماء جمعية سريكات إسلام هو حاجى عجوز سالم (حاجى أى أنه قام بفريضة الحج إلى مكة المكرمة) وكان من أكبر المستنيرين فى حركة التحرير، ثم كان وزيرا للأمور الخارجية فى الجمهورية، وفى أحد أدوار النضال لابعاد الشيوعيين قال الحاج: أنه لايحتكر الآراء التقدمية. وقال: أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينادى باقتصاديات الاشتراكية قبل اثنى عشر قرنا من ولادة كارل ماركس.

وقد فشل الشيوعيون فى محاولتهم كسب هذه الجمعية إلى صفوفهم، ولكنهم تقدموا فى جهات أخرى، ففى منتصف سنة ١٩٢٠ وجدت حركة شيوعية سرية، ولكن من الغريب أنها لم تكن تجد فى بادىء الأمر تشجيعا من موسكو، وقد قامت ثورة شيوعية فى سنة ١٩٢٦ ولكن لم يؤيدها الكرملين لأن الزعماء الروس لم ينتظروا للشيوعية النجاح فى بلد كان فى نظرهم متأخرا ، فظل

زعماء حركة الشيوعية العالمية فى موسكو يصدون منظمى الحركة المستعجلين فى إندونيسيا. ولكن فيما بعد شعر زعماء السوفييت أنهم كانوا مخطئين، وبدأوا هم والشيوعيون الصينيون يفكرون فى أن إندونيسيا منطقة هامة لنشاطهم، وكادت الشيوعية تستولى على الحركة الثورية فى أحرج لحظاتها وزاد الحزب الشيوعى فى عدد أعضائه وفى نفوذه منذ الاستقلال.

كانت الروح الوطنية مركزة فى جاو، وهى أغنى الجزر وأكثرها سكانا وأقربها تأثرا بالآراء الواردة من الخارج، ولكن حدثت أيضا حركات من أجل الاستقلال والديمقراطية الاشتراكية فى الجزر الأخرى أيضا لاسيما سومطرة، على أن فكرة ضم جميع الأقسام معا كانت بطيئة فى تكوينها. وظن كثيرون من الإندونيسيين فضلا عن الهولنديين أنها لن تتحقق. ومن عجيب الأمر أن اثنتين من الأعداء الأجانب — هولندة واليابان — هما صاحبتا الفضل فى تحقيقها.

ربما كانت وحدة النظام الهولندى داخل مستعمرتهم هى السبب الأساسى فى وجود جمهورية إندونيسيا اليوم. ولو ترك الأمر للإندونيسيين وحدهم دون أن يكون هنالك نظام هولندى مركزى لكان من المحتمل جدا أن تسلك الجزر فى أنظمتها مسلكا مختلفا بالرغم من وحدة الجزر فى حياتها الثقافية عامة.

ولقد بذل الهولنديون كل ما وسعهم لمنع الاتحاد الإندونيسى. والمثال على ذلك أنهم حرموا استعمال كلمة "إندونيسيا"، وكانوا بين وقت وآخر يحرمون استعمال اللغة الوطنية فى نموها، ولكنهم لم يكونوا يستطيعون القيام كمديرين استعماريين دون اتباع نوع من الوحدة التى يضطرون إليها فى المعاملة وهو النظام الذى اقتبسه الإندونيسيون.

ولكن إذا كان الهولنديون قد وضعوا الأساس فإن اليابانيين هم الذين حددوا الوقت المناسب، لأن غزو اليابانيين لجزر الهند فى سنة ١٩٤٢ وحوادث الحرب العالمية الثانية أسرعت بحدوث الاتحاد والحرية. فلولا اليابانيون لاستطاعت

هولندة فى رأى كثيرين من الهولنديين أن تضع نظاما للحكم الذاتى داخل نظام هولندى مثل الكومنولث البريطانى، على أن الهولنديين تأخروا فى الأمر طويلا ولو أن أصحاب هذا النظام الإصلاحى سمح لهم بأن يفعلوا ما يشاءون لما استطاعوا أن يعوضوا الوقت الذى ضاع بتردد الهولنديين، فى حين كانت الهند البريطانية مثلا تستعد للحرية.

وفى تطور الحرب العالمية الثانية احتل الألمان هولنده فى سنة ١٩٤٠، وكان احتلال اليابانيين لجزر الهند الشرقية، وتعهدات الدول بموجب ميثاق الأطلنطى واعلان الأمم المتحدة، كل ذلك يؤكد أن النظام القديم للأمور لن يستأنف بعد الحرب، وكانت المسألة الكبرى عما إذا كان يفرض نوع من الإشراف الهولندى مرة أخرى أو تكون إندونيسيا حرة تماما، هذا إذا كانت الشيوعية لاتقضى على الحرية وعلى الاستعمار الرأسمالى معا.

وفى بدء الحرب العالمية الثانية شعر بعض الوطنيين الإندونيسيين أن نوعا من التحالف الآسيوى سيؤدى إلى تخلصهم من قبضة الهولنديين. وقال هؤلاء الناس أنه لاشأن لهم بالحوادث التى تجرى فى أوربا.

ورأى آخرون أن نظام هتلر يهدد الحرية فى كل مكان، وكانو يؤمنون بمبادىء ميثاق الأطلنطى الذى وقعه الرئيس روزفلت ورئيس الوزراء البريطانى تشرشل ثم وقعته دول أخرى من بينها هولندا، بل أن العلامات التى بدأت تشير إلى أن اليابان، وهى الدولة الآسيوية الكبرى، ستنضم إلى جانب ألمانيا، لم توقفهم فى تأييد الحرب ضد هتلر، فكانوا معارضين للهولنديين ولكنهم غير معارضين للحلفاء.

وحتى قبل بيرل هاربر ودخول أمريكا الحرب، كان اليابانيون يتحركون جنوبا إلى مواطن البترول والمطاط والقصدير والمواد الغذائية فى الجنوب الشرقى لآسيا، وكان من البين أن غزوا سيتم، وكان من الواضح تماما أن القوات الصغيرة

للحلفاء لن تستطيع صد اليابانيين، وفضلا عن ذلك كانت هنالك أسطورة قديمة تزعم أن شعبا قريب الشبه باليابانيين سيأتى يوما ليطهر أرض إندونيسيا من الغزاة الأجانب.

كان الغزو اليابانى فى سنة ١٩٤٢ وتم الاستيلاء على الجزر سريعا وطرد اليابانيون الهولنديين وغيرهم من قوات الحلفاء أو أسروهم وتولوا جميع الأمور فى الجزر، وأظهر اليابانيون فى الحال أنهم متحمسون جدا لفكرة استقلال إندونيسيا، وقالوا أنهم جاءوا ليخلصوا السكان المساكين من قسوة الحكم الأوربى.

وكان عند الإندونيسيين مواضع شكوى حقيقية كما رأينا، فكان للدعاية اليابانية تأثير كبير فى النفوس. وتألفت جمعيات ووحدات عسكرية تحت رعاية اليابانيين وكانت تعلن عن مراميها فى بيانات خلابة لا ريب فى أن يرضى عنها المواطن الإندونيسى.

وفهم كثيرون من الإندونيسيين الحيلة فى الحال، ورفضوا الاتصال بمثل هذه المنظمات، ولكن كثيرين اشتركوا فيها، البعض لأطماع فى نفوسهم والبعض لأنهم خدعوا ، والبعض لأنهم ظنوا فيها الطريق إلى الحرية نهائيا.

وكان من بين هذه الجماعة الأخيرة اثنان هما أشهر رجال إندونيسيا قاطبة وهما: سوكارنو وحتى، اللذان صارا فيما بعد رئيسا للوزارة ونائب الرئيس للجمهورية.

وقد فعل هذان "المتعاونان" ذلك عن قصد وباتفاق مع كثيرين من أبرز زعماء الثورة، وكانت الفكرة أن البعض يكونون متعاونين فى الظاهر مع اليابانيين، ويقوم البعض بحركة سرية خفية، والبعض يقصدون التلال حيث ينظمون عصابات قتال على الطريقة التى ألفها الإندونسيون من زمن بعيد.

وكما كان الأمر فى حركات المقاومة فى أوربا فى أثناء الاحتلال الألمانى لعب الشيوعيون دورا كاملا ونافعا إلى جانب غير الشيوعيين أكثر الوقت، و لم

يتحولوا إلا بعد ذلك الى غرضهم الأساسى، وهو خدمة الشيوعية العالمية قبل قضية الحرية فى إندونسيا، وإلى ذلك الوقت كان مرماهم الأول التخلص من اليابانيين، والثانى منع عودة الهولنديين، والأخير تقرير نوع الحكم الذى تريده البلاد، وفى تلك اللحظة كانت الآراء البعيدة موضوعة إلى جانب.

ثم تجلى قليلا قليلا أن غرض اليابانيين هو التسلط ووضع إندونيسيا تحت عبودية لم يحلم بها الهولنديون، وبالرغم من أن اليابانيين كانو أخوة آسيويين ويؤدون الأسطورة القديمة عن المنقذين الصفر الوجوه، إلا أن الإندونيسيين تحققوا قبل نهاية الحرب بزمن طويل أن الحياة فى ظل حكومة خاضعة يقيمها اليابانيون ستكون أسوا وأقل جاذبية من الحياة تحت الحكم الهولندى.

ولما اقتربت نهاية الحرب حاول اليابانيون أن يحسنوا الأمور بأن يتقدموا بالاستقلال للإندونيسيين ولكن جماعة قوية من الوطنيين كانت تعارض فى قبول أى شيء على سبيل الهدية من جيش غزا البلاد، وقامت مناقشة كبيرة بين الزعماء، وفى إحدى اللحظات خطف سوكارنو وحتى، ليحال بينهما وبين إصدار بيان لا يوافق عليه الزعماء الاخرون. وأخيرا اتفق أكثر الزعماء، وقرأ سوكارنو بيانا قصيرا تعلن فيه إندونيسيا إستقلالها فى ١٧ من أغسطس سنة ١٩٤٥ وقد حصن الإندونيسيون المؤيدون أنفسهم فى محطات الراديو والتلغراف ليبلغوا النبأ إلى جميع أنحاء البلاد.

بدأت جمهورية إندونيسيا أولى خطواتها. وكان السؤال هو كيف تستطيع العيش طويلا بين الأخطار الكثيرة التى تهددها. فالهولنديون يريدون استرداد مستعمراتهم، والشيوعيون يريدون أن يتولوا أمور الثورة خدمة لأغراضهم، ولم يكن أحد يعرف ما إذا كانت المناطق المختلفة تتفق حقا لتأليف وطن واحد.

النضال فى سبيل الحرية:

إن اعلان الاستقلال أمر ، إلا أن تثبيته فى الواقع أمر آخر يختلف اختلافا كبيرا، كما يعرف الأمريكيون والإندونيسيون من تاريخ نضالهم من أجل الحرية. فإعلان الرئيس سوكارنو فى سنة ١٩٤٥ كان بدء نضال مرير ظل أكثر من أربع سنوات قبل أن يكتسب الاستقلال الحقيقى.

أراد الهولنديون بطبيعة الحال أن يعودوا إلى إدارة مستعمرتهم فى أسرع وقت ممكن، وظنوا أن أمريكا وبريطانيا وغيرهما من الحلفاء فى القتال ضد ألمانيا واليابان لابد أن يعاونوهم على مقصدهم ، وكان الشيوعيون فى هذه الأثناء يتحدثون عن الاستقلال للبلاد ولكنهم فى الواقع يريدون أن يضموها تحت زعامة الاتحاد السوفييتى، وكأن ذلك لم يكن بكاف لجمهورية ناشئة. فقد أخذ الإندونيسيون يختلفون بعضهم مع بعض على مستقبل بلادهم الجديدة، وكان البعض مخلصين فى وطنيتهم ولكنهم يختلفون فى الوسائل ، والبعض يحاولون السيطرة الشخصية أو الوصول إلى غرض خاص.

فبينما كان اليابانيون هم المسيطرين على الجزر كان القائمون بالمناوشات ورجال المقاومة الخفية من الإندونيسيين يدبرون ثورة يكون وقتها غزو الحلفاء المنتظر. ولما جاءت الأنباء بتسليم اليابانيين للحلفاء بقيادة الجنرال ماك آرثر فى أغسطس سنة ١٩٤٥ بسبب القنابل الذرية، وكان ذلك قبل أشهر من الموعد المنتظر تحرك الإندونيسيون لنزع السلاح من الجنود فى الجزر.

ولكن القيادة العليا للحلفاء لم تكن تقدر قوة الحركة الاستقلالية فأخبرت الجنود اليابانيين فى الجزر أن يحتفظوا بأسلحتهم ويحافظوا على النظام وينتظروا وصول قوات الحلفاء قبل التسليم. وكان من الصعب على الإندونيسيين أن يفهموا ذلك بعد انتظارهم طويلا، ولكن كان أمامهم ماهو أسوأ من ذلك.

جاء الجنود البريطانيون فى البداية و لم يكن الإندونيسيون ليستاءوا منـــهم على أن الجنود الهولنديين بدأوا يصلون تحت حماية البريطانيين، وطلب الهولنديون اعتقال سوكارنو وأخذوا يحاولون اقناع حلفائهم بأن حركة الاستقلال المزعومة ان هى الا مؤامرة يابانية، وأن الزعماء الإندونيسيين إن هم إلا ألعوبة وخونة.

ووقعت اثر ذلك حوادث محزنة لاسيما فى القتال المرير فى سورابايا حيث لم تستطيع الحكومة الوطنية مقاومة قوات نصف منظمة انقضوا عليها، وارتكبت فظائع من الجانبين.

وبعد مناقشات طويلة وبعض القتال عقدت هدنة بين الإندونيسيين وبين الهولنديين فى نوفمبر سنة ١٩٤٧، وتبعها الاتفاق على تأليف "الولايات المتحدة الاندونيسية" وتكون جمهورية إندونيسيا إحدى ولاياتها. أما الولايات الأخـــرى الفدرالية، فهى حكومات نظمها الهولنديون من أقسام أخرى من الجـــزر. ورأى شعب الجمهورية فى هذا الاتفاق أنه مجرد فكرة لعودة الحكم "غير المباشر" القديم فى إطار جديد، وفى الشهور القليلة التالية كانت هنالك مناقشات ومباحثات عن طريقة تنفيذ الاتفاق، وفى يولية سنة ١٩٤٧ قام الهولنديون بهجوم واسع النطاق على أراضى الجمهورية.

وكان الفضل لهيئة الأمم المتحدة فى إنهاء هذا العدوان الحربى فى يناير سنة ١٩٤٨، ولكن بعد أن انتقصت أراضى الجمهورية واقتصرت على قســم مـــن جاوة وقطعة صغيرة من سومطرة. وكانت عاصمة الجمهورية فى جوجاكرتا، أما الهولنديون فبقوا فى بتافيا.

وبعد ذلك ببضعة أشهر اختار الشيوعيون القيام بثورة داخل الجمهورية، وشغل الزعماء كثيرا بالقضاء على الثورة الشيوعية بيد، ومحاولة حمل الهولنـــديين على الاحتفاظ بخطوط الهدنة باليد الأخرى.

ضيق على الجمهورية فى مساحتها الصغيرة، ونشط الهولنديون فى تنظيم الأقسام الأخرى فى الجزر، وكأن الأمور تسير بالأمة الاندونيسية مرة أخرى إلى آخر الطريق. وأخيرا توقفت المناقشات حول إتفاق الجمهورية، وأرسلت القوات الهولندية للسيطرة على الموقف.

وأسر الرئيس سوكارنو وغيره من الزعماء واحتلت المدن الكبرى فى جاوة، وكأن الستار يسدل نهائيا ولكن الإندونيسيين رفضوا التسليم.

وكان الزعماء الذين أخذوا إلى الأسر فى جوجاكرتا فضلا عن سوكارنو، منهم حتى وشاهرير وحاجى عجوز سالم، فمن هم هؤلاءالناس؟ وماهى صفاتهم؟ لعل الوقت مناسب لذكر بعض الوقائع عن هؤلاء الرجال الذين كان لهم تأثير قوى فى الشعب، حتى أنهم، وهم فى الأسر، كانوا قلب الثورة.

ان الرئيس سوكارنو له شهرة هو جدير بها بأنه من أعظم سحرة الجماهير فى العالم الحديث، وهو دائما أنيق الثياب، يتحلى بمظاهر القوة و"الاندفاع" مع إبتسامة جذابة، وله قوة تكاد تكون سحرية وتأثير عجيب فى تحدثة للجماهير، وقد ولد ليكون أستاذا للاجتماعات والحفلات، وفى بهجة ونشاط يقبل أية فرصة ليكون منظما لاجتماع أوحفلة غناء أو حفلة رقص شعبى أو ثورة. وهو — على أنه رئيس جمهورية — يفضل أن يدعى "بنج سوكارنو" وكلمة بنج معناها أخ، وتستعمل لدعوة خدم المطاعم أو أمثالهم، وصارت رمزا للمساواة فى أثناء الثورة.

درس سوكارنو ليكون مهندسا، ولكن يشار إليه أحيانا بلقب ايرسوكارنو، أى المهندس سوكارنو، ولكن مهنته الحقيقية هى الزعامة، وكثيرا ما يستعمل الغربيون اسمه الأول وهو أحمد فى الكلام عنه، إذ لا يألفون العادة الاندونيسية بإطلاق اسم واحد، على أن أكثر مواطنيه لايشير إليه إلا باسم بنج سوكارنو.

ويقول خصومه انه كان مثيرا للغوغاء، وباحثا عن السلطة بالتأثير فى الجماهير، ويرى المعجبون به أنه عبر حقا عن آراء الشعب وآماله، وأنصاره على كل حال هم جمهرة الشعب أكثر من الإندونيسيين الذين تثقفوا فى الغرب، وكثيرون منهم كانوا غير راضين عن قبوله المساعدة الشيوعية.

ومهما تكن نتائج السياسة التى يتبعها سوكارنو فيما بعد، فيجب ألا ننسى أنه الرجل الذى عمل أكثر من أى انسان آخر على ضم أجزاء الوطن، وقاده فى خطوب الثور، وأنه هزم الثوار الشيوعيين والمستعمرين الهولنديين وحافظ على إندونيسيا دولة مستقلة.

ومحمد حتى هو مثال المتعلم المثقف، منطقى فى تفكيره، وله تأثير كبير فى المثقفين، وكان شريك سوكارنو من مدة طويلة فى الثورة، وكان زميلا متآلفا معه، وكانا معا هما البطلين الأساسيين لحركة الاستقلال، وقد عمل "حتى" وهو طالب جامعى فى هولندة على تاليف جمعية الاستقلال الإندونيسى، وبعد اعتقال الهولنديين لسوكارنو عاد "حتى" الى جزر الهند فى سنة ١٩٣٢، وتولى إدارة ذلك القسم من حركة الحرية الذى صار فيما بعد رأس الحركة وقلبها، واعتقل هو بعد ذلك بسنتين وظل معتقلا ثمانى سنوت، أولا فى مركز ناء من جزيرة غينيا الجديدة يقع فى الغابة، ثم فى إحدى جزر باندا.

وكان سوكارنو وحتى متزاملين فى أثناء الثورة والأيام الأولى من الجمهورية حتى صار يجمع بين إسميهما فيقال "سوكارنو — حتى" فى التعبير حتى لكأنهما اسم واحد، وكان من الطبيعى فى أوقات مختلفة أن يلقب "حتى" بلقب نائب رئيس الجمهورية، أو رئيس الوزارة، وأن يكون العامل الأساسى فى توجيه السياسة الوطنية فى لحظات حرجة كثيرة. وقد استقال من منصب نائب رئيس الجمهورية سنة ١٩٥٦، وانتقد سوكارنو علنا فى بعض الإجراءات فى السنوات

الأخيرة، وهذه القطيعة بين الزعيمين الكبيرين مصدر حزن للكثير من الإندونيسيين.

وكان سوتان شاهرير أحد الزعماء الذين اعتقلوا حين أرسل الهولنديون حملة عسكرية إلى جوجاكرتا سنة ١٩٤٨ رفيقا لحتى فى السجن والاعتقال، وكان أيضا طالبا جامعيا فى هولندة، وعاد إلى وطنه، ورسائله المؤثرة الجذابة إلى زوجته الهولندية التى نشرت بأمريكا فى ترجمة إنجليزية تحت عنوان "من خارج الاعتقال" تظهر عمق التجربة الروحية والثقافية التى مر فيها الرجلان.

وقد شغل شاهرير منصب رئيس الوزارة ثلاث مرات، وكان مفاوضا اساسيا مع الهولنديين ، وكان أهم الإندونيسيين جميعا فى اعلان قصتهم للعالم حين جاء إلى نيويورك ليعرض القصة على الأمم المتحدة.

وكان قبول شاهرير للعوامل الوطنية لدى سوكارنو التى دفعت به للتعاون البارز مع اليابانيين فى أثناء الحرب أمرا مقنعا، لأن شاهرير نفسه اختار الطريق الخطر وهو المقاومة السرية، وكان له تنظيمه الذى يدير وهو يتنقل فى أنحاء جاوة ويزعم أنه من العمال عند أحد أقاربه، وكان على صلة بالجماعات الأخرى، .ومنها الشيوعيون، وكان يجتمع سرا بحتى فكان المتعاونون والمقاومون يعرفون بذلك ما يعمله كل منهم.

وقد توفى حاجى عجوز سالم فى سنة ١٩٥٤، وكان الرجل الشيخ العظيم فى الاستقلال الاندونيسى، وكان — على إسلامه — تقيا حج بيت الله سبع مرات إلا أنه كان متيقظا لكل اتجاه جديد فى الدراسات العالمية، وقد ألقى محاضرات فى عدد من الجامعات وكان الكثيرون من الذين يعرفونه فى العالم يلقبونه بالسيد "إندونيسيا" . وكان يجمع بين الحضارة الحديثة والتقوى فى موقفه نحو الديانة الإسلامية ، وقد ساعد على حماية الفرع الإسلامى من حركة الاستقلال من الوقوع فى الشيوعية، فهو بجسده الضئيل ووجهه الذكى المرح كان يمثل صفات

الذكاء مع النزاهة وهى صفات يقدرها جميع الإندونيسيين، وقد شغل منصب وزير الخارجية عدة مرات ومثل بلاده خير تمثيل أمام العالم.

اعتقل الهولنديون هذه الجماعة، ولكن الثورة استمرت يقوم بها آخرون فى شجاعة، وقد ألفت حكومة مؤقتة فى سومطره بعيدة عن أيادى الهولنديين وظل القتال مستمرا فى شجاعة بجاوة تحت قيادة الجنرال سوديرمان الذى كان مريضا فى آخر أيام الحياة، ومع ذلك استمر يقود الجنود حتى بعد أن بلغ به المرض مبلغا اضطر معه أن يحمل من مكان إلى مكان.

وكان فى كل مرة يعرض فيها الهولنديون عقد هدنة يطلب الإندونيسيون إطلاق سرح سوكارنو وزملائه أولا، والموافقة على عودة عاصمة الجمهورية إلى جوجاكرتا، ونشطت من جديد لجنة الأمم المتحدة التى كانت قد عينت من قبل، وكان الإندونيسيون يتساءلون أحيانا تحت الحاح الولايات المتحدة الأمريكية، وبالرغم من أن الهولنديين يلومون أمريكا ويتهمونها بتأييد الإندونيسيين فى النضال، فإن الإندونيسيين يرون أن الأمريكيين لايفهمون الأحوال فى جزر الهند الشرقية تماما، ولذلك كثيرا ما قبلوا مزاعم الهولنديين فى سهولة وكانوا يضغطون على الجمهورية فى مواضع تقضى بأن يتمسكوا بها.

وكان الرأى العام فى أمريكا من مبدأ الأمر مؤيدا للجمهورية كل التأييد، ولكن الحكومة الأمريكية كانت مهتمة بالدفاع عن أوروبا أمام التهديدات الحربية الروسية وأمام اجتياح الشيوعية للدول الأوروبية الضعيفة، لذلك لم تكن تريد أن تفعل شيئا فى جزر الهند قد يضعف هولندة فى موطنها. على أن الإندونيسيين وأصدقاءهم من الولايات المتحدة كانوا يقولون ان آلاف الجنود ومئات الملايين من الدولارات التى يستعملها الهولنديون فى محاولتهم احتلال جزر الهند من جديد قد تستعمل على وجه أفيد فى أوربا، ثم أوضحوا أن المال الذى تصرفه هولندة

على الحركات العسكرية فى جزر الهند يكاد يكون معادلا لمجموع الاعانات التى تأتيها من أمريكا بموجب نظام مارشال.

ولما عرفت الحقائق فى أمريكا توجه الرأى العام بالطلبات ووجه بعضها فى مجلس الشيوخ الأمريكى بألا تساعد هولندة فى بلادها حتى يوقف الهولنديون قتالهم للإندونيسيين، أو على الأقل يعودوا إلى الخط المتفق عليه فى الهدنة.

وفى الوقت ذاته أعلنت دول آسيوية كانت من قبل لاتتدخل مطلقا فى أمور العالم تأييدها لإندونيسيا وانتهز الاتحاد السوفييتى الفرصة وهو دائما يحب أن يقف موقف الصديق للشعوب الآسيوية فأبدى تأييده الكامل أيضا.

وأخيرا تحت الضغط من جهات متعددة، أطلق سراح الزعماء وعادوا إلى جوجاكرتا، وعقد مؤتمر بين الإندونيسيين والهولنديين فى لاهاى، وهنالك فى ٢ من نوفمبر سنة ١٩٤٩ تم توقيع اتفاق يعترف بجمهورية إندونيسيا كدولة ذات سيادة فى جميع جزر الهند الشرقية الهولندية سابقا فيما عدا غينيا الجديدة التى يؤجل أمرها لمفاوضت تالية. ويكون بين الدولتين اتحاد إندونيسى هولندى تحت الزعامة الرمزية لملكة هولندة على النسق تقريبا الذى تشترك فيه أستراليا أو كندا، وكل منهما حرة مستقلة فى الكومنولث البريطانى ، وبعد سنوات أصبحت إندونيسيا حرة.

وفى ٢٧ من ديسمبر سلمت إندونيسيا السيادة على بتافيا فغير اسمها فى الحال وصارت تعرف باسم جاكرتا، وهو نوع من التعديل فى الاسم القديم الذى كان يطلق على جاوة.

وكان الذى يمثل الجمهورية فى احتفال التسليم رجلا من أمتع الشخصيات بين الإندونيسيين فى هذا العصر هو سلطان جوجاكرتا، واسمه الملكى هيمنجكوبونو التاسع، وكانت خدماته العامة قد جعلت منه بطلا وطنيا بالرغم من عداء الجمهورية للملوك.

هذا السلطان من نسل سلسلة طويلة من الملوك الإندونيسيين، ونشأ تحت تقاليد الحكم الاستبدادى (لايخضع إلا لموافقة الهولنديين وحدهم)، ولكنه برهن على تشبثه بقواعد الديمقراطية. وبينما كان بعض الملوك الآخرين يدبرون مع الهولنديين للقضاء على الثورة ليستعيدوا عروشهم كان سلطان جوجاكرتا يضع فى شجاعة خطة مع الجمهورية، ورفض أية مناقشة مع الهولنديين إلا فى جلائهم عن البلاد.

وفى أثناء الحملات العسكرية للهولنديين كان السلطان يعمل بصفة كولونيل فى الجيش الوطنى الإندونيسى، ثم عمل فيما بعد وزيرا للدفاع ونائب رئيس وزراء فى وزارة أخرى، وهو يهتم اهتماما خاصا بمشكلات الشباب، ومن خدماته أنه زعيم لحركة الرواد.

وكان أهم أعمال الوطنيين تحت زعامة سوكارنو أنهم ألفوا بين جميع الإندونيسيين من أية جزيرة فصاروا وحدة متآلفة، فالفلاح من منطقة نائية صار مواطنا للجمهورية مع السلطان.

ومن الاتجاهات الجديرة بالذكر دفع النساء إلى الاشتراك فى الحياة العامة، فكان لهن دور هام فى حركة التحرير. وكثيرا ما تميزن بالشجاعة بل البطولة. وقد صار للنساء منذ الاستقلال دور يزداد أهمية على مر السنين فى حياة الجمهورية.

وقد شغلت سيدة قديرة هى السيدة ماريا الفة ماتنوزو منصب وزيرة للشئون الإجتماعية فى إحدى الوزارات الأولى. ولعلها على الراجح أولى النساء اللاتى شغلن منصبا وزاريا فى أية دولة إسلامية، وعملت فيما بعد كمساعدة تنفيذية لرؤساء الوزارة الواحد بعد الآخر ولو أنهم كانوا من أحزاب مختلفة، وكثيرا ما كانت بحق مفتاحا حقيقيا لسير الأمور فى الحكومة الاندونيسية.

وقد صار عدد يستحق الذكر من النساء أعضاء فى المجلس الوطنى، كما عمل بعضهن أعضاء فى وفود الأمم المتحدة أو غيرها من الأعمال. وفى كل أقسام الحكومة نجد إدارات تديرها النساء.

وقد رأينا من قبل أن الدين الإسلامى قوة مساعدة على بقاء البلاد كوحدة ، ولكن فى الوقت ذاته نرى الآراء الإسلامية الحديثة تساعد حركة العدالة الاجتماعية، ولكن كان هنالك ولايزال جماعة إسلامية متطرفة — لاسيما الجماعة المعروفة باسم دار الإسلام — هذه الجماعة تعتقد فى استعمال الشدة والعنف لمحاولة قلب الجمهورية إلى دولة دينية صرفة، وهذه الجماعة قاومت السلطة المدنية، وهى تتسلط فى الريف حيث تجد أنصارا، وقد استطاعت مقاومة الحكومة عدة سنوات لاسيما فى سومطرة الشمالية وبورنيو وسلبيس وجبال غرب جاوة.

وخفتت سطوة الشيوعيين بعض الوقت — لاسيما بعد إخفاقهم فى ثورة سنة ١٩٤٨ — ثم اضطراب الأنصار بسبب التحولات البراقة التى أقدم عليها الزعماء فى خطوط "اتجاه الحزب" . على أنه فى السنوت الأخيرة — لاسيما بنمو عدم الرضا العام عن أخطاء الحكومة — زاد أنصار الحزب الشيوعى زيادة كبيرة، وفضلا عن ذلك يظهر أن الرئيس سوكارنو حكم يشجعهم باتخاذ "الحياد" ومجهوده فى السير على حبل سياسى وسط بين الأحزاب ، فهو كعدد من الزعماء الآسيويين يريد أن يبقى بمعزل عن الحرب الباردة بين الولايات المتحدة وروسيا السوفييتية، وفى الوقت ذاته يحافظ على تأييد وصداقة القوتين الكبيرتين.

ومما لاريب فيه أن أغلب الإندونيسيين كانوا يؤيدون سياسة الحياد فى الأمور الخارجية، وبينهم كثيرون من الذين يكرهون الشيوعية، فهم يريدون أن يكون ولاء إندونيسيا لنفسها لا لأية دولة أجنبية.

على أن بعض الاتجاهات السياسية للرئيس أثارت مناقشـات كـبيرة فى البلاد لاسيما فكرته عن الديمقراطية الموجهة. فليس لهذا النوع من النظام مثيل فى الغرب كما نعلم، وفيه توضع قيود على الأحزاب وقيود على حرية الكلام وعلى الصحافة.

وقد أيد الشيوعيون هذه الفكرة. ويرى المدافعون عن فكـرة الـرئيس سوكارنو أنه بالرغم من ذلك فإن سياسته هى الوحيدة التى تحول دون الشيوعيين وسيطرتهم على الحكومة.

وإندونيسيا أيضا فى متاعب جدية من الوجهة المالية، فقد اتبع الاحـتلال سياسة "تجفيف الأرض" لاستخدامها فى قتال الهولنديين فى أجزاء مـن جـاوة وسومطرة، وكان حصار الهولنديين لأراضى الجمهورية كـبير الضـرر، ومـن الطبيعى أن ينقص انتاج الطعام وتقل كذلك موارد الدخل الأجنبى (مثل المطاط والبترول وغيرهما).

ثم حلت الفترة الصعبة فى بدء الجمهورية الجديدة، ثم تبعتها فترة محاولـة الإندونيسيين الذين لم يتدربوا جيدا على أن يحلوا محل الاخصـائيين الهولنـديين الذين انسحبوا أو طردوا نتيجة النزاع والشقاق بين الدولتين. وكان كثيرون من الإندونيسيين يرون أنه ليس من الحكمة الاستغناء عن العمالة الهولنديـة علـى العمال الهولندية قبل أن يكون هنالك عدد كاف من الوطنيين المـدربين علـى إدارتها.

وأخيرا فى سنة ١٩٥٨ قامت ثورة سافرة فى سومطرة يتزعمهـا رجـال قاموا بخدمات هامة للجمهورية من قبل، مثل محافظ بنك إندونيسـيا ومـدير الجامعة وزعيم أحد الأحزاب السياسية الهامة، وبدا للعيـان كـأن جمهوريـة إندونيسيا توشك أن تتفكك.

ولكن كما حدث كثيرا فى الماضى كانت إندونيسيا تضمر مفاجآت للعالم فقد تحركت الحكومة ولاسيما الجيش فى سرعة ومهارة. والرغم من أن وحدات من الجيش إنضمت للثوار إلا أن الثورة أخمدت سريعا وفر الزعماء إلى التلال أو إلى سنغافورة أو هونج كونج وسيطرت الحكومة مرة أخرى على البلاد.

ويجب أن نلاحظ فى عناية الدور الذى قام به الجيش فى هذا الحادث وفى الحوادث الأخرى منذ الاستقلال. فتحت القيادة النشيطة الرشيدة للجنرال ناسوتيون القائد الأعلى ، وهو رجل مسلم تقى، كان الجيش نوعا من عجلة الميزان فى الحياة السياسية الاندونيسية. ويعتقد الكثيرون أن نفوذ الجيش واتجاهه الدينى والديمقراطى هما اللذان حالا دون استيلاء الشيوعيين على الحكم فى الأزمات الكثيرة الحديثة.(٦٠)

لقد استطاع الإندونيسيون — بالرغم من جميع المتاعب من حرب وثورة واحتلال ومجاعة وفساد وتهديد التسلط الشيوعى — أن يصمدوا، وأظهروا شجاعة ومقاومة وصبرا وأملا.

فهنالك مبدآن إندونيسيان قديمان جدا لايزالان يقومان بدور فى حياة هذا الشعب : أحدهما فكرة "جوتنج روجنج" أو "تبادل التعاون" وهو مبدأ لا يزال حيا بينهم ، فبالرغم من النضال المستمر لكى يجد الشخص الطعام الذى يأكله فهو يقول : "قد تموت القرية جوعا ولكن لا يجب ألا يموت الفرد وحده" فهذا التعاون بين الناس يقضى بأن يتقاسم الناس، سواء فى الخير أم فى الشر.

والقاعدة الأساسية الأخرى هى "المشاورة" . وقد يكره الأوربى هذه الكلمة لأن معناها عنده ليست كمعناها عند الإندونيسى.

فالرجل غير الصبور يفهم المشاورة على أنها مجرد الكلام طول الوقت دون أن يعمل شيئا.

ويظن بعض الأجانب أن هذين المبدأين من نقائض الحياة الاندونيسية، ولكن من المحتمل أن مبدأى جوتنج روجنج ومشاورة هما لب الديمقراطية فى إندونيسيا، وقد يكونان مختلفين كل الاختلاف عن الطرق الغربية، ولكنهما قد يعبران تعبيرا أمينا عن آراء جيفرسون التى ساعد الرئيس سوكارنو على انتشارها بين الناس فى إندونيسيا. (٨٢).

وفى عام ١٩٦٥ وقع انقلاب شيوعى ضد سوكارنو، ولكن أمكن لسوكارنو إسقاط هذا الإنقلاب، ولكن أمكن للقائد العسكرى الذى قضى على الإنقلاب (سوهارتو) اعتلاء السلطة خلفا لسوكارنو(٨٣).

وفى السنوات الأخيرة تواجه إندونيسيا مشكلات داخلية إثنية وعقائدية داخلية، كما تتعرض لمؤامرات خارجية مغرضة، ونتمنى أن تنجح هذه الدولة الإسلامية الكبرى فى أن تتخطى هذه المشكلات، وتحتل المكانة اللائقة بها فى منطقة الشرق الأقصى.

الفصل السابع

تطور تاريخ فيتنام الحديث والمعاصر

تمهيد

تقع الهند الصينية فى جنوب شرق آسيا، وتطل على بحر الصين الجنوبى، وخليج تونكين من الشرق، وتمتد فى الغرب إلى بورما، وتتصل حدودها الشمالية بحدود الصين. كما تمتد منها تجاه الجنوب شبه جزيرة الملايو، وتحيط بها من الجانب البحرى جزيرة تايوان أو فرموزا، ثم مجموعة جزر الفلبين، ثم جزر إندونيسيا فى الجنوب، حيث تكمل القوس الكبير الذى يفصل بحر الصين الجنوبى عن المحيط الهادى.

أما فيتنام فانها تحتل الجزء الشرقى من شبه جزيرة الهند الصينية، على شكل قوس كبير يتسع فى الشمال وفى الجنوب، وتتاخمها فى الشمال الصين، حيث تتصل حدودها بحدود مقاطعتى يانان وكوانجسى، وتتاخمها فى الغرب لاوس وكمبوديا، وتطل سواحلها الجنوبية والشرقية على بحر الصين الجنوبى والخلجان الممتدة منه، ويتميز ساحلها الطويل بكثرة التعاريج التى تساعد على قيام الموانى.

وإذا ما نظرنا إلى شبه جزيرة الهند الصينية بصفة عامة نجد أن سطحها يتكون من سلسلة مرتفعات أنام التى تمتد من الشمال إلى الجنوب تاركة سهلا ساحليا ضيقا فى شرقها، وتنحدر تدريجيا تجاه الغرب، حيث تقع هضاب لاوس، ثم سهول كمبوديا فى الجنوب. ويجرى فى غرب جبال أنام نهر الميكونج الذى يبلغ طوله نحو ٢٧٠٠ كم، وينبع من مرتفعات التبت وسط آسيا، ثم يمر بمنطقة يانان الصينية، ثم يجرى فى الجزء الشمالى من لاوس فى منطقة جبلية وعرة، ويمر بمنطقة واد صغير حول مدينة لوانج برابانج، وفى جزء كبير من مجراه الأوسط يمثل الحدود السياسية بين لاوس وتايلاند (سيام) ويدخل بعدها إلى سهل كمبوديا. ويتصل بنهر الميكونج فى أرض كمبوديا عدة روافد أهمها نهر كويج الذى ينبع من مرتفعات أنام، ونهر سى الذى ينبع من الشرق من أراضى تايلاند. وتتوسط سهل كمبوديا بحيرة توتلى ساب التى يتصل المجرى الخارج منها بنهر الميكونج

عند مدينة بنوم بنه عاصمة كمبوديا. ويخرج الميكونج من حدود كمبوديا ليدخل منطقة كوشين الصين، التي تكون السهل الجنوبى لفيتنام، حيث تتكون دلتا هذا النهر العديد الفروع.

وإلى الشمال من فيتنام تقع منطقة مرتفعات يانان فى جنوب الصين، حيث ينبع النهر الأحمر (سونج هونج) ورافداه الرئيسيان النهر الأسود (سونج دا) والنهر الصافى (سونج لو).

ويبلغ طول سونج هونج ١٢٠٠ كم منها فقط ٥٠٨ كم فى داخل أراضى فيتنام، بينما نجد أن الجزء الأكبر من مجرى نهر سونج وسونج لو واقع فى داخل فيتنام. وتتجمع مياه هذه الأنهار الثلاثة مسافة بضعة عشرات من الكيلو مترات شمال هانوى، ثم تعود فتتفرع قرب هانوى إلى فروع تكون الدلتا العظيمة الخصبة المعروفة بدلتا تونكين.

وإلى جانب هذين النهرين الكبيرين، يجرى فى فيتنام عدد من الأنهار الصغيرة تنبع من مرتفعات أنام وتتجه نحو بحر الصين الجنوبى، وأهم هذه الأنهار "سونج ما" الذى يصب عند ثان هو، وسونج كا الذى يصب عند أنجيبان. أما بقية الأنهار الساحلية، فانها صغيرة للغاية، لاتعدو أن تكون مجارى تحمل السيول من المرتفعات إلى السهل الساحلى.

وتتميز فيتنام بتنوع مظاهر السطح فيها، ففى شمالها توجد المرتفعات الشمالية، وتعرف باسم فيت باك، ويتراوح ارتفاعها بين ١٠٠٠، ٢٠٠٠م فوق سطح البحر، كما توجد المرتفعات الشمالية الغربية وتعرف باسم تاى باك، وتعتبر سلسلة جبال هوانج لين سون أعلى هذه السلاسل الجبلية، وتبلغ أقصى ارتفاعها عند قمة فانسيبان التى تصل إلى ٣١٤٠ م فوق سطح البحر.

ويؤثر امتداد فيتنام الطويل على طول مسافة تزيد على ١٠٠٠كم بين هانوى وسايجون، وموقعها فى الاطراف الجنوبية الشرقية للقارة الأسيوية بين كتلة

الصين القارية فى الشمال، وامتداد القارة فى الشمال الشرقى من جهة وبين المساحات المائية الواسعة فى شرقها وجنوبها من جهة أخرى، يؤثر ذلك فى المناخ تأثيرا واضحا، فبينما نجد أن المناطق الشمالية تتعرض لشتاء بارد وصيف حار، نجد المناطق الجنوبية تتميز بارتفاع الحرارة طول العام لقربها من خط الاستواء. وكان لهذا كله أثره فى تنوع الحياة النباتية بين شمال وجنوب فيتنام [٨٤]. وقد شملت الهند الصينية الفرنسية الأراضى الواقعة فى المثلث الجنوبى الشرقى لأسيا، والتى امتدت من الصين شمالا حتى خليج تايلاند جنوبا، وضمت كلا من تونكين (فيتنام الشمالية) وأنام (فيتنام الجنوبية) والصين الكوشينية، ولاوس ، وكمبوديا [٨٥].

وقد تأثرت الهند الصينية بحضارتين مختلفتين، الحضارة الهندية والحضارة الصينية، وقد ظهر التأثير الهندى بوضوح فى الاجزاء الغربية، أى فى سيام وبورما، بينما امتد التأثير الصينى فى الجهات الشرقية أى فى الهند الصينية الفرنسية، مما كان له أثره الواضح فى الصراع الذى دار بين فرنسا والقوى الوطنية فى المنطقة، ولاسيما فى تونكين وأنام، فقد نظرت تلك القوى للصين على أنها الحليف القوى ضد العدو الأوربى.

وإذا تحدثنا عن بداية الاتصال الأوربى بالهند الصينية، فينبغى أن نذكر أن البرتغال كانت من أوائل الدول الأوربية التى قامت بعمليات الكشوف الجغرافية [*].

فرنسا والهند الصينية

اتخذ النشاط الفرنسى فى الهند الصينية منذ القرن السابع عشر طابعا صليبيا.. كما وكز الفرنسيون على منطقة من الهند الصينية، ألا وهى منطقة فيتنام بأقسامها الثلاث أنام (فيتنام الجنوبية) والصين الكوشينية، وتونكين (فيتنام

---

[*] انظر الفصل الأول من الكتاب

الشمالية). فطوال القرن الثامن عشر سعت فرنسا لتحقيق هدفين فى المنطقة، الأول نشر المسيحية، والثانى السيطرة التجارية، وبالتالى اتجهت أنظارها إلى جزيرة بولو كوندور لتكون مركزا للفرنسيين [٨٦] إلا أن الاهتمام الفعلى بهذه المنطقة من جانب فرنسا، بدأ يظهر بعد حرب السنوات السبع، بعد أن فقدت فرنسا الكثير من مستعمراتها، وتبنى دى شوازل وزير البحرية الفرنسية فى عام ١٧٦٨ فكرة إرسال حملة عسكرية إلى الصين الكوشينية، وكذلك وضع وزير الخارجية الفرنسى دى فرجين فى عام ١٧٧٥ خطة لارسال حملة إلى أنام، ولكن المشروع قوبل بالرفض من الحكومة. ثم جاء الدعم الفرنسى لحرب الاستقلال الامريكية، فتأجلت المشروعات الفرنسية فى الهند الصينية.

ولكن نتيجة للخدمات التى قدمها الفرنسيون للامبراطور جيالونج — وهو أول من وحد فيتنام بضمه تونكين إلى أنام فى دولة واحدة (١٨٠٢-١٨٢٠) — كان جيالونج منتميا لفرنسا لمعاونتها الكبيرة له، إلا أن خليفته منه مانج Mang (١٨٢٠-١٨٤١) كان يكره الأوربيين، ورفض عقد أية معاهدات تجارية مع فرنسا، كما رفض استقبال القائد البحرى الفرنسى دى بوجنفيل، وأنقطعت الصلات تقريبا بين الطرفين.

كما عمد منج إلى اضطهاد مواطنيه الذين اعتنقوا المسيحية، وأعدم الكثيرين من رجال الدين المسيحى.

وبعد وفاة منج تولى ثيو ترى Thieu - Tri الحكم (١٨٤١-١٨٤٧) فواصل سياسة سلفة فى اضطهاد المسيحيين فى بلاده. وكانت فرنسا قد حصلت منذ عام ١٨٤٤ على حق حماية البعثات الكاثوليكية فى الصين، واعتبرت نفسها حامية الكاثوليكية فى الشرق الأقصى.

وفى عام ١٨٤٧ قامت الحكومة الفرنسية بعمل حاسم ضد تيو تيرى، بعد أن قتل عددا من الأوروبيين، ورفض تسليم أعضاء حدى البعثات الكاثوليكية، فقامت السفن الحربية الفرنسية بضرب ميناء توران بالمدفعية .

فرنسا وضم الصين الكوشينية

استمرت سياسة اضطهاد أعضاء البعثات الدينية فى عهد الامبراطور تودوك Tu-Duc (١٨٤٨ — ١٨٨٣) فأصدر ثلاثة مراسيم فى أعوام ١٨٤٨ ، ١٨٥١، ١٨٥٥ باعدام أعضاء البعثات الدينية المسيحية، مما أدى إلى إزدياد التوتر بينه وبين فرنسا.

وقد أرسلت فرنسا حملة بالفعل بقيادة جونوبى، قامت بالاغارة على ميناء توران سنة ١٨٥٨، وعلى سايجون ١٨٥٩، إلا أن القوات الفرنسية خشيت من التوغل فى بلاد مجهولة بالنسبة لها، وفضلت التفاوض مع تودوك ، وظلت حالة التوتر بين الطرفين قائمة، إلى أن عقدت ماهدة مع تودوك، وقد وقعت المعاهدة فى ٢٦ مايو ١٨٦٢ فى سايجون، وافق فيها تودوك على تسليم ثلاث مقاطعات فى شرق الصين الكوشينية لفرنسا، وبدفع غرامة مالية، كما أنه سمح باعتناق المسيحية فى أراضيه، وبفتح ميناء توران للتجارة. وبذلك تكون الصين الكوشينية من أولى المناطق التى وضعت فرنسا يدها عليها مكونة مستعمرة فيها. وتأكد ذلك الوضع بمعاهدة فى ٥ مارس ١٨٧٤، اعترف فيها تودوك بالحماية الفرنسية على الصين الكوشينية (٨٧).

فرنسا وضم تونكين

الواقع أن فرنسا كانت حريصة على استبعاد نفوذ أية دولة أوربية فى المنطقة وخاصة بريطانيا، وقد جرت اتصالات فرنسية ألمانية، أكد فيها المسئولون الالمان أن اهتمامهم بالشرق الأقصى قاصر على التجارة، وأنه من مصلحة ألمانيا سيطرة فرنسا على تونكين لتأمين التجارة الالمانية، وواضح ان هذا الكرم الألمانى

تجاه فرنسا هو لابعاد فرنسا عن أوربا، وفتح مجالات خارجية لهـــاكى تنســى خسارتها للألزاس واللورين فى أعقاب حرب السبعين.

وفى يوليو ١٨٧١ اعتمد البرلمان الفرنسى ميزانية للعمليات العســكرية فى تونكين، وقد أثارت هذه الخطوة الصين، وبدأت بالفعل الحملة العسكرية الــتى تورطت فيها فرنسا واستمرت عدة سنوات، لأن فرنسا واجهت مقاومة عنيفــة أثناء تقدمها فى تونكين، وخاصة فى هانوى، وقد أسرع الامبراطور تــودوك إلى الاستنجاد بالصين، فأرسلت قواتها العسكرية، واحتلت ثلث مساحة تونكين.

وقد حاول السفير الفرنسى فى الصين تسوية النزاع، فتقدم بعدة اقتراحات للحكومة الصينية، منها إخلاء القوات الصينية لتونكين، وإنشاء وكالات فرنسية فى المنطقة، وأن يكون النهر الأحمر هو خط الحدود الفاصل بينهما. وقد تظاهرت الحكومة الصينية فى البداية بالموافقة، وسحبت بالفعل بعــض قواتهـــا فى ينـــاير ١٨٨٣، ولكن هذه القوات لم تمثل فى الواقع إلا نسبة ضئيلة من القوات الصينية فى تونكين، وظلت القوات الفرنسية تعانى هناك من هجمات المقاومة الوطنية.

وخلال هذه الفترة قتل الامبراطور تودوك، وقد قبــل الحـــاكم الجديـــد الامبراطور هييب هوا توقيع معاهدة حماية مــع الفرنســيين فى ٢٥ أغســطس ١٨٨٣، ووافق على إعلان الحماية على أراضيه، وإشراف فرنسا على شــئونه الخارجية، واحتلال القوات الفرنسية للحصون فى تونكين، وأن تكون إدارة البلاد فى يد الفرنسيين، كما تعهد بفتح النهر الأحمر للملاحة والتجارة (٨٨).

وقد استمرت الاضرابات فى تونكين رغم عقد معاهدة الحماية، ولكــن سرعان ما تحول الموقف لصالح الفرنسيين، عندما نجح الفرنسيون فى صد هجوم قامت به القوات الصينية احتجاجا على توقيع معاهدة الحماية، وفضلت الصين فى هذه الفترة مهادنة فرنسا، فقبلت توقيع معاهدة سنة ١٨٨٤ مع فرنسا، وتعهدت بسحب قواتها من تونكين، كما اعترفت بالمعاهدات التى عقدت بــين فرنســا

وأنام. كما تم توقيع معاهدة بين الطرفين فى ٢٥ أبريل ١٨٨٦، حددت فيها الحدود بين تونكين فى فيتنام الشمالية وبين الصين. ورغم ذلك ظلت فرنسا تواجه الهجمات الوطنية المسلحة حتى عام ١٨٩٦، إلى أن تمكنت من إضعاف الحركات المناوئة لها.

فرنسا وضم كمبوديا

إذا كانت فرنسا قد مارست نشاطها مبكرا فى منطقة فيتنام، فإن هذا النشاط قد تأخر فى منطقة هامة من مناطق الهند الصينية وهى كمبوديا، فلم يظهر بوضوح إلا بعد منتصف القرن التاسع عشر، خاصة بعد أن فرضت فرنسا حمايتها على الصين الكوشينية عام ١٨٦٢، فرأت ضرورة مد نفوذها على الأراضى المجاورة لمستعمراتها الجديدة غربا، وتحقيق الاتصال بينها وبين كمبوديا.

ومنذ أواخر القرن الثامن عشر عمل حكام كمبوديا على إرضاء جيرانهم خاصة كلا من حكام أنام وسيام، فقاموا بدفع الضرائب السنوية لهم، وقد استمرت هذه السياسة حتى القرن التاسع عشر.

وقد رأت فرنسا الإفادة من الموقف المضطرب فى كمبوديا، ومن الصراع الدائر بين كل من أنام وسيام للاستحواذ عليها، واقنعت الملك آنج ديونج Ang Duong (١٨٤٨ — ١٨٦٠) بتوقيع معاهدة تجارية معها، وقد قبل الملك تدعيم صلاته بالفرنسيين لمساعدته ضد منافسيه. ولكن خلال هذه الفترة لم يكن الساسة الفرنسيون قد قرروا بعد التوغل فى كمبوديا، وإنما كان اهتمامهم مركزا على فيتنام، ولذلك اكتفوا بالمحافظة على علاقاتهم الودية مع كمبوديا.

وفى عهد الملك نورودوم (١٨٦٠-١٩٠٤) نجحت فرنسا فى تدعيم سيطرتها على كمبوديا، حيث عاونت نورودوم فى السيطرة على البلاد وضد منافسيه الأقوياء، وعرضت عليه الحماية الفرنسية، ولكن نورودوم رفض ذلك فى أول الأمر، ولكن مع الضغوط الفرنسية قبل نورودوم الحماية سنة ١٩٦٣،

وتوقيع معاهدة مع الفرنسيين، وتعهد بضمان حرية التجارة، وحرية عمل البعثات المسيحية، ولكن سرعان ما تأزم الموقف، عندما ضغطت سيام على نـورودوم، الذى وافق على أن يكون نائبا لملك سيام فى كمبوديا. ولكن رجـال البحريـة الفرنسية سرعان ما احتلوا قصر نورودوم ورفعوا العلم الفرنسى عليه، وأجـبروا الملك على التراجع عن موقفه، وأن يعلن من جديد قبوله للحماية الفرنسية على بلاده[٨٩].

فرنسا وضم لاوس

تعتبر لاوس المنطقة الثالثة والأخيرة من مناطق الهند الصينية التى وضـعت فرنسا يدها عليها، فلم تلفت المنطقة انتباه الفرنسيين، مثل باقى منـاطق الهنـد الصينية، وذلك لوعورة أراضيها، وانتشار الاضطرابات بها، وأطماع جيرانهـا فى السيطرة عليها ولاسيما فيتنام وسيام وبورما، ولذلك تأخر وقوعهـا فى أيـدى الفرنسيين.

وقد بدأ إرسال البعثات الكشفية الفرنسية إلى لاوس منذ عام ١٨٨٢، وفى عام ١٨٨٩ عقدت فرنسا اتفاقية مع لاوس احتلت فرنسـا بمقتضـاها الضـفة اليسرى لنهر الميكونج. وفى عام ١٨٩٣ فرضت فرنسا حمايتها علـى لاوس ، واعترفت سيام بتبعية الأراضى الواقعة على الضفة اليسرى للميكونج لفرنسـا، وهكذا ضمت فرنسا لاوس عن طريق اتفاق فرنسا مع سيام.

اتحاد الهند الصينية الفرنسية

وما كاد القرن التاسع عشر يوشك على الانتهاء حتى كانت فرنسا قـد أتمت مهمتها التوسعية فى الهند الصينية. وفى عام ١٨٨٧ صدر مرسوم بتكـوين اتحاد الهند الصينية الفرنسية الذى ضـم أنـام وتـونكين إلى وزارة البحريـة والمستعمرات، وضمهما إلى مستعمرة الصين الكوشينية وكمبوديا، ومنذ عـام

١٨٩١ تولى الاشراف على الاتحاد حاكم عام تركزت فى يده كل السلطات الإدارية والمدنية والعسكرية، ثم انضمت لاوس إلى الاتحاد.

وفى عام ١٩٠٠ انضمت إلى الاتحاد منطقة جديدة تنازلت عنها الصين لفرنسا عام ١٨٩٨ وهى منطقة كوانج تشو وان Kouang Tcheou Wan، وقد أفادت فرنسا من ضم هذه المنطقة لثرواتها ومناجمها.

وقد حاولت فرنسا صبغ المنطقة بالصبغة الفرنسية. وصادفت فى هذا الصدد عقبات كثيرة، فقد قابل السكان الوطنيون هذه الفرنسة عنيفة، وان كانت المقاومة الوطنية قد ظهرت بصورة أوضح فى فيتنام، فلم تنقطع فيها المقاومة الوطنية، وقد ساعدت طبيعة المنطقة على شن حرب العصابات[٩٠]، فقد أراد الوطنيون الحصول على حريتهم بعيدا عن السيطرة الفرنسية، ولكن ذلك تطلب جهادا طويلا وعبر عدة عقود من السنين.

فرنسا والاستغلال الاقتصادى فى فيتنام

لقد أصبحت فيتنام اضافة إلى الاقتصاد الفرنسى، لقد احتوت فيتنام على كميات من مناجم الفحم والقصدير والمطاط . وكانت أكثر هذه المواد الخام تصدر إلى فرنسا. كما كانت فيتنام سوقا رائجة للمصنوعات الفرنسية. وفى العقود الأولى من القرن العشرين فإن ٥٧% من واردات فيتنام كانت تتكفل بها الشركات الفرنسية.

وللمساعدة فى نقل هذه المواد الخام، والواردات، شيد الفرنسيون الطرق المعبدة وشقوا القنوات، ومدوا الخطوط الحديدية. ومن أجل تدبير الأموال لهذه المشروعات، فرض الفرنسيون الضرائب على الفلاحين الفيتناميين مما أدى إلى ازدهار حركة التعدين، وإزدياد المزارع.

كما حاول الفرنسيون تغيير العادات والتقاليد الفيتنامية وعوقب الذين رفضوا التغييرات الاجتماعية، كما أن بعض الفيتناميين تقبلوا هذه التغييرات وتركوا تقاليدهم واعتنقوا الكاثوليكية واختاروا التقاليد الفرنسية، وبالتالى حاز هؤلاء على الكثير من الامتيازات عن باقى مواطنيهم، الذين تمسكوا بتقاليدهم الوطنية. وهذه المجموعة القليلة المتفرنسة ظهرت على شكل فئة من الصفوة التى ساعدت الفرنسيين على حكم نحو ثلاثين مليون نسمة فى فيتنام وكمبوديا ولاوس.

واحتاج الأمر من المديرين الفيتناميين إلى طلب نشر التعليم. ولقد أنشئت المدارس الفرنسية سنة ١٩٠٢، كما افتتحت جامعة هانوى، ورغم أن الغرض من التعليم كان تخريج شباب موال للامبراطورية الفرنسية، فإن البعض من هؤلاء الطلاب بدأ يتساءل عن أحقية فرنسا فى حكم هذا الاقليم[٩١].

الحركات الوطنية المبكرة

كانت حركة مقاومة التنصير مظهرا من مظاهر تمسك الشعب الفيتنامى بقوميته واعتزازه بشخصيته وثقافته، ولقد استمرت هذه الروح فى الشعب الفيتنامى طوال عهد الحكم الفرنسى، وكان يثور فى وجه الفرنسيين إذا ما اتبعوا سياسة الحكم المباشر.

وفى الفترة من عام ١٨٦١ حتى نهاية القرن التاسع عشر ظهرت بين الشعب الفيتنامى زعامات عديدة من الفلاحين، ومن الرؤساء التقليديين، وبعض الزعامات الدينية الكونفوشية، وشملت هذه الحركات كل القرى والمدن، وكان الفرنسيون يخمدونها بقواتهم العسكرية المتفوقة بالأسلحة.

وعلى الرغم من محاولة الحكم الفرنسى عزل الشعب الفيتنامى عن الاتصال بالعالم الخارجى، فإن انتصارات اليابانيين على الروس سنة ١٩٠٥ جعلت الشعب الفيتنامى يدرك حقيقة هامة: هى قدرة الشعوب الآسيوية على

الوقوف فى وجه القوى الأوربية الزاحفة على الشرق الأقصى، وأصبحوا ينظرون إلى الانتصار اليابانى نظرة بطولية أدت إلى تشجيع قيام أولى الحركات الوطنية المنظمة بزعامة فام بوى كاو Fham Boi Chan الذى قاد ثورات متفرقة ضد الحكام الفرنسيين، ولكنه اضطر فى النهاية أمام قسوة النيران الفرنسية إلى اللجوء إلى اليابان.

ومما يستحق الذكر أن قيام الثورة الوطنية فى الصين سنة ١٩١١م، كان له أثره على الحياة السياسية فى فيتنام، فقد أدى تكوين الكومنتانج بقيادة تشانج كاى تشيك، إلى بدء قيام الأحزاب السياسية المماثلة فى منطقة الشرق الأقصى، فتكون فى فيتنام حزب وطنى فيتنامى اتخذ اسم فيتنام – كواك – وآن – وانج، وعقد هذ الحزب أول مؤتمر له خارج أرض الوطن سنة ١٩١٤ فى كانتون بالصين، نظرا لأن السلطات الفرنسية لم تسمح له بالقيام بأى نشاط داخل البلاد (٩٢).

كما تميزت فترة ما بين الحربين العالميتين ، بأنها فترة الصراع بين الحكم الفرنسى والاتجاهات الوطنية فى فيتنام وقد ترتب على الحكم الفرنسى الاستعمارى انتزاع بعض المزارع من الفيتناميين ومنحها لهيئات الاستغلال الفرنسية، وبدأت مصالح بعض الاقطاعيين الفيتنامى بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، ونما الحزب الوطنى وأصبح معترفا بوجوده، كماتكونت جمعيات أخرى عديدة، وكانت كلها تطالب بمزيد من الاصلاحات الدستورية وإقامة حكم وطنى.

وتتلخص أسباب عرامة الحركة الوطنية الفيتنامية فى تلك المرحلة ما بين الحربين العالميتين فى:

١ – الانتصارات الآسيوية على الأوربيين (انتصار اليابان على روسيا سنة ١٩٠٥).

٢- ظهور حركات وطنية آسيوية مجاورة مثل الحركة الوطنية فى الصين سنة ١٩١١.

٣- ظهور مبدأ حق تقرير المصير الذى نادى به الرئيس الأمريكى ويلسون فى أعقاب الحرب العالمية الأولى .

٤ - ظهور حركة غاندى القومية فى الهند.

وهكذا تكونت منظمات فيتنامية وطنية تولت الحركة الوطنية منها:

١- الحزب الوطنى الفيتنامى (كودك دون ونج) الذى تشكل سنة ١٩١٣ وعقد أول مؤتمر له فى كانتون بالصين سنة ١٩١٤.

٢- اتحاد الطلاب الثوريين (ثان ين نا) .

٣ - هيئة الشباب الثورى الفيتنامى التى كونها فى أول الأمر (هو شى منه) الذى كان يحمل اسم نجوين آى كووك ، وحولها إلى حزب شيوعى تحت اسم تان نين كاش مانج دونج سنة ١٩٢٥، وكان مقرها جنوب الصين.

٤- تكوين حزبين شيوعيين آخرين سنة ١٩٢٥ .

٥ - فى سنة ١٩٣٠ قام هو شى منه بتوحيد الأحزاب الشيوعية الثلاثة فى حزب شيوعى واحد للهند الصينية.

وقد بدأت حركات العنف منذ عام ١٩٢٥ بإلقاء المتفجرات على المراكز الفرنسية، كما وقعت مصادمات دامية بين الوطنيين والفرنسيين سنة ١٩٢٩ فى سايجون وهانوى وهايفونج وأعقب ذلك أحداث مماثلة فى عامى ١٩٣٠ و ١٩٣١، ثم أمكن إخمادها بعمليات قمع فرنسية عنيفة.

واضطرت فرنسا إلى إعلان تنازلات كثيرة، فزادت من إشراك الوطنيين فى حكم بلادهم، وقامت الحرب العالمية الثانية، وقد بلغ شعب فيتنام درجة عالية من النضج السياسى. (٩٣)

فيتنام والحرب العالمية الثانية

كان قيام الحرب العالمية الثانية فى أواخر عام ١٩٣٩ نقطة تحول فى تاريخ العالم، ولقد تعرض جنوب شرق آسيا لظهور قوى جديدة تتحكم فى توجيه الحياة السياسية فيه ممثلة فى اليابان التى دخلت الحرب العالمية الثانية إلى جانب النازية والفاشية ضد العالم الغربى، والصين التى تعرضت لصراع عنيف بين القوى الوطنية اليمينية والقوى الشيوعية اليسارية. وكان لظهور هاتين القواتين فى سنوات الحرب، ثم فى أعقابها أثرهما الكبير فى إحياء الروح الوطنية جنوب شرق آسيا بصفة عامة وفى فيتنام بصفة خاصة (٩٤).

وفى عام ١٩٤٠ اجتاحت القوات اليابانية الهند الصينية، وذلك بعد احتلال الألمان لباريس، وهكذا لم تجد القوات الفرنسية جدوى من المقاومة، وسلمت للقوات اليابانية فى فيتنام (٩٥) وذلك طبقا لاتفاق طوكيو الذى وقع فى سبتمبر ١٩٤٠ بين اليابان وحكومة فيشى التى كونها الجنرال بيتان بعد أن حل محل ديجول فى الحكم، واستسلم للاحتلال اليابانى.

وقد سمح اليابانيون للمكتب الفرنسى التابع لحكومة فيشى الخاضعة للمحور بالاستمرار فى ممارسة أعمال الإدارة فى أجزاء فيتنام، واكتفى اليابانيون بالاحتلال العسكرى للمواقع الاستراتيجية الهامة اللازمة لخطة دفاعهم، واحتفظوا بجيش قوامه ٣٥ ألف جندى فى هذه المواقع (٩٦).

ووجد الفرنسيون أنفسهم فى وضع حرج، ذلك أن إبقاءهم فى وظائفهم نتيجة تفاوض حكومة فيشى مع اليابان لم يعفهم من معارضتهم الذاتية للحكم اليابانى، وفى نفس الوقت كانوا بحكم طبيعتهم الاستعمارية يخشون من نمو الروح الوطنية فى فيتنام. وعلى الرغم من أن نشاط الحركة الوطنية التى أخذت تنمو فى فيتنام كان موجها فى ذلك الوقت ضد الاحتلال اليابانى، إلا أن الموظفين الفرنسيين وجهوا كل جهودهم لمقاومة نموها.

وفى سنة ١٩٤١ قرر الحزب الشيوعى الفيتنامى تعديل سياسته بانشاء جبهة وطنية تضم كل العناصر المعارضة للنفوذ الأجنبى، وتكونت الجبهة من تجمع الكثير من التنظيمات والعناصر الوطنية تحت قيادة هوشى منه الذى كان قد عاد إلى جنوب الصين، وتم ذلك فى مؤتمر وطنى عقد فى الصين بإذن من السلطات الصينية، وأعلن فى نهايته قيام الجبهة باسم جماعة الاستقلال الفيتنامية أو "الفيت منه" وهى اختصار لاسم الجبهة باللغة الوطنية وهو (فيتنام دوك لاب دونج منه هوى).

وأرسل أحد أعضاء الفيت منه البارزين وهو فونجوين جياب إلى فيتنام لتنظيم حركة طليعية ، واستطاع جياب أن يجمع نحو مائة ألف مقاتل(٩٧).

واعتقد اليابانيون خطأ أنهم قادرون على استخدام الفيت منه للسيطرة على فيتنام وتوجيهها لصالح السياسة اليابانية، ولكن حدث العكس، فقد أرسلت الفيت منه ممثلين عنها إلى قوات الولايات المتحدة لطلب المساعدات العسكرية، واستطاعت بهذه المساعدات أن تقاوم الاحتلال اليابانى، ونجحت فى السيطرة على معظم تونكين، وبذلك كان هوشى منه يستغل فى أول الأمر مساعدات الولايات المتحدة الأمريكية، وتأييد حكومة الصين ضد الاحتلال اليابانى.

إعلان الاستقلال

فى أواخر عام ١٩٤٤ نزلت القوات الفرنسية بمساعدة الحلفاء الأمريكيين على سواحل فيتنام، وخشى اليابانيون من خطورة وجود الفرنسيين فى مراكز الإدارة والحكم ، مما دعاهم إلى القبض على كل الفرنسيين الموجودين فى فيتنام، وإلغاء اتفاقية طوكيو التى كانت قد عقدت سنة ١٩٤٠، وإلغاء الاستعمار الفرنسى فى الهند الصينية، وبذلك أبعد الفرنسيون فجأة عن الحكم والإدارة، وأصبحت الفيت منه هى الهيئة الوحيدة التى تتولى القيادة السياسية ومقاومة الاحتلال اليابانى، وفى مارس سنة ١٩٤٥ نجح اليابانيون فى القضاء على الحاميات

الفرنسية تماما.[٩٨] وهكذ أنهى اليابانيون عمليا الحكومة الاستعمارية الفرنسية فى فيتنام، ووضع اليابانيون على رأس السلطة إمبراطور أنام المتقاعد باوداى، الـذى قرر اليابانيون استخدامه، وطلبوا إليه أن يعلـن الاسـتقلال [٩٩] ولم يعتـرف الشيوعيون والقوميون بحكومة باو داى العميلة، فشكل هوشى منـه الحكومـة المؤقتة برئاسته.

ولما ألقت الولايات المتحدة الأمريكية قنبلتها الذرية على هيروشيما، وبدا للعالم قرب نهاية الحرب، أعلن هوشى منه فى اليوم التالى قيام لجنة تحرير شـعبية فيتنامية برئاسته يوم ٧ أغسطس ١٩٤٥.

كما اتجه هوشى منه إلى باوداى ليكون مستشارا للدولة، لأنه كـان لـه مركزه لدى بعض طوائف الشعب الفيتنامى . وفى ٢٨ أغسطس ١٩٤٥ أعلـن هوشى منه حل لجنة التحرير الشعبية، وشكل حكومة وطنية جديدة برئاسـته، وكان باوداى مستشارا أعلى لهذه الحكومة، وكان معظم الوزراء من الشيوعيين . وقد أعلنت هذه الحكومة استقلال فيتنام فى ٢ سبتمبر ١٩٤٥ . إلا أن فرنسا والحلفاء لم يعترفوا بهذا الاستقلال.

وفى الوقت الذى كانت فيه حكومة هوشى منه تعمـل علـى تـدعيم الاستقلال، كان اتفاق بوتسدام قد عقد دون أن تحضره فرنسا، وتقرر فيـه أن تقوم حكومة الصين الوطنية (تايوان) بغزو الهند الصينية حتى خط عـرض ١٦° شمالا، وأن تقوم إنجلترا باحتلال الجزء الجنوبى.

وتطورت الأحداث بسرعة خلال عام ١٩٤٥ - وبعد أستسلام اليابان - وبدأت الصين الوطنية (تايوان) تغزو شمال فيتنام، ووجد هوشى منـه الفرصـة سانحة لتدعيم قوة الفيت منه بمساعدة الصينيين كمرحلة أولى من مراحل تحقيـق الاستقلال، وذلك بتخليص المنطقة من الاحتلال اليابانى، أما البريطانيون فكانوا يؤيدون إعادة النفوذ الفرنسى للمنطقة، فقد أرسلوا قواتهم من البريطانيين والهنود

إلى سايجون. ولما وصلت القوات الفرنسية متأخرة فى ٣ أكتوبر وجدت الوضع فى غاية الاضطراب، فالفيت منه كونوا مجلسا تنفيذيا، وأعلنوا الاستقلال، والقوات البريطانية نجحت فى طرد اليابانيين، وأطلقت سراح الأسرى الفرنسيين وسلحتهم، فأخذوا يعتدون على قوات الفيت منه، الذين قاوموهم بشدة، وكبدوهم خسائر كبيرة.

وزاد الأمر تعقيدا فى وجه السياسة الفرنسية أن الفيت منه نظموا فى يناير ١٩٤٦ إنتخابات عامة أختير نتيجتها هوشى منه رئيسا للحكومة، مما ألجأ فرنسا إلى اتباع سياسة المهادنة المؤقتة جنبا إلى جنب مع سياسة محاولة استعادة السيطرة العسكرية.

وفى مارس من نفس السنة وقع هوشى منه مع المفاوضين الفرنسيين اتفاقية نصت على اعتراف فرنسا باستقلال فيتنام كوحدة سياسية فى اتحاد الهند الصينية الفيدرالى، الذى اعترف له بالحكم الذاتى داخل نطاق الاتحاد الفرنسى، مع تمكين القوات الفرنسية من الحلول محل قوات الصين الوطنية (تايوان) التى احتلت الشمال، وقد قبل هوشى منه هذه الاتفاقية للتخلص من قوات الصين الوطنية من ناحية ولأن قوات الفيت منه لم تكن لتستطيع مواجهة القوات الفرنسية التى تدعمها الدول الغربية.

الا أنه مع منتصف عام ١٩٤٦ تبين التناقض الكبير بين وجهتى نظر حكومة جمهورية فيتنام برئاسة هوشى منه، والمندوب السامى الفرنسى فى فيتنام. وهكذا بدأت المواجهات المسلحة من جديد مع ديسمبر ١٩٤٦، وسقط ستة الآف بين قتيل وجريح من أبناء الشعب الفيتنامى فى ١٩ ديسمبر ١٩٤٦ فى هانوى وحدها، وهكذ بدأ النضال المسلح من جديد بين الطرفين (١٠٠).

نضال الشعب الفيتنامى ضد الاستعمار الفرنسى ١٩٤٦ — ١٩٥٤

فى يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٤٦ بدأ الشعب الفيتنامى نضاله لتصفية الاستعمار الفرنسى وحتى يوم ٦ مايو ١٩٥٤، حيث سقط أقوى معاقل الدفاع الفرنسية: حصن ديان بيان فو.

وقد استغرق الأمر ثلاث سنوات (١٩٤٦ — ١٩٤٩) حى يمكن لهوشى منه بناء القوة العسكرية اللازمة لمواجهة القوات الفرنسية، وبالتالى كانت المعارك فى هذه المرحلة محدودة (١٠١).

وقد تغير الموقف الدولى بعد نجاح الثورة الصينية الشيوعية فى اكتوبر ١٩٤٩ وإزدياد المد الاشتراكى فى المنطقة ، ووضعت الولايات المتحدة خططها لاحتواء التوسع الشيوعى فى جنوب شرق آسيا.

وفى يناير ١٩٥٠ اعترفت جمهورية الصين الشعبية والاتحاد السوفيتى بجمهورية هوشى منه الديموقراطية فى فيتنام، وارسلت الصين إمدادات عسكرية ضخمة إلى هوشى منه. كما أن الولايات المتحدة وبريطانيا اعترفتا بالمقابل بالحكم الوطنى العميل لفرنسا فى جنوب فيتنام.

وفى ٢٦ يوليو ١٥٠ منحت الولايات المتحدة الأمريكية إمدادات عسكرية لفرنسا، كما أنفقت الولايات المتحدة ثلاثة مليارات دولار فى الأربع سنوات التالية لمعاونة فرنسا فى حربها ضد فيتنام الشمالية.

وقد بدأ نوع من الحرب الباردة حول مشكلة فيتنام، فدول العالم الاشتراكى وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى والصين ويوغوسلافيا أيدت حكومة الفيت منه، أما الولايات المتحدة ودول الغرب الرأسمالى فقد أيدت حكومة فيتنام المركزية التى أقامها الفرنسيون فى سايجون.

وفى أكتوبر ١٩٥٠ تقدم القائد الفيتنامى الشمالى الجنرال جياب إلى المعاقل الفرنسية، وأنزل هزائم ساحقة بالفرنسيين، وذلك بعد أن حشد ٨١ فرقة

مسلحة تسليحا جيدا، بدأ بها الزحف على هانوى يوم ١٣ ينـاير ١٩٥١، واستمرت المعارك المتتالية فى المدن والمراكز والقرى (١٠٢).

معركة ديان بيان فو

مع بداية عام ١٩٥١ قام نحو ٢٠,٠٠٠ جندى من الفيت منه بقيادة الجنرال جياب بمهاجمة المراكز الفرنسية العسكرية فى دلتا النهر الأحمر، ولكنهم ردوا عنها مع خسارة نحو ٦٠٠٠ قتيل، مما أدى إلى انسحاب الجنرال جياب.

وفى مارس ١٩٥١ تعرضت قوات الجنرال جياب أثناء هجومها الثانى على القوات الفرنسية لخسائر فادحة قدرت بنحو ٣٠٠٠ قتيل، وهكذا قرر جياب الانسحاب من منطقة دلتا النهر الأحمر.

واستمرت هجمات الفيت منه على القوات الفرنسية، التى أقامت استحكامات قوية فى عامى ١٩٥٢، ١٩٥٣ لحماية قاعدة جوية فرنسية فى أحراش وادى ديان بيان فو فى شمالى فيتنام. ولكن الجنرال جياب حشد قواته التى أصبحت مسلحة تسليحا جيدا بالدعم الصينى والسوفيتى. ولكن الفرنسيين لم يقدروا جيدا قوة وتسليح أعدائهم، فقد قام جياب فى ١٣ مارس ١٩٥٤ على رأس جيش من ٥٠,٠٠٠ مقاتل من قوات الفيت منه بمهاجمة القوات الفرنسية التى كانت تحمى القاعدة الجوية فى ديان بيان فو، وأمكن للفيت منه ضرب القوات الفرنسية بالمدفعية، مع تدمير ممر الطائرات الوحيد فى القاعدة الجوية، مما أدى إلى عدم وصول المؤن إلى القوات الفرنسية إلا بالمظلات.. وتقدمت قوات الفيت منه رويدا رويدا لحصار القوات الفرنسية فى ديان بيان فو. وهكذا ومع ٣٠ مايو ١٩٥٤ تم حصار ١٠,٠٠٠ فرنسى من جانب نحو ٤٥,٠٠٠ من قوات الفيت منه. وهكذا طالب الفرنسيون بالمساعدة الأمريكية... وكان أمام الولايات المتحدة ثلاثة أختيارات : إرسال قوات أمريكية لفك الحصار، أو ضربه جوية ساحقة، أو استخدام القنابل الذرية، ولكن الرئيس أيزنهاور استبعد الضربة

الجوية أو الخيار النووى، بعد استلامه رأيا بعدم استخدام أى من هذه الاختيارات من حليفه الرئيسى بريطانيا.

وهكذ استسلم الفرنسيون فى ديان بيان فو لقوات الفيت منه، وبعد أن قدرت خسائر الطرفين فى هذه المعركة بـ ٨٠٠٠ من قوات الفيت منه و ١٥٠٠ من القوات الفرنسية . وسار الأسرى الفرنسيون (٨٥٠٠ جندى) ٦٠ يوما إلى معسكرات الاعتقال على مسيرة ٥٠٠ ميل، ومات نصف هؤلاء فى الطريق أو فى الأسر.

وهكذا تقدمت فرنسا باقتراح الانسحاب من فيتنام بعد ثمانى سنوات مريرة من القتال مع الفيت منه، حيث قتل ٤٠٠ ألف من الجنود والمدنيين من الطرفين (١٠٣).

مؤتمر جنيف ١٩٥٤

أصبح العالم ينظر إلى حرب الفرنسيين فى فيتنام على أنها حرب قذرة، حتى الشعب الفرنسى ذاته كان غير راض عن هذه الحرب العدوانية، وأصبح الجو الدولى مهيأ للقيام بعمل يحقق السلام فى الشرق الأقصى. وفى مؤتمر ضم رؤساء الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وفرنسا ورئيس الوزراء البريطانى فى يناير ١٩٥٤ تقرر أن يعقد مؤتمر لبحث مشكلتى كوريا وفيتنام تشترك فيه الأربع عشرة دولة ذوات المصالح المشتركة فى هاتين المشكلتين، وتقرر أن تبدأ اجتماعات المؤتمر فى ٨ مايو ١٩٥٤ فى جنيف بسويسرا. وتصادف أن كان هذا التاريخ هو اليوم التالى لسقوط ديان بيان فو فى أيدى قوات الفيت منه.

وقد تم التوقيع على الاتفاقية الأولى التى توصل إليها المؤتمر فى ٣٠ يوليو ١٩٥٤، ووقع على الاتفاق كل من الجنرال دلتيل عن الجانب الفرنسى وتاكو ونج عن جمهورية فيتنام الديموقراطية (الشمالية) ولم يطلب إلى مندوبى حكومة فيتنام المستقلة (الجنوبية) التوقيع على هذه الاتفاقية، مما أدى إلى تقديمهم احتجاجا

شديدا ضد موافقة القيادة الفرنسية على الهدنة، وانفرادها بالتوقيع على الاتفاقية، ولكن هذا الاحتجاج لم يلق أى اهتمام.

وبمقتضى اتفاقية الهدنة تعهدت كل من القوات الفرنسية وقوات الفيت منه أن تنسحب كل منهما فيما وراء الخط المحدد، وهو خط عرض ١٧° شمالا بحيث تنسحب القوات الفرنسية إلى جنوب هذا الخط، وتنسحب قوات الفيت منه إلى شماله. كما نصت الاتفاقية على امتناع الجانبين عن جميع أعمال العنف.

واعترف المؤتمر أن هذا الاتفاق هو مجرد اتفاق عسكرى، وأن خط التقسيم (١٧° شمالا) خط هدنة وليس حدودا سياسية بين دولتين (فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية) وأن الوضع النهائى ستحققه انتخابات ستجرى فى عام ١٩٥٦ [١٠٤]. ولكن الولايات المتحدة عارضت عقد هذه الانتخابات خوفا من فوز هوشى منه والفيت منه فى هذه الانتخابات. [١٠٥].

واعتبارا من يوم ٢١ يوليو ١٩٥٦ أصبحت فيتنام قسمين: الأول يقع شمال خط عرض ١٧° شمالا وهو فيتنام الشمالية، وتشمل المرتفعات الشمالية المتاخمة لحدود الصين ولاوس، والتى تعرف باسم فيت باك، وتاى باك وسهل تونكين الذى يتكون من دلتا النهر الأحمر. وقد تكونت فى هذا القسم الشمالى من فيتنام حكومة اشتراكية ديموقراطية.

أما القسم الثانى فيقع إلى جنوب خط عرض ١٧° شمالا وهو فيتنام الجنوبية، ويضم الجزء الجنوبى من مرتفعات أنام الذى يعرف باسم تاين جوين، أو هضاب الوسط، والسهل الجنوبى الذى يعرف باسم نامبو نسبة إلى موقعه أو سهل كوشن الصين حيث دلتا نهر الميكونج العظيمة الاتساع. وقد أصبحت تحكمه قيادات موالية للغرب. [١٠٦]

الحرب الأهلية والحرب الباردة (١٩٥٤ – ١٩٧٥)

بعد انسحاب الفرنسيين فى أكتوبر ١٩٥٤ من هانوى، عاد هوشى منه بعد ثمانى سنوات من الاختباء فى الأحراش، وسيطر رسميا على فيتنام الشمالية.

أما فى فيتنام الجنوبية فإن باو داى عين نجودن ديم كرئيس للوزراء، وعلقت الولايات المتحدة آمالها على ديم لتحقيق الحكم الديموقراطى المضاد للشيوعية فى جنوب فيتنام .

وكان ديم كاثوليكيا، وشجع الفيتناميين الكاثوليك الذين كانوا يعيشون فى فيتنام الشمالية على النزوح إلى فيتنام الجنوبية، وحوالى مليون منهم لجأوا إلى الجنوب، وكذلك فإن نحو ٩٠,٠٠٠ شيوعى جنوبى لجأوا إلى فيتنام الشمالية.

ومع أواخر عام ١٩٥٤ وبداية عام ١٩٥٥، بدأت عمليات شحن الأسلحة الأمريكية إلى سايجون (عاصمة فيتنام الجنوبية) كما قامت الولايات المتحدة بارسال خبراء أمريكيين عسكريين لتدريب قوات فيتنام الجنوبية.

وفى المقابل قام هوشى منه بزيارة موسكو فى يوليو ١٩٥٥، وتلقى مساعدات حربية سوفيتية فعالة.

ومع أكتوبر ١٩٥٥ تم إقصاء باوداى عن السلطة فى سايجون، وذلك بدعم وتوجيه من الولايات المتحدة لرئيس الوزراء ديم وأصبح ديم أول رئيس لفيتنام الجنوبية، واعترفت الولايات المتحدة بهذا التغيير، وتدفقت المعونات الأمريكية على فيتنام الجنوبية [١٠٧].

ومع بداية المناوشات بين فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية بدأ التدخل الأمريكى بالمساعدات التى أخذت تقدمها لجنوب فيتنام، وفى ٢٦ أبريل ١٩٥٦ حينما تم جلاء القوات الفرنسية عن فيتنام حلت محلها هيئة أمريكية لتقديم العون لفيتنام الجنوبية. وفى الفترة من ديسمبر ١٩٥٥ إلى يوليو ١٩٥٦ كانت القوات

الأمريكية وسفن الأسطول الأمريكي ومشاة البحرية الأميريكية تنزل فى موانى ومدن فيتنام الجنوبية، وتتجول بحرية كاملة.

وتعرضت حكومة فيتنام الجنوبية لقلاقل داخلية شديدة، نتيجة لازدياد المد الوطنى، وتلقى الرئيس كيندى سنة ١٩٦١ خطابا من الرئيس ديم رئيس فيتنام الجنوبية يطالب فيه بمعاونة الولايات المتحدة ضد النشاط المضاد، ذلك النشاط الذى تؤيده وتساعده حكومة فيتنام الشمالية، ولكن الرئيس كينـدى اكتفى بتقديم المساعدات العسكرية لفيتنام الجنوبية. ولكن عدد أفراد القوات الأمريكية ظل يتزايد، مع إزدياد التدخل الأمريكى، فبينما كان عدد هذه القوات ١٣٠٠ سنة ١٩٦١ اصبح فى عام ١٩٦٦ ٢٨٠,٠٠٠ ، ثم ارتفع الرقم إلى أكثر من نصف مليون فى عام ١٩٦٧/١٩٦٨ (١٠٨).

وهكذا اندمجت الحرب الأهلية بين فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية مع الحرب الباردة بين القوى الغربية وتمثلها أساسا الولايات المتحدة، والقوى الاشتراكية ويمثلها أساسا الاتحاد السوفيتى والصين.

ولقد قامت الولايات المتحدة بإلقاء ملايين القنابل على الشعب الفيتنامى الشمالى فى حرب ضروس عينفة، وقاوم الفيتناميون الشماليون المسلحون بأعتى الأسلحة السوفيتية والصينية أعواما طوالا سقط فيها مئات الألوف منهم فى ميادين القتال.

ومع كثرة الخسائر الأمريكية ، وقف الشعب الأمريكى نفسه يطالب بايقاف هذه الحرب المرفوضة دوليا.

وفى التاسع من مايو ١٩٦٩ قدم الثوار الفيتناميون الشماليون مشروعا من عشر نقاط لاقرار السلام ينص على : إنسحاب القوات الأمريكية بدون قيد أو شرط، وتولى حكومة ائتلافية مؤقتة مقاليد الحكم فى فيتنام الجنوبية للإعداد لإجراء انتخابات جديدة، وأن مسألة وجود بعض وحدات القوات المسلحة

لفيتنام الديموقرطية فى فيتنام الجنوبية مسألة يجب أن تحلها الأطراف الفيتنامية، مع ضرورة قيام إشراف دولى على انسحاب القوات الأمريكية والقوات المتحالفة معها.

وفى الرابع عشر من مايو ١٩٦٩ اقترح الرئيس الأمريكى نيكسون برنامجا من ثمان نقاط لإقرر السلام فى فيتنام ردا على مشروع فيتنام الشمالية، وينص المشروع على الانسحاب التدريجى للقوات الأجنبية خلال عام واحد من فيتنام الجنوبية، وأن يتم وقف إطلاق النار تحت إشراف دولى يتبعه إجراء انتخابات حرة عادلة فى فيتنام الجنوبية .

وفى الثامن من يوليو ١٩٦٩ أعلن الرئيس الأمريكى نيكسون قرارا بسحب ٢٥ ألف جندى من القوات الأمريكية الموجودة فى فيتنام خلال شهر، ويعتبر قرار نيكسون هذا من قبيل المناورات المكشوفة، لأن هذه القوة لاتمثل شيئا بالنسبة لمجموع القوات الأمريكية والتى كانت تتعدى النصف مليون جندى (١٠٩).

الانسحاب الأمريكى من فيتنام

مع ضراوة الحرب فى فيتنام، فإنه حدث تحول كبير فى المسرح السياسى فى الولايات المتحدة، ذلك أن الدكتور كيسنجر أعلن أنه يتبنى سياسة إنهاء الوجود الأمريكى فى فيتنام قبيل الانتخابات فى الولايات المتحدة الأمريكية. والتقى كيسنجر برئيس فيتنام الجنوبية "ثيو" لمناقشة عقد اتفاق سلام بين فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية وذلك فى أكتوبر ١٩٧٢، ولكن المناقشات سارت من سيىء إلى أسوأ، لأن ثيو رفض بقاء قوات من فيتنام الشمالية فى فيتنام الجنوبية. ومن ثم رفع الأمر للرئيس نيكسون الذى هدد ثيو بقطع كل المعاونات الأمريكية عن فيتنام الجنوبية ولكن ثيو لم يذعن، وبالتالى عاد كيسنجر إلى واشنطن.

ولقد قامت الولايات المتحدة بقصف جوى مركز على فيتنام الشمالية فيما سمى بالعملية "ليبيكر". وهذه العملية هى عبارة عنه ٤٠,٠٠٠ غارة جوية ألقيت فيها ١٢٥,٠٠٠ طن من القنابل، مما أثر على الدفاعات الشرقية لفيتنام الشمالية. لقد خسر الشماليون نحو ١٠٠ ألف قتيل، ونصف الدبابات والمدفعية.

وفى ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ هاجم الرئيس ثيو رئيس فيتنام الجنوبية علنا اقتراح كيسنجر بالسلام.

وفى البيت الأبيض، وقبل أسبوع من الانتخابات الرئاسية الأمريكية أعلن كيسنجر فى مؤتمر صحفى "إننا نعتقد أن السلام وشيك... إننا نعتقد أن اتفاقا يلوح فى الأفق".

وفى نوفمبر ١٩٧٢ فاز ريتشارد نيكسون فى انتخابات الرئاسة الأمريكية بأكبر أغلبية فى تاريخ الولايات المتحدة ، ومع ٣٠ نوفمبر ١٩٧٢ كانت القوات الأمريكية قد سحبت كل قواتها من فيتنام الجنوبية رغم بقاء ١٦,٠٠٠ خبير عسكرى أمريكى لمعاونة قوات فيتنام الجنوبية.

ورغم ذلك ظلت العلاقات متوترة، ووقعت اشتباكات خطيرة، وقامت القوات الجوية الأمريكية بعمليات خطيرة ضد فيتنام الشمالية. ومع يناير ١٩٧٣، أعلن الرئيس نيكسون أن اتفاقا للسلام فى طريقه للتحقيق.

وفى ٢٧ يناير ١٩٧٣ تم التوقيع على اتفاق السلام بين الولايات المتحدة وفيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية والفيت كونج (الثوار الجنوبيين) تحت شروط منها : إيقاف كل الأعمال الحربية، وانسحاب القوات الأمريكية الباقية فى ظرف ستين يوما ، مع بقاء ١٥٠,٠٠٠ جندى شمالى فى جنوب فيتنام.

لقد انتهت بذلك أطول حرب فى تاريخ الولايات المتحدة، وشكلت أول هزيمة لها، فبعد هذه الفترة الطويلة من الصراع (نحو ١٥ عاما) ومشاركة ٢ مليون جندى، وقتل ٤٧,٢٤٤ جندى، من بينهم ٨٠٠٠ من الطيارين، هذ

بالإضافة إلى ١٥٣,٣٢٩ من المصابين باصابات خطيرة، وإنفاق أموال طائلة تحقق السلام.

وهكذا فتح الطريق أمام قوات فيتنام الشمالية لاجتياح فيتنام الجنوبية، دون خوف من قصف الطائرت الأمريكية.

ومع أغسطس ١٩٧٣ تم تعيين هنرى كيسنجر كوزير للخارجية الأمريكية خلفا لوليام روجرز.

ومع ١٣ ديسمبر ١٩٧٤ بدأت فيتنام الشمالية فى مهاجمة مقاطعة فيوك لونج فى فيتنام الجنوبية، واعترض الرئيس الأمريكى فورد على ذلك دبلوماسيا، ولكن بدون تدخل عسكرى أمريكى.

وفى ١٨ ديسمبر ١٩٧٤، اجتمع القادة فى فيتنام الشمالية فى هانوى لوضع خطة النصر النهائى. وفى ٥ يناير ١٩٧٥ قام جيش فيتنام الشمالية بالهجوم على فيتنام الجنوبية، وصرح الرئيس فورد بأن الولايات المتحدة لن تتدخل فى الحرب. وفى ٣٠ أبريل ١٩٧٥ اقتحمت قوات فيتنام الشمالية سايجون، وواجهت مقاومة عنيفة... ومع الساعة ١١ صباحا رفرفت أعلام الثوار على القصر الرئاسى ... وهكذا انتهت الحرب الأهلية، وأحد أدوار الحرب الباردة (١١٠).

الفصل الثامن

تطور تاريخ ماليزيا الحديث والمعاصر

ماليزيا

- الطبيعة الجغرافية والسكانية

تقع ماليزيا فى قلب جنوب شرق آسيا وهى هلالية الشكل قريبة من خط الاستواء بين خطى عرض ١ و ٧ درجة شمالاً وخطى طول ١٠٠ و١١٩ درجة شرقاً (١١١) وتمثل منطقتين واضحتين ، وهما :

المنطقة الأولى : شبه جزيرة ماليزيا وتمتد من برزخ أكرا إلى مضيق جوهور .

المنطقة الثانية : ولايتى صباح وسرواك التى تقع على الساحل الشمالى الغربى من جزيرة بورنيو(١١٢).

ويفصل بين هذين المنطقتين بحر الصين الجنوبى بحوالى ٧٥٠ كم٢ ، وتتصل شبه جزيرة ماليزيا من جهة الشمال بتايلاند عبر حدود أرضية ، ومن الجنوب بجمهورية سنغافورة عن طريق جسر ، ومن الغرب جزيرة سومطرة الإندونيسية عبر مضيق ملقا ، ومن الشمال الشرقى لولاية صباح تقع الفلبين (١١٣).

وتبلغ مساحة ماليزيا ٣٣٠٤٣٤كم٢ ومنها ماليزيا الغربية(شبه جزيرة ماليزيا)١٣١٥٩٨كم٢، أما ماليزيا الشرقية(ولايتى صباح وسرواك) ١٩٨٨٣٦ كم٢ ، ويمتد ساحل ماليزيا إلى حوالى ٤٨٣٠ كم٢ من المحيط الهندى إلى بحر الصين الجنوبى ، ويعتبر الساحل الغربى أكبر النوافذ وصولاً لشبه جزيرة ماليزيا لاحتمائه بمضيق ملقا بينما يصعب الدخول إلى الساحل الشرقى فى فترة الإعصار الشمالى الشرقى ويبلغ طول ساحل ولايتى صباح وسرواك ٢١٠٠كم٢ (١١٤).

وعاصمة ماليزيا هى كوالالمبور منذ عام ١٩٤٧ ، غير أنه تم إنشاء عاصمة إدارية فى عام ١٩٩٦ بوترلجايا Putrajaya جنوب كوالالمبور (١١٥).

أما اتحاد ماليزيا فهو اتحاد فيدرالي وعضو في الكومنولث البريطاني تم تكوينه في عام ١٩٦٣(١١٦) وهي ملكية دستورية (١١٧) تضم ثلاث عشر ولاية قسمت إلى قسمين :-

القســم الغربي : واشتمل على إحدى عشر ولاية وهي : قدح وبينانج وكلنتان وبهانج وملقا وسلانجور ونجرى وسبيلان وبرلين وتربخانو وفراق .

القســم الشــرقي :.فقــد اشتمل على ولايتي صباح وسرواك اللتان تقعان في بورنيو الشمالية(١١٨):

تكــون شــعب مالــيزيا من أجناس مختلفة وهم الملاويين والصينيون والهنود والمورنة وأجناس أخرى (١١٩) وتوزعوا على النحو التالي : ماليزيين أصليين نحو ١٣,٥ملــيون نسمة ، صينيون ٦,٥مليون نسمة ، هنود ٢ مليون نسمة ، وآخرين مثل الإندونيسيين والفليبينيين(١٢٠).

وقد كون هذا الخليط السكاني اتحاداً شعبياً وحد بين الملاويين والأجناس الأخرى الأصلية التي هي الطوائف الآتية :-

الديــاق الــبحرى (إيــبان) والدياق الأرضى (بيدايوه) ، الكادازان وكينياه ميلانوز والموروتس المعروف باسم بومي بوترا ولكنهم عاشوا في وحدة وتآلف وإخاء(١٢١).

أمــا عن اللغة المستخدمة في التفاهم فهي لغة بهاسا ملايو Bahasa melayu الــتي أصــبحت لغــة رسمية في البلاد عام ١٩٦٧ ، وبجانبها وجد كثير من اللغات واللهجــات الــتي اســتعملها السكان ، فالصينيون استعملوا عدة لهجات مثل الكانيوية والهوكينية والنبوتشية وغيرها ، أما الهنود فقد استخدموا اللغة البنجابية والهندوستانية والأورديــة ، وفي دوائر الحكومة التجارية والصناعية استعملت اللغة الإنجليزية على نطاق واسع وهي مادة إجبارية في مدارس ماليزيا(١٢٢).

أما الديانة فقد نص الدستور الماليزى على أن الدين الرسمي للبلاد هو الإسلام ولكــن حــرية الدين مكفولة للجميع (١٢٣) حيث كان يدين حوالي ٥٣% من السكان

معظمهم من الملايويين وبعض الهنود والصينيون بالديانة الإسلامية ، و١٩% بالبوذية ومعظمهم من الصينيين ، أما معظم الهنود فيدينون بالهندوسية مع وجود أقلية من السيخ . كما وجدت أقلية من المسيحيين من كل الأجناس ، هذا فضلاً عن وجود حوالى ٢% من السكان ليس لهم دين ومعظمهم فى صباح وسرواك ، وقد سمح لجميع المؤسسات بامتلاك وإدارة منظماتها الخاصة بها ، ويرأس حاكم لكل ولاية الهيئة الإسلامية فيها ما عدا ولايتى ببانج وملقا ، حيث كان الملك هو الذى يرأس الهيئة الإسلامية فيهما . وقد لعب الدين دوراً رئيسياً فى أسلوب وحياة كل مجموعة عرقية(١٢٤).

-الاستعمار الأوروبى فى ماليزيا

منذ بدء التاريخ أخذت الدول يغير بعضها على بعض ويستعبد القوى منها الضعيف ولكن طبائع الغارات والاستعباد اختلفت من عصر إلى آخر ، ودون الخوض فى دوافع الاستعمار فى العصر الحديث فقد تعددت ما بين اقتصادية وسياسية وحربية واستراتيجية وشخصية وفكرية ....الخ (١٢٥)

- الاستعمار البرتغالى

يعد الاستعمار البرتغالى أول استعمار أوروبى زحف إلى هذه المنطقة ، فقد كانت معظم الامكانات الاقتصادية بجنوب شرق آسيا تتكون من منتجات طبيعية وهذا الذى ساعد ملقا على أن تحظى بنصيب كبير من التجارة البحرية عبر آسيا، وكذلك الذهب والقصدير اللذان اجتذبا الهنود إلى الشرق فى العصور القديمة كانا لا يزالان من أهم المنتجات،ومهما يكن فقد كان أسلاف الأوربيين يسعون لاستغلال أسواق الإنتاج بجنوب شرق آسيا.وقد زار تجار الفرس منذ القرن الثالث أو الرابع موانئ جنوب شرق آسيا وعقد صفقات تجارية مع التجار والهنود وحملوها إلى أوروبا(١٢٦).

وفى بداية القرن الخامس عشر كانت ملقا مؤشراً قوياً للغزو ، ففى عام ١٤٠٠ أسس باراموارا – وهو أمير هندوسى جاء من سومطرة ونال حماية إمبراطورية الصين – مدينة ملقا وكان لإنشاء ميناء ملقا أهمية كبرى فقد استهوى التجار العرب

الذيــن نشــروا الإســلام فبدأ يعتنقه السكان وأهمهم أحد الأمراء المحليين الذى أشهر إســلامه فــى ١٤١٩ وأطلــق على نفسه سلطان (١٢٧) وكان ثراء ميناء ملقا مفتاح تجــارة التوابل وهذا هو سبب الصراع الاستعمارى القوى بين الشرق والغرب وكانت الــبداية مع الكشوف الجغرافية فى القرن الخامس عشر ، وكان البرتغاليون يستهدفون مــن وراء التوســع ومد نفوذهم إلى جميع أركان الأرض ليس فقط لمد حكم الصليب على المناطق الإسلامية بل أيضاً للحصول على التوابل الآسيوية وانتزاع تجارتها من أيــدى المســلمين عن طريق تحويل الطريق التجارى حول أفريقيا عبر رأس الرجاء الصــالح ، وكانــت ملقــا أحــد أهــم أهدافهم إذ إنها مركز تجميع التوابل من جزر "المولوكــاس" المعــروفة بجــزر الــتوابل(١٢٨) ومع ذلك فقد كان العرب المسلمين يســيطرون على البحار الهندية كتجار يتاجرون بمنتهى الحرية بجميع الموانئ الهندية وينطلقون بسفنهم إلى المحيط الهادى بل يبلغون ساحل الصين(١٢٩)

وفــى ظــل هذه الظروف ذهب البرتغاليون إلى ملقا يطلبون السماح لهم بإقامة مركــز تجارى ، غير أن قدومهم قد أثار الأهالى ووقف التجار المسلمين الهنود وراء رئــيس الوزراء في محاولته لأسر قطع الأسطول البرتغالى إلا أن المحاولة لم تنجح لأن إحــدى النساء الملقيات حذرت قائد الأسطول فهرب بأسطوله ، ولكن بعد أن أسر الملقيون عشرين من رجاله (١٣٠) بزعامة "تون حسن" عام ١٥٠١ وأسر البرتغاليين الذيــن تمكنوا من الهرب واتجهوا إلى جزيرة ســومطرة بجزر الهند الشرقية . وعند مجيئهم مرة أخــرى سلكوا مسلكاً عدائياً تجاه المسلمين(١٣١)

وبعــد أن نجــح "ألفونسو البوكيرك " القائد البرتغالى فى إحكام سيطرته على ســاحل الهند الغربى بعد موقعة ديو البحرية التى هزم فيها أسطول سلاطين المماليك فــى عام ١٥٠٩ بسبب خيانة بعض حكام الإمارات الهندية ، التفت إلى منطقة الملايو والمحيط الهادى ولم يكن فى استطاعته السيطرة التامة على تجارة هذه المناطق ما لم تتوطد هيمنته على مضيق ملقا خاصة وأن مدينة ملقا كان لها ميناءاً عظيماً إضافة إلى ذلك موقعها الجغرافى الذى جعلها مفتاحاً للمحيط الهادى(١٣٢)

ولــذا فإنــه بحلــول عام ١٥١١ وصل إلى ملقا أسطول برتغالى ضخم بقيادة ألفونسو ألبوكيرك ركز هجومه على الجسر الذى يربط بين جانبى المدينة ، كما شقت سفنه الحربية طريقها فى النهر لإتمام الحصار وقاوم الملقيون بشجاعة منقطعة النظير بقيادة السلطان"محمود "وولده إذ نزلوا فى خضم معركة عنيفة راكبين الأفيال (١٣٣) ، لكــن عــدد من غير الوطنيين كانوا قد تحالفوا مع القوات البرتغالية ومنهم الصينيين والهنود والموارنة ، مما أدى إلى إضعاف المقاومة ، وفقدت ملقا استقلالها ولم تسترد مجدها القديم خاصة بعد توالى سلسلة من عتاة المستعمرين(١٣٤).

وأمــر الفونســوا ألبوكيرك فوراً بإنشاء قلعة حصينة أسماها (الفوموزا) أى المشــهورة ، قــام مــئات من العبيد والأسرى الماليزيين بتشييدها واستخدم فى بنائها حجــارة المساجد الضخمة التى دمرتها المدافع البرتغالية بهدف تقوية جدران القلعة ، وحينما تم بنائها ظهرت المدافع على جدرانها ووقف الجنود حراساً عليها. وبمجرد أن انــتهى من البناء بدأ الفونسوا يثير الخوف والرهبة فى نفوس الأهالى خاصة وأن هذا البناء كان بمثابة مدينة برتغالية كاملة أحاطت جدران المدينة بالقلعة وقصرين رائعين وقاعــة المجلــس الدولة ، واستطاعت هذه القلعة الصمود فى وجه الهجمات المضادة طيلة ما يقرب من مائة وخمسين عاماً(١٣٥).

واتجهت أطماع البرتغاليين إلى الانفراد بتجارة التوابل والتضييق على بقية دول أوروبا وفرضوا رسوماً باهظة على دخول ميناء ملقا ، وقد أثار ذلك مشاعر الممالك الماليزية ودول أوروبا ضد البرتغال وتوالت الهجمات على ملقا وأثبتت الفوموزا أنها طوق النجاة للبرتغاليين إلا أنها دمرت على أيدى الهولنديين (١٣٦).

– الاستعمار الهولندى

لعب موقع ملقا كمركز تجارى على قدر كبير من الأهمية دوراً فى خلق تأثير عمــيق فى عقول الأوربيين وخاصة بعد احتكار البرتغاليون لتجارة التوابل والسيطرة على هذا الميناء (١٣٧).

وكـــان وصــــول الهولنديــــن إلى مياه جنوب شرق آسيا نتيجة أحداث متعلقة بأوروبـــا، ففي عام ١٥٨٠ ضمت أسبانيا البرتغال إلى حوزتها ، وبحلول عام ١٥٩٤ أغلقــت لشبونة في وجه التجار الإنجليز والهولنديين ، فكان لابد لأوروبا الشمالية أن تــتجه بنفســها صوب الشرق للحصول على التوابل والبضائع الأخرى ، وقد اتحدت الشركات الهولندية لتشكل شركة الهند الشرقية الهولندية ، وعلى الرغم من أن أهدافها الرئيســية تركزت على جزر التوابل إلا أنها اعتبرت أن الاستيلاء على ملقا ذو أهمية كبــيرة لــيس فقط لأهمية مضايقها استراتيجيــاً بل أيضــاً لإزالة النفــوذ البرتغالى منها(١٣٨).

ويمكن تحديد بداية السيطرة الهولندية على الملايو بعام ١٦٣٣ عندما تم تعيين " أنطونى فان ديمين " حاكماً عاماً على أملاك هولندا في الهند الشرقية(١٣٩).

وبحلول يوليو عام ١٦٤٠ وعقب هجوم مركز على ملقا وضرب قلعة الفوموزا نــزل الهولنديون على الساحل وحاصروا المدينة ومع استمرار الحصار أصبح أفراد الحامــية البرتغالية وكافة العناصر المحاصرة عاجزين عن الحصول عما يسد رمقهم فلجأوا إلى أكل كل شئ يقع تحت أيديهم وقد أدت هذه المجاعة إلى انتشار الأوبئة من ملاريا وتيفود وكوليرا(١٤٠).

وأخــيراً بعــد حصـــار دام ســبعة شــهور انقض الهولنديون على الفوموزا واســتطاعوا طــرد البرتغاليـــن مـــن البلاد (١٤١) بمعاونة كبيرة من أهالى الملايو المسلمين ومن ثم جاء سقوط الإمبراطورية البرتغالية التجارية سقوطاً سريعاً(١٤٢).

والواقع أن الميناء الغني المتألق هو الميناء الذى توقعوه ، لكن القلعة التى حارب الهولــنديون مــن أجــل الاستيلاء عليها لم تصبح القلعة التى تمنوها ، فالمدينة التى صــارعوا مــن أجلهـــا لم تعد أكثر من خرائب وجدران مهدمة والحصن الكبير دمر وتساقطت أبراجه و جدرانه ودمر كل شئ تحت وقع المدافع الثقيلة(١٤٣).

- الاستعمار البريطاني

بدأ الاستعمار البريطاني لماليزيا عن طريق شركة الهند الشرقية البريطانية التي نشطت منذ عام ١٦٠١ عن طريق الإتجار مع تلك البلاد في التوابل ، وقد اتسعت اهتمامات الشركة بجزر أرخبيل الملايو حيث حصلت على ولاية بنانج من سلطان قدح في ١٧٨٦ (١٤٤) كما استولت على سنغافورة ١٨١٩ ، وملقا عام ١٨٢٤، وبعد مضى عامين أي في عام ١٨٢٦ أصبحت كل من بنانج وملقا وسنغافورة تعرف باسم " مستعمرات المضيق ". وفي عام ١٨٦٧ انتقلت إدارة المستعمرات من مكتبها بمستعمرات المضيق . وكانت معاهدة " بنكور " عام ١٨٧٤ بداية التغيير الجذري السياسي والإداري في ولايات ماليزيا ، حيث خولت لبريطانيا الاضطلاع بالمهام والواجبات التي كانت يوماً ما مقصورة على الأمراء الأرستقراطيين في ماليزيا ، وظل هذا التغيير مستمراً لسنوات طويلة (١٤٥).

وقد استحدث البريطانيون في إدارتهم للبلاد نظاماً جديداً وهو تعيين ما يُعرف بمندوب مقيم بريطاني في ولايات فراق ، سلانجور ، نجرى سمبيلان ، بنانج ؛ حتى يقدم المشورة في جميع الأمور عدا الأمور التي كانت تمس دين ماليزيا وعاداتها . وبحلول عام ١٨٩٥ تم تكوين اتحاد فيدرالي لهذه الولايات (١٤٦).

ولقد خضعت ماليزيا للإدارة البريطانية التي سمحت بوجود الاستثمار الضخم ، ونتيجة لذلك قامت طبقة التجار الأثرياء في مستعمرات المضيق ، وكانت هذه الاستثمارات تتم بطريقة غير مباشرة في شكل قروض تدفع مقدماً إلى طبقة حكومية ماليزية محتكرة للنشاط الاقتصادي في ماليزيا ثم تصل إلى بريطانيا ، ويستفاد من بعضها المعاونين لها من الداخل (١٤٧).

وبحلول عام ١٩٠٩ تنازلت تايلاند لبريطانيا عن سلطاتها في " قدح وبيرلس وكلنتان وترنجانو " وتم تعيين مستشاراً بريطانياً للولايات الأربعة ، ثم لُحقت " جوهور " بهذه الولايات عام ١٩١٤ ، لتشكل ما يسمى باسم "الولايات الملاوية غير المتحدة " (١٤٧).

وفـى ظـل الإدارة البريـطانية لـماليزيا سمـحت السلطات البريطانية بهجرة كبيرة مـن مواطـنى شبـه القـارة البـريطانيـة منذ عام ١٩١٠ للعـمـل بصـناعة المطـاط فـى ماليزيا (١٤٨).

أمـا بالنسبة للولايات الشرقية فقد تدخلت بريطانيا فى شئونها منذ يونيو ١٨٤٠ بحجـة تأميـن سـلامة بحار تلك المنطقة ، حيث قام مغامر بريطانى يدعى " جيمس بـروك " بـزيارة مديـنة كونتشين وكانت فى ذلك الوقت جزءاً من بروناى ، وخلال إقامـته هناك ساعد على قمع التمرد القائم ضد نائب السلطان ، فعينه السلطان فى عام ١٨٤١ فـى منصب حاكم "راجا " ثم تنازل سلطان بروناى فى عام ١٨٧٥ عن ملكية شمال وشرق بورنيو لاثنين مـن التـجار وهم البارون" فريبك،والفريد دنت"(١٤٩).

وحيـنما تأسسـت الشركة البريطانية لشمال بورنيو فى ١٨٨٢ استولت على ما تبقى من ممتلكات ، وفى عام ١٨٨٨ أصبحت كل من سرواك وبروناى وصباح تحت الحماية البريطانية (١٥٠)

– الحركة الوطنية فى ماليزيا حتى الاستقلال

الواقع أنه لم يكن يؤذن للماليزيين حتى نهاية الحرب العالمية الثانية بقيام أحزاب تهـدف إلـى الاسـتقلال ، كمـا أن العناصـر غير الماليزية من السكان – كالهنود والصـينيين – كانـت قلوبهم وأهدافهم مرتبطة بأوطانهم التى وفدوا منها وممارسة النشاط الاقتصادى ، لذا لم تظهر فى هذه الفترة حركة وطنية شاملة (١٥١).

وفى هذه الأونة تأثر الاقتصاد الماليزى بأزمة ١٩٢٩ ، وبخاصة من ١٩٣٠ إلى ١٩٣٢ ، مع هبوط أسعار المواد الأصلية ، فانقلبت الحياة رأساً على عقب (١٥٢).

وخلال الحـرب العـالمية الثانية حـاول اليـابانيون الذين احتلوا ماليزيا عامى ١٩٤١ ، ١٩٤٢ مصالحة الماليزيين والهنود ، لكنهم اتخذوا الحذر من الصينيين الذين انسـحبوا إلى الأدغال وشكلوا طليعة للمقاومة يقودها " الحزب الشيوعى السرى " لكن البريطانيون ما لبثوا أن عادوا (١٥٣) وزادوا من تمسكهم بماليزيا أكبر مورد للدولار

فى الإمبراطورية البريطانية بسبب مبيعاتها للولايات المتحـــدة الأمريكية من القصدير والمطاط (١٥٤).

ونتـــيجة للمكـــائد الـــتى قامت بها بريطانيا ، زاد ذلك من لهيب وثائرة الشعب الماليزى ونبهتهم إلى حقوقهم المسلوبة ، لذا كونوا جبهة سياسية شعبية واحدة للمناداة بحقوقهـــم عـــام ١٩٤٦ تحـــت زعامة " عون بن جعفر " سمّى هذا الحزب " المنظمة الملاويـــة الوطنـــية المتحدة " واختصروها بالحروف الأولى من كل كلمة هكذا " آمنو UMNO . وكـــان هـــذا بداية الصراع الحقيقى ضد الاستعمار فكونت انجلترا لجنة تمـــثل الحكومة الاستعمارية والسلاطين وآمنو فأوصت بإقامة اتحاد فيدرالى لماليزيا ، بحيـــث يضـــم الســـلطنات التســـع وملقا وبنانج ، ويسترد فيه السلاطين امتيازاتهم وســـلطاتهم ، وبـــدلاً من تعيين حاكم يحكم باسم "جورج السادس " ملك انجلترا يعين مـــندوب ســـام يحكـــم هذا الاتحاد باسم السلاطين ، كما اعترف التنظيم الجديد بمكانة الماليزيين بصفة خاصة فى هذا الاتحاد ووزعت الاختصاصات بين الحكومة الاتحادية وحكومـــات الســـلطنات باختصاصات أخرى كالأمن العام وبعض التشريعات وإدارة بعض المرافق الهامة . وقد بدأ العمل بهذه التوصيات عام ١٩٤٨ (١٥٥).

وقبل أن يتم تنظيم الاتحاد نشبت فى البلاد ثورة شيوعية ، ويبدو أن الثوار كانوا يهدفـــون منها إحراج مركز الحكومة وتعطيل إنتاج القصدير والمطاط ، ولكن بحلول ســـبتمبر ١٩٤٨ اتخـــذ الحـــاكم البريطانى إجراءات حازمة فاعتبر الحزب الشيوعى خارجاً على القانون هو ومنظماته الداخلية، وزاد من قوات الدفاع فى ماليزيا (١٥٦).

وعقـــب ذلك قام اتحاد ماليزيا تحت الحماية البريطانية وعاصمته " كوالالمبور " حيـــث يقـــيم المـــندوب السامى للاتحاد مكوناً من سلطناتها التسع ومن بنانج وملقا ، وســـارت ســـنغافورة وحـــدة سياسية منفصلة كمستعمرة بريطانية ، كما كانت هناك سرواك وبورنيو الشمالية الانجليزية وبروناى على الساحل الغربى من جزيرة بورنيو كمحميات بريطانية (١٥٧).

وقـد اسـتمر حـزب آمنو فى قوته ، ولكن فى عام ١٩٥٢ تخلى الحزب عن زعـيمه ، لرغبته فى السماح لغير الماليزيين بالدخول فى عضوية الحزب فخشى أن يفقـد الحـزب صـبغته ، وفقد الحزب ثقته فى "عون " وسلم قيادته إلى " تنكو عبد الرحمـن " وكان محامياً تقلد بعض المناصب الإدارية ، ومن عائلة سلطانية ، وأكسبه تواضـعه وسماحته ودماثة خلقه شعبية واسعة . ونتيجة لتعصب آمنو للماليزيين قامت أحزاب أخرى تدافع عن مصالحها ، فقام حزب صينى لرعاية مصالح الصينيين يسمى " الجماعة الصينية الملايوية " كما قام حزب هندى يسمى" المؤتمر الهندى الملايوى " كمـا قـام"عـون " بمحاولات لاستعادة مجده السياسى فأسس " حزب الاستقلال " ثم "الحـزب الوطـنى " ، ولكـنه فشل تماماً وفقد كثيراً من شعبيته . ولما شعر الشعب الماليـزى بـالخطورة الـتى تحدق به ، اتحدت الأحزاب الثلاثة الماليزية والصينية والهـندية ، وكونوا اتحاداً سياسياً قوياً يسمى " اليانس " واتفقوا على أن يكون " تنكو " رئيسه ، وكان لوجوده على رأس الاتحاد أثر عظيم فى حسن التفاهم وحل المشاكل لما كان يحظى به من ثقة الجميع (١٥٨).

أما الأحـداث الخـاصة التى ألهبت حماسة الماليزيين نحو الاستقلال فمن أهمها مـا حـدث بالـبلاد المجاورة التى أحرزت استقلالها مثل إندونيسيا والهند وباكستان والفليبيـن وبـورمـا ، فشـعر البريطانيون بهذا الخطر خاصة مع لوم الرأى العام العـالمى ، فكان عليهم الاستجابة لرغبة الوطنيين وليضمنوا لأنفسهم فى الوقت نفسه مصـالحهم ، ويرتـبون ضـمانات لها فى جو من السلم والتفاهم ، لذلك سمحوا بقيام أحـزاب تمهـيداً للاستقلال منذ عام ١٩٥١ ، حيث قامت مجالس تشريعية أشركت المواطنين فى إدارة دفة الأمور وعهد إليهم بأمور هامة وإدارات كبرى اضطلعوا بها وتحملوا مسئوليتها(١٥٩).

وفـى عام ١٩٥٣ أنشئت لجنة أكثر أعضائها من أهل البلاد لتضع دستوراً لنظام مـن شـأنه إلقاء أكثر المسئولية للحكم الداخلى على أعضـاء ينتخبهم الشعب لمجلس تشـريعى ، وبـدأ العمل بالدستور عام ١٩٥٥ ، وكان من أهم مقتضياته قيام مجلس

تشـــريعى فـــيدرالى ينتخب الشعب من أعضائه ٥٢ عضواً (١٦٠) وفى عام ١٩٥٥ صـــدر الدســتور الجديــد للبلاد الذى نقل معظم مسئوليات الحكم إلى ممثلى الشعب المنتخبيــن الذيــن طالــبوا بالاســتقلال التام ، ولأول مرة يحصل المجلس التشريعى الفــيدرالى على أغلبية أصوات الناخبين (١٦١) وتمت الانتخابات فى شهر يوليو من نفــس الســنة ، وحصل حزب الاتحاد على ٥١ مقعداً ، وأصبح " تنكو " أول رئيس للوزراء فى حكومة وطنية تمتعت ببعض الاستقلال الداخلى (١٦٢).

وفى مؤتمــر عقــد فى لندن حضره وفد من الحكومة الماليزية الوطنية برئاسة " تنكو " فى يناير عام ١٩٥٦ تم الاتفاق على إعلان الاستقلال قبل نهاية أغسطس عام ١٩٥٧ ، وتشــكلت لجنة مستقلة عاجلة لوضع دستور لاتحاد الملايو المستقل ، وأتمت اللجــنة بحثها ومناقشاتها وكتبت تقريرها وأذاعته فى فبراير ١٩٥٧ ، وتم الاتفاق بين الجهــات المعنــية علــى الدستور الذى يحقق وجهات النظر المختلفة قدر الإمكان . وبمقتضى هذا الدستور أصبح الاتحاد الفيدرالى مملكة برلمانية دينها الرسمى الإسلام يحكمهــا رســمياً أحد سلاطينها التسعة الذى يكون أسبقهم فى تولى السلطنة فى دولته على أن يحظى بموافقة خمسة منهم على الأقل فى انتخاب سرى يعقد بينهم ، ثم يحكم خمس سنوات يختار بعدها الذى يليه فى القائمة ، فإذا اعتذر أو لم يحظ بموافقة خمسة علــى الأقل من بينهم وضع اسمه فى أسفل القائمة وأخذ الرأى فيمن يليه . كما نص الدســتور علــى عقــد الانتخابات فى ظرف سنتين على الأكثر من تاريخ الاستقلال لبرلمان من مجلسين ، الرعية : ويتكون من ١٠٤ عضو وكلهم منتخبون ، والشيوخ : ويتكون من ممثلين لكل مجلس تشريعى بكل دولة فى الاتحاد ، و ١٦ عضواً من ذوى الخــبرة يعيــنهم الملك ، كما يعين رئيساً للوزراء زعيم الأغلبية فى مجلس الرعية ، ولكل سلطنة أيضاً دستور ومجلس استشارى منتخب منتخب . ويختار السلطان رئيساً لحكومــته يسمى " منترى بسار " زعيم الأغلبية بالمجلس التشريعى . أما ملقا وبنانج فيعيــن لكل منهما حاكم لمدة أربعة سنوات يكون له من الحقوق وعليه من التبعات ما للســلطان وما على السلطان فى سلطنته . كما منح الدستور حق الجنسية لكل من يولد بمالــيزيا بعــد الاستقلال أو من ولد بها قبل الاستقلال وعمره فوق ١٨ سنة وأقاموا

بماليزيا خمس سنوات على الأقل من السنوات السبع السابقة على الاستقلال إذا كانوا على معرفة باللغة الماليزية وأقسموا يمين الولاء للدولة ، ومن أقام بماليزيا ٨ سنوات على الأقل من الأثنى عشر عاماً السابقة على الاستقلال من غير المولودين بماليزيا بنفس الشروط المذكورة . كما نص الدستور على أن للحكومة الحق فى منح الجنسية لمن يطلبها إذا كان قد أقام فى ماليزيا لمدة عشر سنوات على الأقل من السنوات الأثنتى عشرة الماضية على تقدمه بالطلب بشرط معرفته بلغة البلاد وأن يقسم يمين الولاء للدولة(١٦٣)

وبحلول ٣١ أغسطس فى حفل باستاد مرديكا " الحرية " شهده جميع السلاطين والوفود المدعوة من الخارج وآلاف من الشعب وقف عم الملكة وألقى حديثاً سلم فى نهايته صك الاستقلال إلى " تنكو " فكبر المؤذن فى المذياع " الله أكبر الله أكبر " وأكمل الأذان إيذاناً ببدء حياة جديدة فى حين أنزل العلم البريطانى ورفع محله العلم الماليزى . ورغم ذلك رأت بريطانيا أن ماليزيا غير قادرة على صد هجوم كبير عليها من الخارج ، لذا عقدت اتفاقية دفاع بينهما وصادق عليه البرلمان الماليزى عند الاستقلال دون معارضة (١٦٤) وفى ١٦ سبتمبر ١٩٦٣ أعلن قيام دولة ماليزيا ، وكانت على شكل اتحاد مكون من ولايات الملايو وصباح وسرواك وسنغافورة ، لكن سنغافورة انفصلت عن الاتحاد فى ٩ أغسطس عام ١٩٦٥ (١٦٥)

وقد قوبل إعلان اتحاد ماليزيا بترحاب عظيم من العالم ، إلا فى الفلبين التى قطعت علاقاتها الدبلوماسية بالاتحاد ، وكذلك إندونيسيا التى اتخذت معارضتها شكل المواجهة ، لكن هذه المعارضة خفت حدتها فى عام ١٩٦٦ ، لانشغال إندونيسيا بتشكيل حكومة جديدة لها . وفى نفس العام عقدت معاهدة مع ماليزيا انتهت بإعادة العلاقات الدبلوماسية بينهما عام ١٩٦٧ (١٦٦) كما وافقت الفلبين على إعادة العلاقات مع ماليزيا خلال انعقاد المؤتمر الوزارى لرابطة جنوب شرق آسيا فى ١٩٦٩ (١٦٧) وبحلول ١٩٧٠ قررت بريطانيا الامتناع عن التدخل المباشر فى شئون الدفاع الخاص بماليزيا ، فأصبحت ماليزيا حرة فى رسم سياستها الخارجية (١٦٨)

الفصل التاسع

تطور تاريخ بورما الحديث والمعاصر

بورما

تقــع جمهورية بورما أو "اتحاد مينا نمار" فى جنوب شرق آسيا تحدها من الشــمال الغــربى بنجلادش والهند ، ومن الشمال الشرقى الصين ولاوس ، ومن الجنوب الشرقى تايلاند (١٦٩)

– أصل الشعب البورمى

كـــان قـــوم " مون" أول من استوطنوا أرض بورما الحالية ، فقد نزحوا إلى المنطقة منذ عام ٣٠٠ ق .م واستقروا بالقرب من مصبى نهر "سلوين دسسيتانج "، وهاجــروا كغيرهم من منطقة شرق آسيا جنوب غرب الصين ، كما نزحت أقوام أخرى إلى المنطقة نفسها وأهمهم "البايو" فى القرن التاسع الميلادى . وعاشت هذه الأقــوام كـــل منـــها بمعـــزل عن الآخر ، وحافظ كل منها على ثقافته الخاصة . وبحلـــول عام ١٠٤٤ وحد حاكم بورمى أسمه " أنا وراهتا" المنطقة وأسس مملكة اســـتمرت مـــا يقـــرب مـــن ٢٥٠ سنة واتخذت من " باجان " التى تقع فى وسط بورمـــا"عاصمة لها . وقد احتفظ البورميون بالسمات الثقافية لقوم مون وبايو ، بما فى ذلك مذهب " ثيرافاء " البوذى (١٧٠).

إلا أن الأمـــور لـــم تستقر ، حيث قام المغول بقيادة "قبلاى باجان" فى عام ١٢٨٧ بشـــن هجوم على المملكة ، مما أدى إلى ظهور مقاومة شديدة أسفرت عن نهوض مملكة بورمية فى "تونجو" خلال القرن السادس عشر ، لكنها سقطت حينما اندلعـــت ثـــورة شـــنها المـــون عـــام ١٧٥٢، وتأسســـت مملكة بورمية أخرى على يد " ألو نجبايا (١٧١)

– بورما والغرب الأوروبى

مع بداية القرن الخامس عشر الميلادى قام رحالة ايطالى يدعى " نيكولودى كوفـــتى " برحلة إلى آسيا ، وصل فيها حتى سومطرة ، وزار بورما حوالى عام ١٤٣٥ ، وعاد إلى أوروبا ، وقد اعتنق الدين الإسلامى ، وكانت تقاريره هى التى

دفعـــت البرتغال إلى الذهاب إلى هذه المناطق عام ١٥١٩ ، بزعم طلب التوابل ، ولـــم يكـــن هـــذا الغزو البرتغالى يشكل خطراً فى ذلك الوقت ، لأن الذين أقاموا مراكـــز تجارية برتغالية فى بورما عام ١٦١٩ رحلوا منها فى القرن نفسه ، وبدأ الصـــدام الفعلـــى بين أوروبا وبورما فى القرن التاسع عشر وبصفة خاصة بينها وبين بريطانيا (١٧٢)

وقد بدأ الاتصال بين بريطانيا وبورما عن طريق إقامة شركة الهند الشرقية البريطانـــية ، وظلـــت بورمـــا بمنأى عن تدخل بريطانيا فى شئونها لمدة خمسة وثلاثيـــن عـــام ، إلـــى أن استولـــى الحاكم البورمى "بودويـــا" علـــى " أركان " فأصـــبحت حدود البلاد ملاصقة للهند ، وفى تلك الآونة أخذ أهالى أركان يفرون إلـــى الهـــند ، وأخذت بريطانيا تساعد المهاجرين على الإقامة والاستقرار ، وقد أغضـــبت سياسة بريطانيا تجاه أهالى أركان بورما ، وذلك لفقدها الأيدى العاملة . ولـــذا فإنه خلال الفترة من ١٧٨٦ حتى ١٨٢٤ هدد البورميون عدة مرات باقتفاء أثـــر المهاجريـــن داخل الهند التابعة لبريطـــانيا ، وأغرهم أن قوتهم العسكرية لا تقهـــر ، ولـــم يدركوا حقيقة جيرانهم البريطانيين فى الهند ، وأسرة "المانشو" فى الصين . وقد حاول البريطانيون فى بادئ الأمر تسوية المسألة بصورة ودية سلمية لأنهـــم لـــم يكونـــوا قـــد اطمـــأنوا تماماً على مركزهم فى الهند . وحتى تتم هذه المفاوضات السلمية أرسلت حكومة الهند عدة بعثات إلى بورما لتسوية الأمر لكن هذه البعثات فشلت فى عقد أية معاهدات للصداقة مع بورما ، أو الحصول على أية امتـــيازات تجارية . ويرجع ذلك إلى قوة بورما فى هذه الآونة ، حيث كان ملكها فى أوج عظمته ومجده ، فوجد هذا الملك البورمى ، أن اتصاله بالحاكم العام للهند يقلـــل من كرامته ، خاصة وأنه كان ينظر إلى هذا الحاكم نظرة دونية ، لكونه فى نظر الملك البورمى أحد عملاء ملك آخر ، كما أنه لم يكن يجهل أعمال بريطانيا فى الهند ، فرغب فى أن يبعدها عن بلاده (١٧٣).

وفى عهد "باجيدو" ازدادت الخلافات بين السلطات البريطانية التى كانت تحكم الهـند فى تلك الآونة وبين البورميين على الحدود الهندية والمناطق التى استولت علـيها حكومة بورما . وأخذ البورميون يكيدون لبريطانيا ، حتى أنه بحلول عام ١٨٢٣ اسـتولوا على جزيرة "شاهيبو" الواقعة فى دائرة النفوذ البريطانى فى تلك الفـترة ، ممـا أدى إلى تقديم بريطانيا احتجاجات دبلوماسية على ذلك الأمر الذى أقدمت عليه بورما ، إلا أن القوات البورمية التى أسكرتهم نشوة الانتصار رفضوا فى ظل زعامة باجيدو الإذعان للأمر والاستماع إلى وجهة النظر البريطانية التى كانـت تـزعم فـى تلك الآونة رغبتها فى تحقيق السلام بين الجانبين البريطانى والبورمى (١٧٤).

وفـى عـام ١٨٢٤ اسـتمرت بورمـا فى التوسع صوب المناطق الهندية الحدوديـة التى تحتلها بريطانيا ، حيث عبرت جيوشها الحدود وبدأت الاشتباكات بيـن الطرفيـن ، وأعلنت بريطانيا الحرب رسمياً على بورما فى ٥ مارس عام ١٨٢٤ ، وفـى هـذه الحـرب ظهـرت الـروح البورمية العالية ، حيث حارب البورمـيون بشجاعة ، وتحقق لهم فى بعض الجولات النصر وخاصة فى المرحلة الأولـى ، إلا أنهـم فى هذه المرة لم يكونوا يحاربون قوات قبائلية أو غير مدربة ومسلحة تسليحاً عتيداً ، لكنهم كانوا يحاربون عدواً مختلفاً متفوقاً عليهم من الناحية العسـكرية فـى المعدات والتدريب ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد ظل البورميون صامدين أمام هذه القوات المتفوقة عليهم ، بيد أن هجوم البريطانيين البحرى على "رانجون" رجح كفة البريطانيين ، ويرجع ذلك إلى عدم امتلاك بورمـا فى هـذه الآونة أسطول بحرى تستطيع من خلاله الدفاع عن سواحلها (١٧٥).

وقد أدى هذا الأمر ونعنى به تفوق القوات البريطانية على القوات البورمية إلـى إلحاق الهزيمة بالأخيرة ، حيث أنه بحلول عام ١٨٢٦ ، وبالتحديد فى بدايته نجحت القوات البريطانية فى إلحاق الهزيمة بالجيوش البورمية (١٧٦).

كما نجحت القوات البريطانية من خلال هذه الانتصارات التى كبدت الجيوش البورمية خسائر فادحة ، فى ضم "أركان وتيناساريم" إلى الهند البريطانية ، بل والأكثر من ذلك وضح التفوق للجانب البريطانى خلال الشروط التى أملاها على الملك البورمى ، وذلك فى معاهدة " باندابو " آلتي عقدت بين الطرفين فى ٢٤ فبراير عام ١٨٢٦ ، والتى أجبرت فيها بريطانيا الملك البورمى على التخلى عن " أسام وماتبيور وإقليمى أركان وتيناساريم ، كما وافق الملك البورمى أيضاً بمقتضى هذه المعاهدة على دفع تعويضات قدرها مليون جنيه استرلينى ، كما أنه بمقتضى هذه المعاهدة أيضاً وضح التغلغل البريطانى فى بورما نفسها ، حيث سمح الملك البورمى بحق البريطانيين فى أن يكون لهم ممثلون معتمدون فى بلاط بورما ، تصاحبهم حراسة عسكرية ، ولم تكن بورما قبل ذلك تسمح بوجود تمثيل بريطاني فى بلاطهم الملكى (١٧٧).

على الرغم من الهزائم التى تعرضت لها بورما خلال الفترة الممتدة من ١٨٢٤ – ١٨٢٦ ، إلا أنها عادت مرة ثانية إلى معاملة البريطانيين وكل من يتعامل معهم فى بورما معاملة سيئة ، وأعلنت ضرورة استمرار الحرب بينها وبين القوات البريطانية ، وقد جرت هذه السياسة بورما إلى حرب طاحنة أخرى فى عام ١٨٥٢(١٧٨) ولم تكن هذه الحرب وليدة أسباب حدثت فى هذا العام ، فمع حلول عام ١٨٤٥ ساءت حالة البلاد فى عهد الملك "باجان" الذى كان ضعيفاً ، مما أدى إلى أن تصبح الإمبراطورية البورمية على وشك الإنهيار ، وفى ذلك الوقت عين "دالهوزى" البريطانى حاكماً على الهند ، وكان من أنصار نظرية التوسع البريطانى ، وكانت العلاقات البريطانية البورمية قد قطعت ، وفرضت بورما الإتاوات على سفينة بريطانية فى عام ١٨٥١ ، فأرسل حاكم الهند خطاباً إلى ملك بورما طلب فيه من الملك معاملة البريطانيين الموجودين فى بورما معاملة حسنة ، وأتبع الخطاب بإرسال ست سفن حربية لانتظار الرد . وعلى الرغم من موافقة ملك بورما على دفع التعويض ومعاقبة المسئولين ، فإن الحاكم البريطانى كان مصمماً على إلحاق هزيمة عسكرية أخرى بالقوات

البورمية ، فحاصر ميناء "رانجون " واستولى على بعض السفن البورمية ، وهكذا بدأت الحرب البورمية البريطانية مرة أخرى (١٧٩) ولاقت بورما فى هذه الحرب هــزيمة أخرى ، أسفرت عن عزل الملك البورمى عن عرشه ، وضم بقية مملكته إلــى الهند البريطانية . ومن المرجع أن السبب الرئيسى فى ذلك الأمر والإسراع فى ضم هذه الممتلكات كان خوف بريطانيا من التحالف بين بورما ودولة أوروبية أخرى (١٨٠).

وعلى الرغم من ادعاء الصين أن بورما دولة تابعة لها ، لم تقدم الصين إلى بورما بعد ضمها إلى الهند البريطانية عام ١٨٨٥ ، بل الأكثر من ذلك وافقت على احــتلال بريطانــيا لــبورما طبقاً لاتفاقية اعترفت فيها بريطانيا بأن بورما تابعة للصــين مقابل موافقتها على قيام السلطة العليا فى بورما بإرسال بعثة تحمل الجزية المعتادة إلى بكين (١٨١).

وبمجرد أن تهيأت الأمور لبريطانيا فى بورما وأخضعت للحاكم العام للهند أنــاب عنه فى حكمها أحد قواده ، يعاونه مجلس تشريعى يتألف من تسعة أعضاء ،وعلــى الرغم من أن بريطانيا حاولت إيهام الشعب البورمى بأن سياستها تجاهه كانــت بوجه عام أقل تعسفاً من حكم ملوكها ، والادعاء باحترام تقاليد بورما فى القرى والمدن ، واحتفاظها بالزعماء الوطنيين المحليين الذين قدمت لهم المساعدة مــن أجل إنجاز مهامهم فى جمع الضرائب الخفيفة التى فرضها البريطانيون فى بورمــا . لكن الواقع التاريخى أثبت أن بورما لم تسلم من استغلال ثرواتها وتحكم بريطانــيا فى ثروات وموارد البلاد على مدار فترة الاحتلال (١٨٢) حيث كانت الغابــات فى أيدى بريطانيا ، والأخشاب تقطع وتنشر بأيدى عمال هنود ، وتشحن إلــى الخــارج على سفن بريطانية ، وكانت مناجم الرصاص والزنك قد صارت بالفعل ذات أهمية دولية ، ولم يكن لأهالى بورما دوراً فى ذلك ، حيث كان العمال فــى المناجم من الهنود والفنيون هنوداً وبريطانيين ، أما سلطة الإدارة والمديرين فكانــت فى أيدى بريطانيين ، وأصحاب الموانئ والسكك الحديدية والسفن يقيمون

فى لندن وكلكتا ، وعدد الهنود أزيد من عدد البورميين فى رانجون ، رأس المال البريطانى هو الذى يشغل المصانع القليلة ومطاحن الأرز ومناشر الخشب ، وظل البورمى فلاحاً صغيراً ، وكان الأرز البورمى يمثل من ٤-٥% من المحصول العالمى ، وكانت بورما بذلك أكبر مصدر للأرز فى العالم ، وكان البريطانيون والصينيون والهنود باعتبارهم ملاك الأراضى ورجال البنوك وتجارهم الذين يجنون أرباح هائلة من هذا المصدر الاقتصادى ، فى الوقت الذى لم يستفد فيه البورمى بأى عائد يذكر من هذا المحصول (١٨٣).

- الكفاح البورمى حتى الحصول على الاستقلال

أخذ المتعلمون فى بورما يدعون إلى الانفصال عن الهند لتصبح بورما دولة مستقلة ، وعلى أثر تذمر البورميين أنشأ البريطانيون مجلساً تشريعياً منذ عشرينيات القرن العشرين ، مما أكسب المواطنين قدراً يسيراً من المشاركة فى الحكم ، غير أن ذلك لم يضع حداً للمعارضة (١٨٤).

والواقع أن الحركة الوطنية فى بورما لم تكن وليدة عشرينيات القرن العشرين ، بل أنها ظهرت مع نهاية القرن التاسع عشر ، حيث تكونت العديد من الجمعيات الوطنية من أجل تحقيق الاستقلال الوطنى لبورما ، وأهمها " الجمعية البوذية " التى بدأت نشاطها بالدعوة إلى المحافظة على الدين البورمى وعقائده ، كما تكونت منظمة دينية فى " ماندلاى " عام ١٨٩٧ ، ثم تشكلت " جمعية الشبان البوذيين " على شاكلة " جمعية الشبان المسيحيين " وكان قوادها من خرجى كلية رانجون ، وكانت صغيرة فى بادئ الأمر ، وتتلقى التأييد من الصحف الوطنية التى كانت تعمل على تأييد الحرية والدعوة لها ، وقد نمت الجمعية وأصبح لها فروع فى أماكن أخرى خاصة بعد أن عاد مؤسسيها من لندن ، وحملوا الشهادات العليا وأخذوا ينشرون الآراء ، وكانت فى بداية الأمر تناقش المسائل الدينية والاجتماعية ثم تطورت وأصبحت تناقش المسائل العامة (١٨٥).

وعـندما أعلـن الرئـيس الأمريكى ولسن مبادئ حقوق الإنسان ، وأعلنت بريطانـيا كذلك أن هدفها هو منح الهند الحكم الذاتى ، راود الحلم الشبان البوذيين فـى بورمـا بشأن الاستقلال فأصدرت جمعيتهم قراراً بتشكيل وفد يذهب لعرض القضية على الوفد البريطانى ، وقابل هذا الوفد البعثة البريطانية فى كلكتا ، ثم عاد إلى بورما واثقاً من أن بورما ستنال نصيباً من هذه الإعلانات الخاصة بحق تقرير المصـير واسـتقلال الدول ، غيـر أن بريطـانيا لم تف بوعدها مما أثار الرأى العام (١٨٦).

ولمـا اتسـع نطـاق الجمعية وشمل القرى والمدن أصبحت تعقد مؤتمرات سـنوية فى القرى والمدن الرئيسية ، وكانت تضم بين أعضائها موظفين حكوميين مـن المحاميـن والصحفيين ، وبعض رجال الأعمال ، وكان المحامون فى ذلك الوقـت قد احتكروا الزعامة السياسية ، وكانت المؤتمرات السنوية لا تشكل خطراً فى بداية الأمر ، وكانت بعض قراراتها توجه شكراً للسلطات البريطانية ، إلا أن المؤتمـر الـذى عقد فى "بينمانا" عام ١٩١٧ كان له شأن آخر ، فقد أصدر قراراً يعـرب فيه عن عدم الموافقة على أن تكون هناك عربات خاصة للأوروبيين فى القطارات ، الأمر الذى يعنى التفرقة العنصرية ، كما كان هناك قراراً يطالب بعدم دخـول الأوروبيين المعابد بأحذيتهم ، وقرار آخر يطالب الحكومة بإصدار قانون يمـنع تسـرب الأراضـى إلـى أيدى الأوروبيين ، وكانت هناك قرارات خاصة بالنواحى الاجتماعية تطالب بعدم زواج البورميات من الأجانب (١٨٧).

كمـا ظهرت الحركة الوطنية البورمية بصورة واضحة حينما أرسلت جمعية الشبان البوذيين وفدين إلى لندن فى عامى ١٩١٩ ، ١٩٢٠ بتفويض شعبى لعرض قضـية بورمـا على الحكومة البريطانية والشعب البريطانى ، وبالرغم من جهود الوفـد ، إلا أنهـا لـم تـأت بنـتـائج تذكر ، غير أنها لفتت النظر إلى القضية البورمية (١٨٨).

وعلى الرغم من ذلك لم ييأس الشعب البورمى فاستمر فى حركته من أجل التحرر ونيل الاستقلال ، ولعب رجال الدين الدور الأكبر فى تلك الفترة ، حيث ظهر " أوتاما " أحد رجال الدين البوذيين الذى عاد من دراسته من كلكتا ، وانضم إلى حركة المؤتمر الهندى الوطنى ، وعند عودته إلى رانجون أخذ يحاضر ويكتب إلى الصحف مدافعاً بحماس كبير عن القضية الوطنية لبورما ، وأطلق صيحة شهيرة كانت بمثابة مفاجأة للحاكم البريطانى وهى " عد إلى بلادك ياكرادوك " وأخذ البورميون يرددونها ، ونتيجة لجهوده تعرض للسجن عدة مرات ، إلا أنه كان يعود أقوى مما كان (١٨٩).

كما كان هناك رجل دين آخر يدعى " أوريزار " من أشد المعارضين لنظام الحكم المزدوج ، وقد تعرض للاعتقال والسجن ، وفى آخر مرة تعرض لها للسجن ، أعلن أنه سيقاوم حتى الموت احتجاجاً على معاملته كسجين عادى ، وأخذ الناس يبعثون ببرقيات ، طالبوا فيها بضرورة الموافقة على مطالبه ، لكن لم يحدث شيئاً من ذلك ، واستمر فى صيامه وإضرابه عن الطعام ، حتى توفى وأصبح بطلاً من أبطال المقاومة ، حيث شّيد له فى رانجون تمثالاً فى ميدان يحمل اسمه فى منتصف شارع هام يحمل اسمه أيضاً (١٩٠).

ومع مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين قاد راهب بوذى يدعى "ساياسان" عدة آلاف من الثوار وعدة ثورات لم يُكتب لها النجاح ، وفى الوقت نفسه أسس الطلاب الجامعيون "اتحاد طلاب بورما" للعمل من أجل الاستقلال ، كما نّظم اتحاداً طلابيا آخر فى عام ١٩٣٦ ، وعلى الرغم من أن البريطانيين قاموا بفصل بورما عن الهند عام ١٩٣٧ ، ومنحوا البورميين حكماً ذاتياً جزئياً ، فإن المقاومة استمرت من أجل تحقيق الاستقلال الكامل (١٩١).

وبحلول سنة ١٩٤٣ أعلنت حكومة بورما التى استندت إلى تأييد اليابان استقلال بورما ، لكن سرعان ما تبددت أحلام الشعب البورمى بسبب سيطرة

اليابانيين على مرافق البلاد ، فبدأ جيش بورما قبل هزيمة اليابان التعاون سراً مع قوات الحلفاء (١٩٢).

وبمجرد هزيمة اليابان وانتصار الحلفاء عادت بريطانيا إلى بورما غير أن الرابطة التى كونها الشباب البورمى خلال الحرب العالمية الثانية ، أصبحت حزباً سياسـياً قوياً يهدد سيطرة البريطانيين الذين لم يستطعوا حكم البلاد دون مساعدة منها (١٩٣).

وأدت الحـركة الوطنية فى بورما فى نهاية الأمر إلى موافقة بريطانيا فى مايو عام ١٩٤٥ ، بموجب الكتاب الابيض الذى أصدرته على إعادة تنظيم حكومة بورمـا على ثلاث مراحل ، المرحلة الأولى تضمن فيها الدولة تعيين حاكم للبلاد يحكمهـا حكماً مباشراً ، ويساعده مجلس معين وهيئة تشريعية . والمرحلة الثانية العـودة إلى الوضع الذى كانت عليه حكومة البلاد طبقاً للقانون البورمى الصادر سـنة ١٩٣٥ . أما المرحلة الثالثة فهى الحكم الذاتى الكامل فى نطاق الكومنولث البريطانى . وكانت هناك ثلاثة آراء حول الاستقلال ، ففى الوقت الذى حبذت فيه طـبقة الملاك بوجه عام إقامة حكومة قوية حتى يتم إنعاش البلاد ، فضل الزعماء السياسيين استقلال عاجل ولو على حساب النهضة الاقتصادية ، أما جماعة الحرب الشـعبية المناهضـة للفاشية والتى كونها أنصار الاستقلال لمقاومة اليابانيين أثناء الحرب العالمية الثانية طالبت بأن يكون لهم تمثيلاً قوياً فى الحكومة الجديدة . لكن المناقشـات الـتى أجريت بين الحكومة والجماعة فشلت فى الوصول إلى اتفاق . وأخـيراً أعلنـت حكومة العمال البريطانية فى يناير ١٩٤٧ أنها تنوى منح بورما اسـتقلالها قريباً داخل نطاق الكومنولث أو خارجه (١٩٤) والأكثر من ذلك قامت بتعييـن رئيس الرابطة " أونج سان " رئيساً للوزراء فى الحكومة البورمية ، لكنه اغتـيل ، فأصبح نائب رئيس الرابطة " نو- يور" رئيساً للحزب ، وتم تعيينه من قبل بريطانيا رئيساً للوزراء (١٩٥) وفى يناير ١٩٤٨ حققت البلاد استقلالها عن بريطانيا وصار اسمها بورما (١٩٦).

الفصل العاشر

تطور تاريخ تايلاند الحديث والمعاصر

تايلاند

هــى إحــدى دول جنوب شرق آسيا ذات العبق التاريخى والكثافة السكانية العالــية . وتعد – شأنها شأن بقية دول جنوب شرق آسيا– من أغنى مناطق العالم بــالمواد الخــام وأكبر أسواق العالم الاستهلاكية ؛ مما جعلها محط أطماع الدول الاستعمارية خلال الفترة الحديثة والمعاصرة .

ترجع تسمية تايلاند بهذا الاسم إلى شعوب التاى التى قدمت من إقليم يونان جــنوب الصــين (١٩٧) ، وقد أصبح تايلاند الاسم الرسمى لهذه الدولة منذ عام ١٩٣٦ . أمــا الاسم الآخر وهو سيام فقد أطلقه الأجانب عليها ولا يزال مستعملاً حتى هذه الآونة (١٩٨).

– تايلاند قبيل الوجود الأوروبى

يمكــن التأريخ الفعلى لدولة تايلاند الحديثة منذ أن قام شعب خمير Khmer أو كمــر بإنشاء أول ولاية فى سيامو وذلك منذ القرن الساس الميلادى (١٩٩) ، وقــد ظهــر تأثر هذا الشعب بالثقافة الهندية بصورة جلية (٢٠٠). وقد استمرت حضارتهم – التى اتخذت من شيانج ماى مركزاً لمملكتهم التى عُرفت باسم هاريبو نداجاجا – حتى القرن الثالث عشر (٢٠١)

وعلــى الرغم من التوسع المغولى الذى دفع بأفواج من التاى نحو الجنوب اســتطاعت تأســيس ولايات جديدة فى الجنوب ، وحاولت جاهدة الاستيلاء على الممــالك الــتى أسســها الخمير . فإنه بحلول القرن الرابع عشر اتحدت الولايات الجنوبــية وكونــت مملكة تايلاند التى تقدمت بصورة تدريجية صوب شبه جزيرة الملايــو جنوباً وكمبوديا شرقاً، لكنها اضطرت خلال الفترة التى امتدت من القرن الخــامس عشر حتى القرن الثامن عشر إلى خوض العديد من الحروب للمحافظة على استقلالها ضد "بيجو وبورما" وصدت غزو بورمى آخر لتايلاند سنة ١٧٥٧ علــى يــد قائد تايلاندى من أسرة " شاكرى " التى ظلت تحكم تايلاند حتى القرن العشرين (٢٠٢).

وكرد فعل للغزو البورمى بدأت تايلاند فى محاولة السيطرة على بورما" مينا نمـــار" ، وكانـــت مديـــنة "شينجماى" التى حاولت كل منهما السيطرة عليها سبباً محتملاً بين القطرين للنزاع ، وكان لدى بورما قوى عتيدة تحت قيادة "الونجيبايا" الـــذى كـــان يمتلك ذريعة يستطيع من خلالها التوغل صوب تايلاند ؛ ونعنى بها هـــروب بعض الجنود الخارجين عليه والذين عُرفوا بجيوش "مون" شرقاً صوب أراضـــى تـــايلاند ، وكان قد طردهم من "بيجو" ، وبدأ ألونجيبايا عملية الغزو فى أواخر عام ١٧٥٩ واتخذ قرار خطير بإقامة عاصمة جديدة بالقرب من البحر فى " بـــانكوك " ، إلا أن تايلاند تمكنت من الاحتفاظ باستقلالها خلال السنوات التالية . وقبيل عام ١٧٧٠ عندما واجهت بورما بنجاح الغزو الصينى ، وكان التايلانديون فـــى مركـــز يمكنهم من صد كل محاولة لإعادة سيطرة بورما عليها ، استطاعت تـــايلاند اســـترداد شـــينجماى ، وإفشال آخر محاولة بورمية لغزو تايلاند فى عام ١٧٧٥ . وبذلـــك ســـيطرت تايلاند على شيـــنجماى إحدى أهم المدن التى كانت بورما تدعى ملكيتها لها ، وضرورة اعتراف تايلاند بذلك الأمر (٢٠٣).

ولم تكتف تايلاند بالنفوذ فى بعض مناطق بورما بل أنها استطاعت فى عام ١٧٨٦ فرض حمايتها على كمبوديا ، لكن هذا الأمر قوبل بالتحدى عام ١٨٠٩ ، حيـــنما أقدمـــت فيتـــنام " آنام " على غزو كمبوديا ، ونتيجة لذلك قُسمت أراضى كمـــبوديا، فضـــمت تايلاند إقـــليم "باتا مبانج " ، وجعلت فيتنام من الباقى ولاية تابعة لها(٢٠٤) .

- تايلاند والغرب الأوروبى

هـــناك حقـــيقة جديـــرة بالملاحظة حينما يتطرق الباحث إلى دراسة تاريخ تـــايلاند ، ونعـــنى بها التأكيد على اختلاف تاريخ تايلاند إذا قورن بتاريخ الشرق الأقصـــى بصـــفة عامـــة ، وجنوب شرق آسيا خاصة ؛ حيث أن استقلال تايلاند وحدهـــا من بين دول جنوب شرق آسيا فى أواخر القرن التاسع عشر يعد ظاهرة

تاريخـــية تصـــور إلى حد كبير مقدرة ملوك تايلاند في الحفاظ على بلادهم ، مما أدى في نهاية الأمر إلى أنها لم تكن قط مستعمرة (٢٠٥).

بـــدأ البرتغالـــيون ينشئون علاقات مع تايلاند بعد استيلائهم على ملقا عام ١٥١١، غير أنه بحلول القرن السابع عشر ، حل محلهم الهولنديون ، لكن الواقع أثبـــت أن الوجود البرتغالي والهولندي والرحالة الذين أتوا من هذه البلاد ووصلوا إلى شواطئ تايلاند كانوا لا يهتمون بشئ سوى التجارة ، وكان نفوذهم ضعيفاً إذا قورن بالنفوذ الفرنسي والبريطاني (٢٠٦).

ولذا تعد فرنسا من أهم الدول الأوروبية التي قامت بإنشاء شبكة واسعة من العلاقـــات مع تايلاند ، فقد حاولت خلال النصف الأول من القرن السابع عشر العـــدوان علـــى تايلاند ، إلا أنها فشلت ، ولم تعد تفكر في ذلك الأمر إلا بعد مدة طويلـــة . وعلى الرغم من أن فرنسا لم تعد لمضايقة تايلاند فإن البلاط الملكي في بـــانكوك ظـــل يراقب نشاط عملائها مراقبة شديدة ودقيقة ، لكن المسألة أصبحت ذات أهمية مباشرة لدى تايلاند بعد تدخل نابليون الثالث في عام ١٨٦٨ واستقرار الـــنفوذ الفرنســـي في كمبوديا بمقتضى معاهدة ١٨٦٣ ، خاصة وأن تايلاند كانت تدعـــي لنفسها بعضاً من السيادة المبهمة على كمبوديا ، فلما شرع الفرنسيون في الضـــغط علـــى الملـــك الكمبودي ، حول وجهه شطر ملك بانكوك كي يطلب منه المســـاعدة ومساندته ضد التغلغل الفرنسي الذي أحدق ببلاده في ذلك الوقت والذي كاد يقضي على نفوذه في البلاد . وقد أسفر ذلك في نهاية الأمر عن توقيع معاهدة مـــع تـــايلاند فـــي أول ديســـمبر عام ١٨٦٣ ، وخلافات دبلوماسية بين الطرفين الكمـــبودي التايلاندي من جهة والفرنسي من جهة أخرى ، انتهت بعقد اتفاقية بين فرنســـا وتايلاند تنازلت فيها الأخيرة عن ادعاءاتها في كمبوديا ، مقابل مقاطعتي "أنجكـــور وباتام بادج" ، وحصول فرنسا على حق الملاحة في نهر الميـــكونج ، وكـــان هذا التنـــازل الأخير من قبل تايـــلاند موضع منازعات فيما بعد (٢٠٧).

وعقـــب تهدئة الأمور بين فرنسا تايلاند ، بدأت أولى الاتصالات الفرنسية التايلاندية الجادة عن طريق المنصرين ، وذلك فى النصف الثانى من القرن السابع عشـــر ، وبخاصة خلال الفترة الممتدة من ١٦٦٠ إلى ١٦٨٠ . والواقع أن كثير مـــن هـــؤلاء المنصرين قد نالوا حظوة عظيمة من قبل الأهالى فى تايلاند ، لأنهم كانوا يولون التعليم المهنى والفنى والعسكرى عناية خاصة بجانب التعليم الدينى ، حيث أنهم قاموا بتدريس الهندسة العسكرية وكيفية بناء الحصون .. ونتيجة للسياسة الـــتى اتبعـــتها فرنسا تجاه الأهالى ، عيّـــن أحد الأطباء الفرنسيين الذى كان يقوم بمهمـــة التنصير حاكماً على جزيرة "بوكت " ، كما لاقى عدداً من الأجانب ترحيباً مـــن حكام تايلاند ، أبرزهم المغامر اليونانى " قسطنطين فولكون " الذى أتى إلى "أجوثـــيا" عام ١٦٧٥ ثم عمل فى خدمة حكومة تايلاند ، ثم أصبح صاحب مكانة كبيرة باعتباره مشرفاً على التجارة الخارجية التابعة للفرنسيين الذين افتتحوا وكالة تجاريـــة فـــى أجوثـــيا سنة ١٦٨٠ . وقد ساعد قسطنطين فولكون فى تقدم سير العلاقـــات السياسية بين فرنسا وتايلاند ، وذلك حينما أقنع – بحماسته التى اشتهر بهـــا آنذاك – حكام تايلاند على ضرورة توطيد العلاقات السياسية مع فرنسا ؛ لما فـــى ذلك من مصلحة سوف تجنى تايلاند من خلالها مكاسب عديدة ، خاصة وأن فرنسا فى تلك الآونة كانت بمثابة الدولة الأوروبية التى تتمتع بمركز وثقل كبيرين إذا قورنت بالدول الأوروبية الأخرى (٢٠٨).

وقد أدت جهود قسطنطين فولكون فى نهاية الأمر إلى سفر بعثة تايلاندية إلى فرنســـا فى عام ١٦٨٠ ، واصطحبت معها الكثير من الهدايا ، أهمها مجموعة من الأفـــيال الصغيرة ، وحيوان وحيد القرن لتقديمها إلى الملك الفرنسى لويس الرابع عشـــر ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كان هناك خطاباً مكتوباً على صحيفة من الذهب ، غير أن الرياح قد أتت بما لا تشتهى السفن ، حيث تحطمت المركب التى كانـــت تقل البعثة . وبعد أربعة سنوات عاودت تايلاند الكرة مرة ثانية رغبة منها فى إقامة علاقات طيبة مع فرنسا ، وظهر ذلك بحلول عام ١٦٨٤ ، حينما أرسلت بعـــثة أخرى ، وصلت إلى فرنسا سالمة . وعلى الجانب الآخر أرسلت فرنسا فى

عـــام ١٦٨٥ بعثة في سفينتين حربيتين فرنسيتين نجحت في إقامة علاقات تجارية بيـــن الطرفيـــن ، حيـــنما تم التوقيع على معاهدة تجارية سُمح بمقتضاها للشركة الفرنســـية بالقـــيام بالتجارة الكاملة مع الوكلاء الملكيين التايلانديين ، كما حصلت الشـــركة أيضـــاً على حق احتكار صادرات القصدير في جزيرتي "بوكت وأوجنج وســـلانج ". ولم يقتصر الأمر على ذلك بل زادت تايلاند في كرمها تجاه فرنسا ، حيث تم التنازل لهذه الشركة عن "سيبخورا "(٢٠٩).

علـــى الـــرغم من تلك السياسة التايلاندية ، طمعت الشركات الفرنسية في المـــزيد ، وأدى ذلك إلى مجئ المزيد من الفرنسيين إلى أجوثيا ، حيث أنه بحلول عـــام ١٦٨٧ وصـــل نحو ستمائة جندي فرنسي ، وثلاثمائة من الصناع والفنيين المهـــرة ، وقـــد أدى ذلـــك بدوره إلى حدوث المناوشات بين الفرنسيين والأهالي والدوائـــر الحكومـــية في تايلاند ، كما أنه بحلول عام ١٦٨٨ تم إعدام قسطنطين فـــالكون الـــذي كـــان يفضـــل الشركات الفرنسية دائماً على غيرها من الشركات الأوروبـــية ، بل والأكثر من ذلك يعمل لحساب فرنسا على حساب تايلاند نفسها ، مما أدى إلى سوء العلاقات الفرنسية التايلاندية ، ووضح ذلك بصورة واسعة من خـــلال السياسة التي اتبعتها حكومة تايلاند تجاه رجال الدين الذين جابوا البلاد من أجل القيام بعملية تنصير بين أهالي تايلاند ، حيث قامت الحكومة بسجن عدد كبير مـــن المنصرين ، وذبح كل من وصلت إليهم أيديهم من الذين اعتنقوا المسيحية . وعلـــى الـــرغم من سماح السلطات التايلاندية للجنود الفرنسيين الذين وُجدوا في بـــانكوك بالانســـحاب إلـــى الهند ، فإن كثيراً من الذين كانوا يعسكرون في النقط الخارجية إما قتلوا أو سجنوا (٢١٠) .

ونتيجة لذلك بدأت فرنسا في محاولة إيجاد الفرص والذرائع من أجل إشعال نـــيران الحرب بينها وبين تايلاند ، ولم تلبث أن وجدت الذريعة التي تتعلل بها في حادث على حدود تايلاند عام ١٨٩٣ حين قُتل بعض الفرنسيين في حادث من نفس الـــنوع الـــذي كانـــت الدول الاستعمارية تتخذه ذريعة لها أثناء تعاملها مع الدول

الضعيفة ، فهددت فرنسا بإطلاق نيران مدافعها على بانكوك ما لم تسلم إليها جميع الأراضـــى الواقعة إلى الشرق من نهر ميكونج ، فضلاً عن الأجزاء الواقعة على مجـــرى النهر ، وانسحاب رجال الشرطة والقوات العسكرية على الضفة الغربية إلـــى مســـافة عشرة أميال ودفع تعويض باهظ . ولم تكتف فرنسا بذلك بل حتمت علـــى تـــايلاند مـــنحها الحق فى أن تفتح حيثما تشاء قنصليات تتمتع بالامتيازات الأجنبـــية . وبمقـــتضى هذه المعـــاهدة سقت تايلاند من نفس الكأس التى شربته فيتـــنام ، خاصـــة أن الفرنسيين اشتطوا فى تفسير الامتيازات القضائية الأجنبية ، الـــتى طبقـــتها بصـــورة بشعة على الآسيـــويين الذيـــن كانـــوا يقطنـــون تايلاند آنـــذاك (٢١١).

ولم تكتف السياسة الفرنسية بذلك بل أنها عملت على إذلال تايلاند بصورة مهيـــنة ، فحينما شعرت فرنسا بالقلق خشية أن ينفرد الانجليز بالنفوذ فى تايلاند ، عملـــت فى العام نفسه على جعل لاوس الـــتى كـــانت تـــابـــعة من قبل إلى نفوذ حكام تايلاند خضوعاً مباشراً محمية فرنسية (٢١٢).

أمـــا بالنســـبة للعلاقـــات التايلاندية – البريطانية ، فيجب الإشارة إلى أن علاقـــات تـــايلاند بـــالدول الغربية كانت مرضية من جميع النواحى حتى هُزمت القـــوات الصينية واستقرت السيطرة الأوروبية فى الشرق الأقصى وزاد نفوذها . وكانـــت المعـــاهدة التى عقدها الكابتن " بيرنى "الإنجليزى عام ١٨٢٦ مع ملوك تـــايلاند ، تنص على أن الرعايا البريطانيين الذين يزورون قطراً تايلانديين ينبغى أن يكون مسلكهم وفق قوانين تايلاند . وكان معنى ذلك أن جميع الرعايا الانجليز عرضة للحكم عليهم بالإعدام فى حالة قتلهم لأحد الأشخاص . وبالضرب بالسياط أو الغرامة أو الحبس على جرائم أخرى يرتكبونها ، أو الطرد المباشـــر من البلاد فـــى حالـــة استعمـــالهم لـــغـــة لا تـــنـــم عن الاحـــترام فى خطابهـــم لأى موظـــــف سيـــامى (٢١٣).

ونتـــيجة للسياسة التى قامت منذ عقد هذه المعاهدة بين الطرفين وعدم إثارة القلاقل بين العناصر الانجليزية التى وجدت فى ذلك الوقت بتايلاند وأهالى البلاد ، أصبحت الأمور هادئة ، وتوغلت العناصر الانجليزية فى ربوع البلاد . ومما دل على العلاقات الطيبة التي وجدت بين الطرفين فى هذه الآونة ، تمكن السير"جون بـــاورنج" خـــلال المعاهدة التى عقدت بين بريطانيا وتايلاند ، الحصول على مبدأ الامتيازات القضائية للرعايا البريطانيين ، وإذن ببناء الكنائس فى البلاد (٢١٤).

وعلـــى الرغم من سياسة تايلاند تجاه بريطانيا فقد بدأت السياسة البريطانية الاســـتغلالية تظهـــر فـــى الأفق بحلول عام ١٦٨٧ ، حينما أرسلت شركة الهند البريطانـــية بارجتيـــن إلى ميناء "مرجوى" التايلاندى ، وأدى ذلك الأمر إلى سوء التفاهم بين تايلاند وبريطانيا ، حيث وجهت السلطات التايلاندية التهم إلى العناصر الانجلـــيزية الـــتى كانـــت تقيم على الشاطئ ، كما ذبح التايلانديون نحو خمسين شخصـــاً مـــن الانجلـــيز . وأعلنـــت تـــايلاند الحـــرب رّسميـــاً على الشـــركة الانـــجـــليزية (٢١٥)

على الرغم من رغبة كل من فرنسا وإنجلترا نتيجة السياسة التى تعرضا لها فـــى تايلاند أن يحتفظان بتايلاند كدولة حاجزة ، فإنهما رغبا فى الاستيلاء على بعض أراضيها ، وقد ظل النزاع على الحدود التى لم تكن واضحة بينهما إلى أن وقفـــت بريطانيا وتايلاند لتسوية مشاكل الحدود بينهما سلمياً . أما فرنسا فقد أثبتت أن لديهـــا نيات عدوانية ، فاضافت " لوانج بريان " إلى الهند الصينية بعد هجمات متـــوالـــية فانـــفصلت بذلك تايلاند عن الصين ولامست الأملاك الفرنسية أرض بورما (٢١٦).

والواقـــع أن الأطمـــاع التى كانت تضمرها الحكومة الفرنسية تنطوى على إدخال تايلاند بأكملها تحت حمايتها ، وإن لم يتيسر ذلك فلا أقل من الحصول على أكـــبر مـــا يمكن اقتطاعه من أراضى تايلاند ، لكن معارضة انجلترا لذلك الأمر جعلت تنفيذ تلك السياسة عسيرة ، ثم كان تدهور الموقف فى أوروبا(٢١٧) .

وفـــى ظل هذا المناخ بدأت المفاوضات البريطانية الفرنسية من أجل تقسيم تـــايلاند ، وقد اتضح ذلك عام ١٨٩٦ ، حينما عقد الطرفان اتفاقية قسمت تايلاند إلـــى ثـــلاث مـــناطق " فرنسية – بريطانية – محايدة " . ثم قامت فرنسا فى عام ١٩٠٤ ببسط نفوذها على منطقة فسيحة من الأراضى وإقامة منطقة محايدة . وفى عـــام ١٩٠٧ – بمســـاندة بريطانـــيا – أجـــبرت تايلاند على التنازل عن المنطقة المحـــايدة ، كمـــا حصلت بريطانيا فى عام ١٩٠٩ على اعتراف كامل باستيلائها علـــى ماليزيا " الملايو " ففقدت تايلاند بهذا الاعتراف ثلث أراضيها ، ولم يبق لها سوى كتلة متماسكة من السكان أغلبهم من التايلانديين (٢١٨).

– تايلاند والنهضة الإصلاحية

نتـــيجة لهذه الظروف وقبلها ، ظهرت ملامح النهضة التايلاندية منذ اعتلاء الملـــك "مونج كون" العرش عام ١٨٥١ ، ولما كان هذ الملك ذكياً ومحباً للاطلاع فقد فضل لبلاده سياسة تصطبغ بالصبغة الغربية بالتدريج ، وظهر فى أثناء حكمه التقدم فى إنشاء الطرق وشق القنوات وتشييد السفن (٢١٩)

واستمر الملك " شولا لونج كورن" منذ اعتلائه العرش التايلاندى عام ١٨٦٨ فـــى الاقتباس من النظم الغربية الحديثة فى كافة المجالات ، وبدأ فى تطبيق ذلك من داخل بيته ، خاصة مع وجود مربية إنجليزية ومعلم إنجليزى لأولاده ، ونتيجة لثقافته الواسعة ورحلاته إلى الخارج ، أدخل تعديلات جوهرية فى جميع المصالح الحيوية (٢٢٠) واقتبس هو ومن أتى من بعده الكثير من النظم الأوروبية وقوانين التعلـــيم والنظم القضائية ، وأدرك الملك بعين البصيرة مصادر قوة الدول الغربية التى زارها ، فأدخل مجموعة من الإصلاحات منها إلغاء الرق ورق الدين وإعادة تنـــظـــيم الـــحكومـــة والدولة وإنشـــاء جمـــعية تشـــريعية ومجلس وزراء عام ١٨٨٥ (٢٢١). وخلال العشر سنوات التالية صبغ دولته بالطابع العصرى ، فأنشأ خطـــوط الســـكك الحديدية والتلغراف والتليفونات ، كما أصلح نظام العملة وأنشأ

نظام عصرى للبريد ، ثم وضع قانون جديد للعقوبات ، مع أنه لم ينفذ إلا فى سنة ١٩٠٨(٢٢٢).

وأدخلت النظم الحديثة فى الجيش ووزارة العدل ونظام الضرائب ، وكان ذلك شرطاً لإقامة السلطة المركزية التى استلزمت الحد من سلطة النبلاء الذين كانوا فى مختلف أنحاء البلاد يصدرون قوانينهم الخاصة ويتمردون على السلطة الحاكمة فى بانكوك (٢٢٣).

ونتيجة لسيطرة الملكية المستبدة على الأمور فيما بعد ، بدأت الفئة القليلة من السياسيين الذين تعلموا العلوم الغربية وتطلعوا إلى نصيب من النفوذ السياسى إظهار أنفسهم باعتبارهم دعاة النظم الدستورية ومعارضة الحكم الاستبدادى . وبحلول يونيو ١٩٣٢ نجحوا بمساعدة ضباط الجيش والبحرية فى إحداث انقلاب كان من أهم نتائجه رضاء الملك عن تحديد سلطاته بمقتضى دستور ديمقراطى (٢٢٤) ولم يكن من أثر – كبير – لهذه الثورة غير الدامية سوى قبول طبقات جديدة فى الحكم بعدما كان ذلك مقتصراً على أقرباء الأسرة المالكة (٢٢٥) ، ولذا لم تأت هذه الثورة فى الواقع بالديمقراطية إلى تايلاند (٢٢٦).

وقد استمر الحال فى تايلاند على هذه الشاكلة حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية ، ولكن تايلاند كانت الدولة الوحيدة فى جنوب شرق آسيا التى كانت معاناتها من هذه الحرب أقل بكثير مما عاناته الأقطار الآسيوية الأخرى على يد اليابان عام ١٩٤١ (٢٢٧).

– تايلاند منذ الحرب العالمية الثانية

منذ الاحتلال اليابانى لآسيا أثناء الحرب العالمية الثانية وجدت تايلاند نفسها فى مأزق حرج فقد استسلمت لليابانيين بعد مقاومة صورية ، ثم أعلنت الحرب على الحلفاء ، ومع ذلك فقد تعاون فى أثناء الحرب الكثير من الموظفين والمواطنين التايلانديين مع الحلفاء سراً . وبعد هزيمة اليابان ادعى التايلانديون أن

إعـلان الحـرب لـم يكن قانونياً . وبحلول عام ١٩٤٥ أعلنت الولايات المتحدة الأمريكـية أن تايلاند لن تعامل كعدو مهزوم ، لكن الانجليز والفرنسيين لم يكونوا علـى اسـتعداد لنسـيان الماضى . وفى تلك الآونة أعادت تايلاند الأراضي التى اقتطعـتها مـن مالـيزيا بمقتضى معاهدة عقدت بينها وبين إنجلترا والهند عـام ١٩٤٦ ، كمـا وافقت على عدم إنشاء قناة فى جنوب تايلاند. أما علاقاتها بفرنسا فقد تعقدت بسبب ثورة فيتنام فى الهند الصينية الفرنسية ، فلجأت تايلاند إلى الأمم المتحدة بعد أن وقعت عدة مصادمات على الحدود ، لكنها سوت النزاع بينها وبين فرنسـا بعـد ذلك بمفاوضات مباشرة ، وأعادت لها الأراضى التى استولت عليها مقابل عدم اعتراض فرنسا على انضمام تايلاند للأمم المتحدة (٢٢٨).

وفـى العـام نفسه أعادت تايلاند تنظيم حكومتها ، ومع أن دستورها الذى صـدر عام ١٩٣٢ نص على إقامة نظام الملكية المقيدة ، فإن البلاد وقعت تحت حكـم حزب سياسى واحد يرأسه " لسوانج برادت . ولذا وضع دستور جديد عام ١٩٤٦ نـص علـى إنشـاء برلمان مكون من مجلسين منتخبين ووزراء أكثر مسـئولية . وفى يونيو من نفس العام قتل الملك بطريقة خفية ، وتولى الملك من بعـده أخوه "فوميون أدونيت " الذى كان يبلغ من العمر آنذاك تسعة عشر عاماً ، لكـنه ظـل يواصل دراسته فى سويسرا ، مما أدى إلى سقوط الحكومة على أثر انقـلاب عسكرى تحت زعامة المرشال " فيبول سونجرام " الذى أقام ديكتاتورية عسـكرية دون إحـداث أى تغيير فعلى فى شكل الحكومة ، ولم يتمكن من تولى الوزارة بنفسه إلا سنة ١٩٤٨ . واستطاع توطيد مركزه فى الحكم رغم قيام العديد من المحاولات لإبعاده عن الحكم . ورغم عودة فوميون أدونيت لحضور حفلات التتويج فى ٥ مايو ١٩٥٠ لم تضعف قبضة سونجرام على حكومة البلاد (٢٢٩).

وبعـد أن انضـمت تايلاند إلى "حلف جنوب شرق آسيا " أجبرت الولايات المـتحدة الأمريكـية حكومـة "فيـبول سونجرام " التايلاندية على القيام ببرنامج عسكري واسع النطاق وضعت خطته في واشنطن . وقد كانت أول نتيجة لاشتراك

تايلاند فى الحلف هى زيادة جيشها زيادة جوهرية ، ففي الوقت الذى كان يبلغ فيه فـــى مـــارس ١٩٥٤ نحـــو ٧٠٠٠٠ ، وصل إلى ١٨٠٠٠٠ ألف بحلول مارس ١٩٥٦ . وكـــان على تايلاند بمقتضى المادة السادسة فى الفقرة الثانية من اتفاقية المعونـــة العســـكرية التى أبرمت عام ١٩٥٠ أن تفشى جميع الأسرار العسكرية للمستشـــارين الأمريكيين ، وأن من شروط دخولها فى حلف جنوب شرق آسيا أن تضـــع أراضـــيها وبخاصة المنشآت العسكرية تحت تصرف الحلف . وقد أحدث تســـليحها فـــى ظل الضغط الأمريكى اضطراباً فى الزراعة وأزمة فى الصناعة والتجارة ، كما أدى إلى إفلاس الخزانة وإغلاق عدد كبير من المشروعات وازدياد البطالة ووقوع طبقات تايلاند العاملة تحت وطأة العوز والفقر (٢٣٠).

الهوامش

الحواشي

١- ك.م بانيكار – آسيا والسيطرة الغربية ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد – مراجعة أحمد خاكي – وزارة الثقافة – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ١٩٦٢ ص ٧-١٠.

٢- المصدر السابق ص ١٩ – ٢٠.

٣- د. جاد طه – التاريخ الأوربي الحديث – جامعة عين شمس، ١٩٩٨ ص ٦٣ – ٦٧.

٤- لمزيد من التفصيلات – المصدر السابق ص ٦١ – ٧١.

٥- ك.م. بانيكار – المصدر السابق ص ٥٥ – ٥٩.

٦ – المصدر السابق ص ٥٩ – ٦٧.

٧- د. عبد العزيز سليمان نوار – تاريخ الشعوب الإسلامية، مكتبة سعيد رأفت – جامعة عين شمس د.ت – ص ٥٠٥-٥٠٩.

٨- د. جاد طه – تاريخ آسيا الحديث – جامعة عين شمس، ص٢٢٤-٢٤٦.

٩- د. عبد العزيز سليمان نوار – تاريخ الشعوب الإسلامية – المصدر السابق ص٥٤٥ – ٥٥٨.

١٠- د. جاد طه – تاريخ آسيا الحديث – المصدر السابق ص ٢٥٨-٢٦٥.

١١- د. عبد الحميد البطريق وآخر – باكستان ماضيها وحاضرها – دار المعارف – د.ت ص ١٠٣.

١٢- احسان حقى – مأساة كشمير المسلمة ط٣ – القاهرة ١٩٩٣ ص ٦٧.

١٣- د. عبد الحميد البطريق – باكستان ماضيها وحاضرها المصدر السابق ص ١٠٤.

١٤- عبد المنعم النمر – كفاح المسلمين في تحرير الهند – دار الهند الجديدة ١٩٥٩ ط ١ ص ١٣٧.

١٥- عمر فروخ – باكستان دولة ستعيش – بيروت – دار الكشـــاف ١٩٥١ ص ٨٣.

١٦- السياسة الدولية .ع ١٤٦ اكتوبر ٢٠٠١ – أحمد ابراهيم محمود:– الهند والقدرات الوطنية والعلاقات الاقليمية ص ٥٧.

١٧- عمر فروخ – المصدر السابق ص ٨٣.

١٨- السياسة الدولية ع ١٤٦ اكتوبر ٢٠٠١ – المصدر السابق ص ٥٧.

١٩- د. محمد عبد المنعم الشرقاوى – د. محمد محمود الصياد – ملامح الهنـــد وباكستان – دار المعارف المصرية ١٩٥٢ ص ١٩٣.

٢٠- هانى إلياس الحديثى – سياسة باكســـتان الإقليميـــة ١٩٧١ – ١٩٩٧- مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ١٩٨ ص ١٢١ – ١٢٢.

٢١- المصدر السابق ص ١٢٣-١٢٤.

٢٢ – السياسة الدولية ع ١٤٦ اكتوبر ٢٠٠١ احمد ابراهيم محمـــود – الهنـــد والقدرات الوطنية والعلاقات الإقليمية ص ٥٧-٥٩.

٢٣- سيد عيسى محمد – الحركة الوطنية فى الصين ضد النفوذ الأجنبى ١٨٣٩- ١٩١١ – رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الآداب – جامعة عـــين شمس، ٢٠٠١، ص ٤، ٥.

٢٤- المصدر السابق ص ١٧.

٢٥- ك.م. بانيكار – المصدر السابق ص ٦٨ ص ٦٩.

٢٦- المصدر السابق ص ١٣٩-١٤٣.

انظر أيضا د. جاد طه – تاريخ آسيا الحديث – المصدر السابق ص ٢٧- ٤٣.

27- Winfred Galbraith – The Chinese Penguin Books – New York 1945. p. 95.

أنظر سيد محمد عيسى – المصدر السابق ص ١٤٨.

28- John K. Fairbank – East Asia – Harvard – U.S.A. 1978 p.p. 214-216.
أنظر سيد محمد عيسى المصدر السابق ص ١٥٠.

٢٩- محمد العزب موسى – حرب الافيون – دار المعارف ١٩٦٨ – ص ٩٦.

30- Franz H. Michael & Gearge E. Taylor – The Far East in the Modern World – Washington 1956 p. 185.
سيد محمد عيسى – المصدر السابق ص ١٥١-١٥٩.

٣١- سيد محمد عيسى – المصدر السابق ص ١٦٤ – ١٧٦.

32- John K. Fairbank – Op. cit p. 476.

33- H.M. Vinache – A History of the Far East in Modern Times. New York 1978 p. 223.

٣٤ – محمد نعمان جلال – الصراع بين اليابان والصين – القاهرة ١٩٨٩ ص ١٥.

٣٥ – د. عبد الحميد البطريق – التيارات السياسية المعاصرة، القاهرة ١٩٨٢، ص ٣٠٧، ٣٠٨.

٣٦- د. محمد نعمان جلال – الصراع بين اليابان والصين – المصدر السابق ص ٢٢.

٣٧- د. ميلاد المقريحى – تاريخ آسيا الحديث والمعاصر (شرق آسيا – الصين – اليابان – كوريا) جامعة قاريونس بنغازى – ١٩٩٧ ص ٥٦.

٣٨- د. ميلاد المقريحى – المصدر السابق ص ٦٢-٦٣.

٣٩- المصدر السابق ص ٦٧-٧٣.

٤٠- د. جاد طه – تاريخ آسيا الحديث – المصدر السابق ص ٤٦-٤٧.

٤١- د. ميلاد المقريحى – المصدر السابق ص ٧٥ – ٨١.

٤٢- المصدر السابق ص ٨٢-٨٣.

٤٣- د. عبد الحميد البطريق – التيارات السياسية المعاصرة، المصدر السابق، ص ٣١٥.

٤٤- د. محمد نعمان جلال — الصراع بين اليابان والصين — المصدر السابق ص ٣٠-٣٦.

٤٥- د. ميلاد المقريحى — المصدر السابق — ص ٨٦-٨٨.

٤٦- د. محمد نعمان جلال — الصراع بين اليابان والصين ص ٣٨.

٤٧- د. عبد الحميد البطريق — التيارات السياسية المعاصرة — المصدر السابق ص ٣١٧-٣٢٠.

٤٨- د. ميلاد المقريحى — المصدر السابق. ص ١٠٩ — ١١١.

٤٩- د. محمد نعمان جلال — الصراع بين اليابان والصين — المصدر السابق ص ٧١ ، ٧٢.

٥٠- د. ميلاد المقريحى — المصدر السابق ص ١١٥ ، ١١٦.

٥١- المصدر السابق ص ١١٩- ١٢٣.

52- John W, Hall – Japan From Pre-History to Modern Times (New York) 1970 p. 65.

أنظر د. ميلاد المقريحى — المصدر السابق ص ١٦٨.

٥٣- د. ميلاد المقريحى — المصدر السابق ص ١٦٩ — ١٧٣.

٥٤- ك.م. بانيكار — المصدر السابق ص ٨٤، ٨٥.

٥٥ — المصدر السابق ص ٨٦ — ٩١.

٥٦- د. جاد طه — تاريخ آسيا الحديث — المصدر السابق ص ٥٥-٦٤.

٥٧- ك.م. بانيكار — المصدر السابق ص ٢٢٠-٢٢٤.

٥٨- المصدر السابق ص ٣٠٤-٣٠٧.

٥٩- د. جاد طه — تاريخ آسيا الحديث — ص ٧٦ — ٨٧.

٦٠- د. عبد الحميد البطريق — التيارات السياسية المعاصرة — المصدر السابق ص ٤٢٧-٤٢٩.

٦١- المصدر السابق ص ٤٣٠ — ٤٣٣.

٦٢- د. ميلاد المقريحى — المصدر السابق ص ٢٣٢-٢٣٦.

٦٣- المصدر السابق ص ٢٣٧-٢٤٠.

٦٤- د. ميلاد المقريحى — المصدر السابق ص ٢٨٣-٢٨٥.

65- Dr. Kim Han Gil Modern History of Korea Foreign Languages Publishing House Pyongyang, Korea 1979 p. 10.

66- Annual Slatitic Bulletin of The Government – General of Korea , 1929 p.p. 361-362.

أنظر: Dr Kim Han Gil op. cit p. 10

67- Dr Kim Han Gil op cit p.p. 11, 15

68- Ibid p.p. 14-18.

69- Dr. Kim Han Gill op. cit p. 20-48.

٧٠- د. ميلاد المقريحى — المصدر السابق ص ٢٨٦-٢٨٨.

٧١- د. عبد الحميد البطريق — التيارات السياسية المعاصرة — المصدر السابق ص ٤٧٤.

72- Dr. Kim han Gil op. cit p.p. 287.

٧٣- د. ميلاد المقريحى — المصدر السابق ص ٢٩١.

٧٤- لمزيد من التفصيلات:

Dr. Kim han Gil op. cit p.p. 288-352.

٧٥- د. ميلاد المقريحى — المصدر السابق ص ٢٩٢.

76- http://interknowledge.com Indonesia.

77- http://www.lonely planet com/ destinations/ south East Asia/ Indonesia/history. Htm.

٧٨- ديتس سميث — اندونيسيا شعبها وأرضها ترجمة د. حسن محمود وحسن جلال العروسى مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٢ ص ٨١ — ٩٣.

٧٩- ك ل بانيكار — المصدر السابق ص ١١٢- ١١٤.

٨٠- د. جاد طه — تاريخ آسيا الحديث المصدر السابق ص ١٠-١٥.

٨١- ديتس سميث — المصدر السابق ص ٩٩-١٠٥.

٨٢- لمزيد من التفصيلات المصدر السابق ص ١١٨-١٤٨.

83- http://www gimonca, com/ serjarah/ serjarah/ 03 shtml

٨٤- محمد جلال عباس – فيتنام – قصة كفاح شعب – دار المعارف بمصر – د.ت ص ١٣-٢٠.

85- Latourette, K. A Short History of The Far East U.S.A. 1946. P. 273.

انظر د. إلهام محمد ذهني – فرنسا والهند الصينية – مقال في مجلة كلية الدراسات الإنسانية – جامعة الأزهر ع١٩٨٧/٧٤ ص ٩٤.

86- Gady, J. The Roots of French Imperialism in Eastern Asia. U.S.A. 1954 p. 10.

أنظر د. إلهام محمد ذهني – المصدر السابق ص ٩٨.

٨٧- د. إلهام محمد ذهني – المصدر السابق ص ١٠٩.

88- Hall D.G. – A History of South East Asia. London 1955 p. 573.

أنظر د. الهام محمد ذهني – المصدر السابق ص ١١٥.

٨٩- د. إلهام محمد ذهني – المصدر السابق ص ١١٦-١٢٢.

٩٠- المصدر السابق ص ١٢٨-١٢٩.

91- http://www Spartacus, school net , co, uk/2www Vietnam , httm.

92- Clyde Paul Hulbert – The Far East , New York 1958 p. 127.

أنظر أيضا محمد جلال عباس – المصدر السابق ص ٧٠-٧١.

٩٣- محمد جلال عباس – المصدر السابق – ص ٧١-٧٦.

٩٤- محمد جلال عباس – المصدر السابق ص ٧٧.

95- http.://www Spartacus school net, co, uk/ 2www Vietnam, httm.

96- Grozier, Brain – South East Asia in Turmoil, London p.36.

أنظر محمد جلال عباس – المصدر السابق ص ٨٠.

٩٧- محمد جلال عباس – المصدر السابق ص ٨١.

98- httm://www history place com/ united states, Vietnam / Index – 1945 htm .

٩٩- محمد جلال عباس – المصدر السابق ص ٨٣-٨٧.

١٠٠- المصدر السابق ص ٩١.

101- httm://www History place com/united states Vietnam/ index - 1945 htm/

١٠٢- محمد جلال عباس – المصدر السابق ص ٩٣.

103- httm://www history place com/united states Vietnam/ index – 1945 htm/

١٠٤- محمد جلال عباس – المصدر السابق ص ١٠٥.

105- http.://www history place com/united states/Vietnam index / 1945 htm.

١٠٦- محمد جلال عباس – المصدر السابق ص ١٠٧-١١٠.

107- http://www history place com/united state/Vietnam/index/ 1945 htm/

١٠٨- محمد جلال عباس – المصدر السابق ص ١٣٣-١٣٤

١٠٩- المصدر السابق ص ١٥٢-١٥٦.

110- http://www history place. Com united states/ Vietnam/index-1969 html

ولمزيد من التفصيلات أنظر أيضا:

- Vietnam Warhttp://www.multied.com/Vietnam/index. html2-Laguerre du Vietnamhttp: //perso.club-internet.fr/ dazio/ Histoire/Histoire Guerre-du-Vietnam.htm
- The wars for Vietnam: 1945 to1975 http://vietnam. vassar.edu/overview.html-Ngo Dinh Diem < http://www. spartacus. schoolnet.co.uk/VNngo.htm>
- Ho Chi Minhhttp://www.spartacus.schoolnet. co.uk/ VNhochiminh. htm 6-Vietnamhttp://www.spartacus. schoolnet. co.uk/ 2WWvietnam.htm
- Vietnamization<http://www.spartacus.schoolnet.co.k/ VNvietnamization.htm

(١١١) رجاء إبراهيم سليم : الأطلس الآسيوى ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ،ص٣٩٧.

(١١٢) رأفت غنيمى الشيخ ، محمد رفعت :آسيا فى التاريخ الحديث والمعاصر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص٩٥.

(١١٣) محمد محمد زيتون : المسلمون فى الشرق الأقصى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص١٤١.

(١١٤) رأفت غنيمى الشيخ ، مجمد رفعت : المرجع السابق ، ص ٩٥.

(١١٥) رجاء إبراهيم سليم : المرجع السابق، ص٣٩٧ .

(١١٦) أحمد عطية : القاموس السياسى ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص١١١٤ .

(١١٧) عبد الوهاب الكيلانى ، كامل زهيرى : الموسوعة السياسية ، الطبعة الأولى ، لبنان ، ١٩٧٤ ، ص٤٨٠.

(١١٨) محمد محمد زيتون : المرجع السابق ، ص١٤١.

(١١٩) نفسه .

(١٢٠) مسعود الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، الجزء ١٨ ، الطبعة الأولى ، لبنان ، ٢٠٠٤ ، ص١٥٨ .

(١٢١) رأفت الشيخ ، محمد رفعت : المرجع السابق ، ص١٠٥.

(١٢٢) محمد محمد زيتون : المرجع السابق ،ص١٤٣.

(١٢٣) www.malaysia arab .com

(١٢٤) رجاء إبراهيم سليم : المرجع السابق ، ص٣٩٧.

(١٢٥) إسماعيل ياغى : تاريخ شرق آسيا ، الطبعة الأولى ، الرياض ، ١٩٩٤ ، ص٢٤ ،٢٥.

(١٢٦) بريان هاريسون : جنوب شرق آسيا ، ترجمة سعد أحمد ، مراجعة على أدهم ، القاهرة ، ب.ت ، ص٦٨،٦٧.

(١٢٧) مسعود الخوند : المرجع السابق ، ص١٦٠.

(١٢٨) سليمان مظهر ، مختار السويفى : النمور الصغيرة الزاحفة ، الطبعة الأولى ، الدار المصرية اللبنانية ،١٩٩٨ ، ص١٥٤.

(١٢٩) رأفت الشيخ ، محمد رفعت : المرجع السابق، ص٩٨.

(١٣٠) سليمان مظهر ، مختار السويفى :المرجع السابق، ص١٥٤.

(١٣١) رأفت الشيخ ، محمد رفعت :المرجع السابق ، ص٩٨، ٩٩.

(١٣٢) نفسه ، ص٩٩.

(١٣٣) سليمان مظهر ، مختار السويفى : المرجع السابق ، ص١٥٥،١٥٤.

(١٣٤) نفسه.

(١٣٥) نفسه ، ص١٥٥.

(١٣٦) نفسه ، ص١٥٦،١٥٥.

(١٣٧) بريان هاريسون : المرجع السابق، ص٩٢-٩٦.

(١٣٨) سليمان مظهر ، مختار السويفى : المرجع السابق، ص١٥٦.

(١٣٩) رأفت الشيخ ، محمد رفعت : المرجع السابق ، ص ٩٩.

(١٤٠) سليمان مظهر ، مختار السويفى : المرجع السابق ، ص١٥٦.

(١٤١) مسعود الخوند :المرجع السابق ، ص١٦٠.

(١٤٢) رأفت الشيخ ، محمد رفعت : المرجع السابق ، ص٩٩.

(١٤٣) سليمان مظهر ، مختار السويفى :المرجع السابق ، ص١٥٦.

(١٤٤) رأفت الشيخ ، محمد رفعت : المرجع السابق ، ص١٠٠.

(١٤٥) سليمان مظهر : المرجع السابق ، ص١٥٧-١٥٨ ؛ رأفت الشيخ ، محمد رفعت : المرجع السابق ، ص١٠١

(١٤٦) محمد محمد زيتونة : المرجع السابق ، ص١٤٦.

(١٤٧) رأفت الشيخ ، محمد رفعت : المرجع السابق ، ص١٠١.

(١٤٨) نفسه ، ص١٠١.

(١٤٩) محمد محمد زيتونة : المرجع السابق ، ص١٤٦.

(١٥٠) رأفت الشيخ ، محمد رفعت : المرجع السابق ، ص١٠٢.

(١٥١) محمد عبد الرءوف : الملايو وصف وانطباعات ، من الشرق والغرب الدار القومية للطباعة والنشر ، ب.ت، ص٩٨.

(١٥٢) مسعود الخوند : المرجع السابق ، ص١٦١.

(١٥٣) نفسه .

(١٥٤) تشيســتر بين : الشرق الأقصى ، ترجمة ، حسين الحوت ، مكتبة مصر ، ب.ت ، ص٢٦٦.

(١٥٥) محمد عبد الرعوف :المرجع السابق ، ص٩٦.

(١٥٦) رأفت الشيخ ، محمد رفعت : المرجع السابق ، ص١٠٢

(١٥٧) محمد عبد الرعوف : المرجع السابق ، ص٩٦.

(١٥٨) نفسه ، ص٩٦ ، ٩٧ .

(١٥٩) نفسه ، ص١٠٢.

(١٦٠) نفسه .

(١٦١) محمد محمد زيتونة : المرجع السابق ، ص١٤٧ .

(١٦٢) محمد عبد الرعوف : المرجع السابق ، ص١٠٣.

(١٦٣) نفسه ، ص١٠٣، ١٠٤ .

(١٦٤) نفسه ، ص١٠٧ .

(١٦٥) رأفت الشيخ ، محمد رفعت : المرجع السابق ، ص١٠٤

(١٦٦) نفسه.

(١٦٧) محمد محمد زيتونة : المرجع السابق ، ص١٤٨.

(١٦٨) رجاء إبراهيم سليم : المرجع السابق ، ص٤٠١.

(١٦٩) محمد عتريس : معجم بلدان العالم ، دار الثقافة للنشر ، ب.ت ، ص٢٠٣.

(١٧٠) مجموعة من الباحثين : الموسوعة العربية العالمية ، الطبعة الثانية ، بعلبك ، بيروت ، ١٩٩٥، ص٢٥٨، ٢٥٩.

(١٧١) نفسه.

(١٧٢) روميــن : آســيا المعاصرة ، يقظة العملاق ، ترجمة يوسف صبرى ، دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤، ص

(١٧٣) محــيى الدين فوزى : بورما بين الشرق والغرب ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٢٣.

(١٧٤) نفسه ، ص٢٣، ٢٤ .

(١٧٥) نفسه ، ص٢٤.

(١٧٦) تشيستر بين : المرجع السابق ، ص١١١ .

(١٧٧) محيى الدين فوزى : المرجع السابق ، ص٢٤،٢٥ .

(١٧٨) تشيستر بين : المرجع السابق ، ص١١١.

(١٧٩) محيى الدين فوزى : المرجع السابق ، ص٢٦.

(١٨٠) تشيستر بين : المرجع السابق ، ص١١١.

(١٨١) نفسه .

(١٨٢) نفسه .

(١٨٣) مجموعة من الباحثين : المرجع السابق ، ص٢٥٩.

(١٨٤) نفسه .

(١٨٥) محيى الدين فوزى : المرجع السابق ، ص٣٨.

(١٨٦) نفسه ، ص٣٩ .

(١٨٧) رومين : المرجع السابق ، ص ١٣٣.

(١٨٨) محيى الدين فوزى : المرجع السابق ، ص٣٨.

(١٨٩) نفسه ،ص٤١ .

(١٩٠) نفسه ، ص٤٤.

(١٩١) مجموعة من الباحثين : المرجع السابق ، ص ٢٥٩.

(١٩٢) تشيستر بين : المرجع السابق ، ص٢٧٣.

(١٩٣) ديمترى يفيموف: الحـــرب العالمية الثانية ... مصائر شعوب آسيا وأفريقيا ، ب.ت ، ص١٣٥.

(١٩٤) تشيستر بين : المرجع السابق ، ص٣٧٣.

(١٩٥) ديمترى يفيموف : المرجع السابق ، ص١٣٥.

(١٩٦) محمد عتريس : المرجع السابق ، ص٢٠٤.

(١٩٧) رومين : المرجع السابق ،ص١٢٧

(١٩٨) فيكـــتور بورسل : الثورة فى جنوب شرق آسيا ، ترجمة ،حسن فريد على بدوى ، مطابع الدار القومية ، ب.ت ، ص٨٩.

(١٩٩) رومين : المرجع السابق ، ص١٢٨.

(٢٠٠) تشيستر بين : المرجع السابق ، ص١١٥.

(٢٠١) رومين : المرجع السابق ، ص١٢٨.

(٢٠) تشيستر بين : المرجع السابق ، ص١١٥.

(٢٠٣) بريان هاريسون : المرجع السابق ، ص٢٠-٢٠٩.

(٢٠٤) نفسه ،ص٢٠٩.

(٢٠٥) جـاى ونـت : أضـواء على آسيا ، ترجمة ، روفائيل جرجس ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ب.ت ،ص١٧٩؛ تشيستر بين : المرجع السابق ، ص١١٦.

(٢٠٦) تشيسـتر بيـن : المـرجع السابق ، ص١١٥؛ بريان هاريسون : المرجع السابق ، ص١٧٨ ، رومين : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٢٠٧) ك .م . بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٢ .

(٢٠٨) بريان هاريسون : المرجع السابق ، ١٧٥ ،١٧٦ .

(٢٠٩) نفسه ،ص١٧٦.

(٢١٠)نفسه ،ص١٧٧.

(٢١١) ك . م . بانيكار : المرجع السابق ، ص٢٣٧ –٢٣٩ .

(٢١٢) نفسه ، ص٢٣٩.

(٢١٣) نفسه ،ص٢٣٧.

(٢١٤) نفسه ؛ بريان هاريسون : المرجع السابق ، ص ١٧٧.

(٢١٥) بريان هاريسون : المرجع السابق ، ص ١٧٧.

(٢١٦) تشيستر بين : المرجع السابق ، ص١١٦.

(٢١٧) رومين : المرجع السابق ، ١٣٠.

(٢١٨) تشيستر بين : المرجع السابق ، ص ١١٦.

(٢١٩) بريان هاريسون : المرجع السابق ، ص ١٧٨.

(٢٢٠) فيكتور بورسل : المرجع السابق ، ص ٩٠ ،٩١ .

(٢٢١) ك.م . بانيكار : المرجع السابق ، ص٢٣٩.

(٢٢٢) ك.م . بانيكار : المرجع السابق ، ص٢٣٩.

(٢٢٣) رومين : المرجع السابق ، ١٢٩.

(٢٢٤) بريان هاريسون : المرجع السابق ، ص ٣٤٥-٣٤٦.

(٢٢٥) جاى ونت : المرجع السابق ، ص١٧٩ .

(٢٢٦) بريان هاريسون : المرجع السابق ، ص٣٤٦.

(٢٢٧) نفسه ، ص٣٥٣.

(٢٢٨) تشيستر بين : المرجع السابق ، ص ٢٦٨.

(٢٣٩)نفسه ، ٢٦٩.

(٢٣٠) بريان هاريسون : المرجع السابق ، ص٣٥٣.